

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

المَجَالِس الشِّعْرِيَّة وَالنَّقْدِيَّة فِي مَجَالِس الخَلِيْفَة هَارُون الرَّشِيْد

إعداد الطالب

عبدالله أحمد الذنيبات

إشراف

الأستاذ الدكتور جهاد المجالي

رِسَالـــة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليـــا

استكمالاً لمتطلبات الحصول درجة الماجستير

في الأدب قســم اللغة العربية وآدابهــــا

جامعة مؤتة، 2007

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

الإهــداء

إلى والدي العزيز.... رمز الشموخ .. المثل والقدوة.
إلى والدتي الحنون... رمز العطاء ... عرفاناً وحباً.
إلى إخواني وأخواتي..... احتراماً وتقديراً.

لهم جميعاً أهدي عملي هذا.

عبدالله أحمد الذنيبات

الشكر والتقديـــر

بعد أن منّ الله عز وجل عليّ بإتمام هذا العمل، الذي منحني القدرة وتجاوز كافة الصعوبات، فله الشكر يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، أولاً وأخيراً، والصـــلاة والسلام على أسوتنا وقدوتنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

فأتقدم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور جهاد المجالي وفقه الله ورعاه على ما تفضل به عليّ من الإشراف والتوجيه والتعليم، ولما لمسته من حسن خلقه وتواضعه الجم، حتى ظهرت الرســالة بهــذه الصــورة، والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة، أصحاب العقول النيرة، والعلــم الغزيــر، لتفضلهم بمناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بفكرهم وعلمهم، والارتقــاء بهــا لتخــرج بأفضل صورة إن شاء الله.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة مؤتة ممثلة بكلية الآداب، وبقسم اللغة العربية، ولعمادة الدراسات العليا على إتاحة الفرصة لإكمال دراستي وذلك بالالتحــاق فـــي برنامج الماجستير.

وكذلك أتقدم بالشكر لكل من ساعدني على إتمام هذه الدراسة، وآخر دعوانـــا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد الخلق أجمعين.

عبدالله أحمد الذنيبات

فهرس المحتويـــات

الملخص

المجالس الشعرية والنقدية في مجلس الخليفة هارون الرشيد

عبدالله أحمد محمد الذنيبات
جامعة مؤتة، 2007

تهدف هذه الدراسة إلى تناول المجالس الشعرية عند الخليفة هارون الرشيد، وقد كشف البحث عن عدد من الدوافع السياسية والاجتماعية التي أدت إلى إذكاء جذوة النشاط الأدبي، والعمل على تنظيمه باعتباره مظهراً حيوياً يلبي كثيراً من الحاجات الثقافية والرغبات النفسية، وغيرها مما كان المجتمع شغوفاً به في عصر الرشيد.

وقد أظهر البحث أن شعر المجالس قدم معلومات قيمة كشفت للباحثين مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية في عصر الرشيد.

كما بيَّن البحث أن شعر المجالس كان مرآة ناصعة لما يدور من أحداث في عصر الرشيد، وما يدور في المجالس من أحداث بتنوع رواده على اختلاف ثقافتهم، وكشف عن الحياة اللاهية في مجلس الرشيد في تعامله مع الجواري والمغنين، وأثر ذلك في اجتلاب ألوان المسرات إلى نفسه وإلى مجلسه.

كما قدم البحث صورة عما كان داخل تلك المجالس من أنشطة نقدية وفنية، وعلى الرغم من تواضعها، فإنها أسهمت إلى حد كبير في كشف ذلك الشعر جيِّده من رديئه، مما دفع به إلى تجويده وتحسينه، والكشف عن بعض الملحوظات النقدية التي كانت في أغلب الأحيان في إطار النقد الانطباعي الذاتي الذي يعتمد على الذوق والفطرة، وقد وصل في بعض الأحيان إلى النقد المنهجي.

وقد تبتعد هذه الملحوظات في بعض الأحيان عن الموضوعية؛ إذ تتحكم فيها الرغبة في مجاملة صاحب المجلس في التنافس بين الشعراء والحكم عليهم وغير ذلك.

Abstract

Criticism and poetry councils in successor Haroon Al-Rasheed Council

Abd-Allah Al-Thunaibat

Mu'tah University, 2006

This research aimed to study the poetry councils in the council of successor Haroon Al-Rasheed, the research discover a number of policy and social incentives that improve the literals activities, and regulate it considering its vitality appears to obey a lot of culture and physical desires and others which society was like in Al-Rasheed era.

Also the research show that the poetry of councils introduce a valuable information appear to the researcher some of social, policy, science life type in Al-Rasheed era.

In addition the research appear that the poetry of councils was a clear mirror to the occurred was happened with regard less to the vary of culture also it show the interesting life in Al-asheed councils and his relative with bondmaids and singer and what he done to be happy.

Also the research give an image about what was of criticism and article activities, despite of its modesty but it participate to discover the good and bad poetry to improve it and discover some of criticism note which was impression criticism that depend on instinct, and some time methodical criticism.

Some time this note couldn't be true because the compliment could appear.

الفصل الأول

الإطار التاريخي للعصر العباسي

1.1 المقدمة:

تُعدُّ شخصية هارون الرشيد رمزاً لمرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي؛ فقد مثّل العصر العباسي الأول.

على الرغم من أن الروايات في الكتب قد جعلت له أكثر من صورة؛ فهو مرّةً الخليفة الباذخ المسرف في الترف، ومرَّةً الخليفة المحارب القوي الذي أذلَّ أعداء الإسلام وفرض الجزية على الروم، وهو يظهر أيضاً بمظهر الخليفة الحذر الذي يبث عُيونَه ليعرف أمور العامة وأحوالهم، ولا يكتفي بذلك، إنما يطوف الأسواق ويزور المجالس مستتكراً ليعرف بنفسه ما يدور، وقد يصور لنا بالخليفة الناسك الذي تُسقط الموعظة عبراته؛ فهو أول من حج ماشياً من الخلفاء، ويصلي في اليوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، ويتصدق من حُرِّ ماله بألف درهم في كل يوم.

ولكن ما يجب ملاحظته هو أن هذه الصورة المتباينة للرشيد كانت نتيجة لطبيعته، ولتربيته، وللعصر الذي عاش فيه، فقد كان عصره عصر بذخ وإمعان في الحضارة.

أما حبه للغناء وتقريبه للمغنّين فمشهور، ومجالس طربه موصوفة بتفصيل في الأغاني، وهذا يظهر أنه كان ذا ملكة أدبية وشعرية، ومن جهة أخرى فقد كانت للرشيد اليد الطولى في تشجيع حركة الترجمة.

وقد كان اختياري لهذا الموضوع ناتج عن قلة الدراسات التي تناولت الجانب النقدي في شخصية هارون الرشيد من خلال مجلسه، كما أني لا أخفي حبّي لشخصية الرشيد النقدية التي مثلت إسهاماته في الخطوات الأولى في النقد القديم؛ حيث بدأ النقد يبتعد عن الجوانب الانطباعية السريعة التي كانت في المراحل السابقة.

وقد اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع، ولعلّ أهمَّها على الإطلاق كتاب أبي الفرج الأصفهاني الأغاني، وكتاب العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي، وكتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ بغداد للبغدادي، وقد خصصت هذه المصادر اعترافاً بفضلٍ أكبرَ لأصحابها.

وقد سلك الباحث ف ي دراسته لهذا الجانب مسلكاً علمياً قائماً على التحليل والتعليل والموازنة، مستفيداً من المناهج النقدية والأدبية الحديثة، وأستطيع القول إن الباحث نهج

نهجاً تكاملياً؛ حيث أفاد من المنهج التاريخي في البحث والاستقصاء والدراسة للجانب النقدي في مجلس الرشيد، كما أ فاد من المنهج الوصفي في محاولة وضع تصوّر أفضل لهذا الجانب معتمداً على المعلومات التاريخية الواردة.

وعند استقرائنا لدراسات المحدثين نجدهم لم يولوا هذه الظاهرة الأدبية العناية اللازمة؛ إذ لم تتجاوز دراساتهم حدود الإشارات والتنويه لها؛ لذلك جاءت هذه الدراسة لـ تبين الجانب النقدي في مجلس الرشيد؛ إذ هي تهدف لـ:

1. التعريف بالمجالس الشعرية وأنواعها والكشف عنها من خلال مجالس الرشيد.
2. جمع الآراء النقدية المتناثرة في هذه المجالس واستقصائها في ضوء علم النقد الحديث.
3. بيان دور هذه المجالس في تحفيز قرائح الشعراء وتطوير حركتي الأدب والنقد في عصر الرشيد.
4. تقديم دراسة تكشف عن أشكال الشعر في هذه المجالس ، وتبرز السمات الفنية لهذا الشعر.

وفي ضوء هذه الأهداف فقد رأى الباحث أن يقسّم هذه الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

وقد تناول الباحث الإطار السياسي للعصر العباسي، بالوقوف على طبيعة الأحداث والأوضاع السياسية والتعريف بالخليفة هارون الرشيد معرجاً على سيرته ونسبه وشيوخه.

ثم تناول مفهوم المجالس الشعرية -لغةً واصطلاحاً- رابطاً بينهما، ومبيناً أنواعها ودورها في تحفيز قرائح الشعراء.

وقد خصص الباحث الفصل الأول للحديث عن مواكبة المجالس الشعرية للمناسبات الاجتماعية العامة والخاصة؛ لما لهذه الأحداث والمناسبات الاجتماعية من صدى كبير في أدب العصر العباسي، ولما سجلته هذه الأحداث والمناسبات من تخليد للقصائد الشعرية في مجلس الرشيد؛ حيث لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا سجلتها.

وقد تنوعت هذه المناسبات؛ فمنها الاجتماعية التي اشتملت على التهنئة بالأعياد والشفاء من المرض والعودة من السفر، ومنها السياسية كتقلّد المناصب والوفادات الرسمية والانتصارات العسكرية، وقد عمل الباحث على دراسة الشعر في هذه المناسبات وبيان تأثره بالسياسة في عصر الرشيد.

أما الفصل الثاني ف اشتمل على الحديث عن روّاد مجالس الرشيد؛ وتنوعت المجالس حسب روادها، حيث اشتملت على عدد من طبقات المجتمع على تنوع ثقافاتهم؛ فكان من روّاد هذه المجالس الجواري، وكان لهن دورٌ كبير في نمو الشعر وتعدد أغراضه، فقد جعل لهن الرشيد مكلنة عالية في مجلسه، و دوراً كبيراًفي إعطاء المجالس جوّاً من النشاط، حيث كنّ يشاركن في رواية الشعر وإجازته، وتفوق ن في كثير من الأحيان على الشعراء.

ومن روّاد هذا المجالس أيضاً الأعراب؛ فكما كان للجواري حضور كبير في مجلس الرشيد كان للأعراب موقعهم وتأثيرهم، فهم يمثلون التاريخ والأصالة، ومن خلا لهم يتذكر الرشيد العصر الإسلامي والأموي.

ومن روّاد هذه المجالس أيضاً العلماء، فقد كان لهم الدور الأكبر في مجلس الرشيد، إذ كان الرشييستشيرهم في كثير من الأمور، و كانوا له أعواناً في الحكم على الشعراء، وكان الرشيد يتعلّم في مجلسه على نحو ما فصلته هذه الدراسة.

أما الفصل الثالث فقد تحدث عن مجالس الغناء والطرب وأثرها في بعث الشعر من خلال تأثر الشعر بالغناء ومكانة المغنّين عند الرشيد، ودور هذه المجالس في تنمية النشاط الأدبي وتنافس المغنّين وتحاسدهم في مجلس الرشيد، وعلاقة الشعر بمجالس الغناء والطرب.

أما الفصل الرابع، فقد اشتمل على الدراسة الفنية والنقدية التي تناولت قضايا التشكيل البنائي، وعدداً من القضايا النقدية والملحوظات الأدبية بشعر المجالس؛ فمن حيث التشكيل البنائي تناولت الدراسة قضيتين لهما علاقة بالمجالس الشعرية هما : فن الإجازة، وفن الرسالة الشعرية.

أما من حيث القضايا النقدية، فقد تناولت الدراسة عدداً من القضايا، وهي:

أ. الملحوظات النقدية الانطباعية.

ب. الملحوظات النقدية المنهجية.

ج. اللفظ والمعنى.

د. السرقات الشعرية.

هـ. البديهة والارتجال (معياراً نقدياً).

2.1 تمهيــد

سيتضمن هذا التمهيد حديثاً موجزاً عن الإطار التاريخ ي للعصر العباسي، والخليفــة هارون الرشيد، ومفهوم المجالس الشعرية وأنواعها ودور المجالس الشعرية في تحفيــز قرائح الشعراء من خلال نماذج متنوعة ومختارة ودالّة.

ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبدالمطلب عم الرسول r ، والذي يكبــره بــثلاث سنواتولقد كان العباس أحد وجهاء قريش، وولد في مكة قبل التاريخ الهجــري بنحــو خمسين سنة، أي عام 572م. وعاش نحو تسعين عاما وتوفي في المدينة عن تسعة أولاد ذكور منهم: عبدالله بن العباس الذي ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات أي في عام 619م[1]. ولكنّ العباسيين لم يكن لهم تطلع للخلافة؛ فالعباس بن عبدالم طلب لم يكــن لــه طمــوح للخلافة إلا أنه كان يطمح في منصب من المناصب العليا[2].

أما ابنه عبدالله بن العباس فقد ركز جهوده على الناحية العلمية والفكرية، ولم يكن له تاريخ نشط ولم يكن له طموح لتولي الخلافة[3]. ولقد بدأت ثورة العباسيين في خراســان؛ بسبب ظلم الأمويين لأ هل خراسان، وأول من حرك الثورة أبو مسلم الخراساني في جمع الناس حوله والثورة على الأمويين[4]. وكان لعبد الله بن العباس ابن اسمه علي بن عبدالله، ولد في سنة 40هــ، واستقدمه الوليد بن عبدالملك إلى دمشق، وكان يمارس نشاطاً ســرياً سياسياً، عندها اضطر الوليد إلى سجنه وضربه بالسياط ونفيه إلى الحميمة [5][6]. ومضى العباسيون في محاربة بني أمية وقتالهم وكانت المواجهة الكبرى عند نهر الزاب الكبيــر عام 132هــ، وانهزم الجيش الأموي شر هزيمة وفرّ الخليفة الأموي مروان بن محمــد

---

(1) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمد بن عمر (ت538هــــ) أســاس البلاغــة، تحقيــق : عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1982م، مادة (ندى).

(2) أبو رحمة، محمد أبو رحمة، هارون الرشيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1993م، ص7.

(3) الهاراجي، عدنان علي، حركات المعارضة لـ لخلافة الأموية، ص 56؛ أبو رحمــة، هــارون الرشيد، ص8.

(4) المصدر نفسه، ص56.

(5) الحُميمة: بلد من أرض الشراة، من أعمال عمان، في أطراف الشــام، كانــت منــزل بنــي العباس، وهي أيضاً قرية ببطن مرّ من نواحي مكة، بين ســروعة والُريــراء، فيهــا عــين ونخل؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثاني، ص307.

(6) أبو رحمة، هارون الرشيد، ص11.

حتى قتل في مصر في العام نفسه، وقضى العباسيون على بقية الجيش الأموي بقيادة يزيد بن هبيرة الذي استطاع أبو جعفر المنصور أخو الخليفة أبي العباس الانتصار عليه، وبعد ذلك تولى الخلافة أبو العباس بعد أن انتزع الخلافة من الأمويين، وقد أسس أركان الدولة العباسية وتوفي سنة 136هـ[1]، وتولى بعده أبو جعفر المنصور، وكان صاحب تجربة كبيرة في شؤون الدولة ويعدّه كثيرون من مؤسسي الدولة العباسية، ثم تولى من بعده ابنه الخليفة المهدي وكان المهدي خليفة جديراً بهذا المنصب، مسلحاً بكفاءة وخبرة وتجربة، وقد سار على نهج أبيه فاعتنى بتربية ابنه هارون الرشيد وأرسله على رأس الجيوش؛ مما جعل للرشيد بصيرة بالأمور وحنكة سياسية وحربية[2].

وتولى من بعده موسى الهادي خلافة المؤمنين تنفيذاً للعهد من بعد والده، ولكنه أراد أن ينزع الخلافة من أخيه هارون الرشيد حتى يوليها ابنه جعفر فاجتنب الناس الرشيد، ولكن الرشيد تصالح مع أخيه وطابت نفسه بالخلع؛ إذ وجد أن الخلع أهون من الصدام مع أخيه، وقبل وفاة الهادي أراد أن يتخذ النقطة الحاسمة في البيعة لابنه جعفر فخرج إلى الحديثة بعد ما كتب إلى جميع عماله شرقا وغربا بالقدوم إليه، غير أن المرض داهمه وتوفي وتولى بعده هارون الرشيد[3].

---

(1) الفاراجي، حركات المعارضة للخلافة الأموية، ص57.

(2) أبو رحمة، هارون الرشيد، ص13-14.

(3) العسلي، بسام، الرشيد القائد، دار النفائس، بيروت، ط1، 1986م، ص23-25.

3.1 الخليفة هارون الرشيد، سيرته ونسبه

هو هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن العباس [1]، القرشي الهاشمي أمير المؤمنين[2] وأمه يمانية جُرشية (مدينة باليمن) يقال لها الخيزران بنت عطاء[3].

كان يكنى بأبي موسى [4]، ثم كني بعد ذلك بأبي جعفر، كما كان يلقب بجبار بني العباس[5]، وهو خامس خلفاء الدولة العباسية.

4.1 ولادته

ولد هارون الرشيد بالريّ [6] عام 145هـ عندما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان، وهو الابن الثالث للمهدي بعد موسى وعلي[7].

---

(1) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، 1779م، ج10، ص4؛ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبدالمنعم عامر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط 1، 1960، ص386، 387؛ السيوطي، جمال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق: الشيخين قاسم الشماعي الرفاعي ومحمد العثماني، دار القلم، بيروت، ص 268؛ الحنبلي، أبو فلاح عبدالحي بن العماد (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 334/1.

(2) الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي بن ثابت (ت463هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج 14، ص5؛ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت774هـ)، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985، ج10، ص222.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص47.

(4) القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ص149.

(5) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص5.

(6) الري مدينة مشهورة بالعمران تعد بعد بغداد، كانت محطاً للحجاج، تبعد عن نيسابور مائة وستين فرسخا، فتحت في عهد عمر بن الخطاب بقيادة عروة بن زيد الطائي سنة 20هـ. أصابها الخراب بسبب نزاع بين الشيعة وأهل السنة؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت629هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث، بيروت، 1979م، ج3، ص117.

(7) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص48.

5.1 تعليم الرشيد وثقافته

يعدُّ الرشيد أبرز الخلفاء العباسيين الذين نشطت الحركة العلمية في عهدهم؛ ويعــود ذلك إلى رعايته لها وتكريمه للعلماء، فكان يحب الفقه والفقهاء، والشعر والشعراء، وكان قبل توليه الخلافة يجالس العلماء والزُّهاد؛ فقد كان مؤاخياً للفقيه الكوفي سفيان الثوري[1].

أما عن شيوخه، فقد درس على عدد من كبار العلماء، أهمهم:

أ. المفضل الضبّي

وهو المفضل بن محمد بن يعلى الضبي الكوفي، كان علامة راوية للأ دب والأخبار، وأيام العرب[2]، لازم المهدي فأوكل إليه تأديب ابنه الرشيد، فأخبره البلاغة والأدب[3].

ب. حمزة الزيات

كان مقرئ الرشيد؛ فقرأ الرشيد عليه القرآن الكريم أربع مرات، والزيات من أصحاب القراءات السبع[4].

ج. الكسائي

وهو علي بن حمزة بن عبدالله بن بهجت بن فيروز، النحوي، أصله أعجمي [5] علــم الرشيد العربية وأيام الناس والفقه[6].

ولم يكتف الرشيد بمجالسة العلماء، بل رحل لطلب العلم إلى الإمام مالك بن أنــس، وسمع منه الموطأ[7].

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص403.

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 13، ص121؛ الداوودي، الحافظ شمس الدين الــداوودي (ت945هـ)طبقات المفسرين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيــروت، لبنــان، 1983م، ج2، ص328.

(3) أبو خليل، شوقي ،التاريخ الإسلامي، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيــروت، لبنــان، 1991م، ص327.

(4) المرجع نفسه، ص327.

(5) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن أبو يعقوب (ت385هـــ)، الفهرســت، تحقيــق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص147-148.

(6) أبو خليل، شوقي، التاريخ الإسلامي، ص327.

(7) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 14، ص7-13؛ ابــن العمــاد، شــذرات الــذهب، ج 1، ص291.

وبلغ من حب الرشيد للعلماء أن قسم ليله إلى سبع ليال، وخصص منها ليلة للعلماء والفقهاء يذاكرهم ويدارسهم الفقه، وكان من أعلمهم[1].

ولقد كان الرشيد يحب الشعر والشعراء؛ فقد حظي باهتمامهم، وكان يستمع للشعراء، ويتقرب منهم، وكثيراً ما كان يطلب أبا العتاهية ليستمع إلى أشعاره في الزهد[2].

وقد اهتم الرشيد بالغناء والمغنّين، فكان يتابع أخبارهم، وكثيراً ما كان يسأل عنهم؛ فقد سأل إبراهيم الموصلي كيف يصوغ الألحان[3]، وقد جعل المغنّين في مراتب وطبقات[4]، وقد كان الرشيد يكرم أهل العلم، فقد كتب إلى الأمصار كلها وإلى أمراء الأجناد: أما بعد فانظروا من التزم الأذان عندكم فاكتبوه في ألفي دينار من العطاء. وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر، من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم[5]، فهذا هو الرشيد والحركة العلمية في عصره، فقد كان من أشهر خلفاء بني العباس في فخامة مجلسه وروعته، وكان يحتشد في مجلسه أعلام العلماء من كل فن وعلم، فضلاً عن تشجيع بيت الحكمة ورفده بالكتب[6].

وهكذا نرى أن الرشيد استقى العلوم والمعارف من مصادر متعددة، وفي جوانب مختلفة ومذاهب فكرية متباينة؛ كان لها أكبر الأثر في تشكيل ثقافته واهتمامه فيما بعد بالمجالس الفكرية والأدبية في قصره.

---

(1) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج2، ص156.

(2) الحميدي، أبو عبدالله محمد بن نصر، الذهب المسبوك في وعظ الملوك، ط1، تحقيق: أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، الرياض، عالم الكتب، 1402هـ/1981م، ص216.

(3) مهنا، عبدالأمير، أخبار المغنّين في الجاهلية والإسلام، ط1، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1990م، ص30-31.

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص295.

(5) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص157؛ عوض الذنيبات، إسهامات علماء الكوفة في الحركة الفكرية في بغداد، عمان، الأردن، ط2، 2005م، ص69.

(6) السباعي، مصطفى، من روائع حضارتنا، الجزائر، دار الصديقية، د.ت، ص234-235.

6.1 زواجه

تزوج الرشيد زبيدة ابنة عمه جعفر بن أبي جعفر المنصور، سنة خمس وستين ومائة في خلافة المهدي وقد ولدت له محمدا الأمين [1]. وقد لقبها جدها زبيدة لبضاضتها ونظارتها؛ حيث كان يداعبها في طفولتها ويقول : يا زبيدة! فغلب ذلك على اسمها؛ إذ إن اسمها الحقيقي هو (أمة العزيز) وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن الكريم[2].

وكانت وفاتها سنة ست عشرة ومائتين في جمادى الأولى ببغداد[3].

7.1 أولاده

رزق الرشيد بعدد من الأولاد من أشهرهم من البنين: الأمين والمأمون[4].

8.1 توليه الخلافة

أعلن المهدي سنة 159هـ ولاية العهد لولده موسى الهادي أكبر أولاده، لكن الخيزران أم الرشيد أخذت تمهد للمهدي أن يعلن ولاية عهد ثانية لهارون الرشيد ونجحت في ذلك. ثم أخذت تحث المهدي على أن يضع هارون قبل موسى في ولاية العهد، إلا أن هذا لم يحدث بسبب موت الخليفة المهدي عام 169هـ الذي كان قد طلب من ولده موسى ذلك إلا أنه رفض[5].

ولم يمض وقت طويل حتى ساءت العلاقة بين الخليفة موسى الهادي وأخيه هارون؛ بسبب تشجيع حاشية موسى له على إعلان البيعة لابنه جعفر؛ ولذلك أمر بسجن هارون

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 10، ص121؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص231.

(2) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج2، ص221.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 10، ص121؛ ابن الأثير، أبو الحسين عز الدين علي بن أبو الكرم محمد الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صابر، بيروت، 1979م، ج6، ص220.

(4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص121؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص216-217.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص161.

ويحيى البرمكي. إلا أن الأحداث تتابعت فمات موسى الهادي وخرج هارون من السجن وتمت مبايعته بالخلافة[1].

بويع هارون الرشيد يوم الجمعة الليلة التي مات فيها أخوه موسى الهادي، وذلك لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة [2]، وكان عمره حين ولي الخلافة اثنتين وعشرين سنة، وقيل كان عمره إحدى وعشرين سنة[3]، وولد له المأمون في تلك الليلة، فكان يقال: (ولد في هذه الليلة خليفة، وولي خليفة، ومات خليفة)[4].

وقيل إن أول عمل قام به الرشيد هو تقليد الوزارة يحيى البرمكي وتفويض أمور الدولة له[5].

ومن الوزراء الذين اتخذهم الرشيد: الفضل وجعفر ولدي يحيى البرمكي، والفضل ابن الربيع[6].

9.1 أخلاقه وورعه

تخلق الرشيد بالأخلاق الحميدة والصفات النبيلة؛ فقد كان يعظم حرمات الإسلام، ويبغض المراء في الدين والجدال والكلام في معارضة النص [7]؛ فهو محافظ على أداء

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص170؛ ابن كثير

(2) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 1967م، ج2، ص267.

(3) الطبري، مصدر سابق، ج 10، ص47-48؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص106؛ ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت685هـ) تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، ص128؛ المسعودي، مصدر سابق، ج2، ص267.

(4) البغدادي، مصدر سابق، ج 14، ص6؛ الصيرفي، رزق الله تاريخ دول الإسلام، ط 1، الدار العالمية، 1986، ج1، ص91-92.

(5) الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت331هـ)، الوزراء والكتّاب، قدّم له حسن الزين، دار الفكر الحديث، 1988، ص171.

(6) ابن دقمان (ت809هـ) الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، ط 1، 1985، ج1، ص128؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ط1، دار العلم للملايين، 1993، ج1، ص138-139.

(7) الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ج14، ص7؛ الذهبي، مصدر سابق، ج9، ص287.

التكاليف الشرعية خير أداء. فقد بلغه عن بشر المريسي القول بخَلق القرآن، فقال: (لئن ظفرت به لأضربنّ عنقه)[1].

وروي أن خرزاد العابد قال: (كنت عند هارون الرشيد فدخل أبو معاوية الضرير وعنده رجل من وجوه قريش، فجرى الحديث إلى أن خرج أبو معاوية إلى حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة: أن موسى لقي آدم فقال له: أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة!)[2] فقال القرشي: أين لقي آدم موسى؟ قال: فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف زنديق يطعن في حديث رسول الله ﷺ، فما زال أبو معاوية يسكنه ويقول: (كانت منه بادرة ولم يفهم يا أمير المؤمنين حتى سكنه)[3].

وكان الرشيد مضرب المثل في العدل، وفي قلبه توازن عجيب بين العصف بالعدو والعطف على الرعية.

ومن صور العدل عند هارون الرشيد أنه لم يرق دماً لمتهم إلاّ بعد أن يستوفي المتهم حججه كاملة أمام القضاء وبعد إدانته في ذلك، ويقول شوقي أبو خليل: "والمتهم عنده يسوق حججه على أعلى مستوى يتصور دفاعاً عن متهم في حضرة خليفة يحسن الاستماع، ولم يرق الرشيد دما إلا إذا أدانت الأدلة صاحبه"[4].

فالرشيد رجل مؤمن ملتزم بأحكام الدين يخشى الله؛ فقد ذكر ابن كثير أنه كان يتصدق من ماله الخاص كل يوم بألف درهم، وإذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، كما كان يصلي في اليوم مائة ركعة تطوعاً[5].

---

(1) السيوطي، جلال الدين (ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، تقديم عبدالله مسعود، دار القلم العربي، حلب، سوريا، 1991، ص269.

(2) البخاري، ابن حجر صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى 107/7، حديث رقم م9، 34.

(3) البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص8؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص224.

(4) أبو خليل، شوقي، التاريخ الإسلامي، ص43-44.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص231؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص176؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص12.

وكان يعظم العلماء والفقهاء والأدباء . ويجزل لهم العطاء، هذا هو الرشيد وليس كما تصوره بعض الكتب كالأغاني لأبي فرج الأصفهاني بأنه إنسان منغمس في لذات الــدنيا لاهث وراء النساء والجواري(1).

ومن أخبار ورعه أيضاً أنه كان بصيراً بأعباء الخلافة؛ فقد كان يطوف أكثر الليــالي متنكراً(2) في أسواق بغداد وشوارعها يقف على أحوال الناس، فإذا رأى أحداً منهم مظلوماً أعانه وأنصفه(3). كما كان يستمع إلى الوعاظ والناصحين، ويبكي من خشية الله.

وكان الرشيد يكره من يبالغ في مدحه، إذ دخل عليه أحد أتباعه وهو يأكل ســفرجلا فقال هارون: سل حاجتك،.فذكر الرجل حسن سيرة هارون، وأطنب، فقال : أنســيتهم سيرة العمرين ...، قالفغضب واستشاط، وأخذ سفرجله فرماه بها، وقال : يا ابن اللخناء ... العمرين... العمرين ... العمرين! هبنا احتملناها لعمر بن عبد العزيز، أنحتملها لعمر بن الخطاب ...(4).

وكان من وعّاظه:الفضيل بن عيــاض ، وبهلــولوأبــو عبــدالرحمن العمــري ، وغيرهم(5).

فقد لقي الرشيد ذات مرة في طريق عودته إلى بغداد بهلولا فقال له الرشيد : قل يــا بهلــول، فقال:

هب أن قــد ملكــت الأرض طــرا وأنَّ لـــك العبـــاد فكـــان مـــاذا !

أليس غدا مصــيرك جــوفَ قبــر ويحثـــو التـــراب هـــذا ثـــم هـــذا!

فقال الرشيد: أجدت يا بهلول، أفغيره؟

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ)، الأغاني، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ج18، ص143.

(2) الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1984م، ج8، ص62.

(3) مصباح، أحمد مجاهد، دراسات في تاريخ الدولة العباســية، ط1، دار الطباعــة المحمديــة، 1983م، ص46-47.

(4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص117.

(5) اليافعي، عفيف الدين عبدالله بن أسعد اليمني (ت698هــ-768هـ)، مرآة الجنــان وعبــر اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عفيف عبدالله الجبوري، ط 1، مؤسسة الرســالة، 1984م، ص381.

قال: نعم يا أمير المؤمنين : من رزقه الله مالاً وجمالاً، فعف في جماله، وواسى في ماله، كتب في ديوان الله من الأبرار.

فظن الرشيد أنه يريد شيئا، فقال: إنّا أمرنا بقضاء دَينك.

فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا يقضى دين بدين، اردد الحق إلى أهله، واقض دين نفسك من نفسك[1].

وقد وعظه الفضيل بن عياض يوماً فقال : حساب الخلق كلهم عليك، فبكى الرشيد وشهق، ثم بكى الفضيل حتى جاء الخدم فحملوهما[2].

10.1 وفاته

في سنة اثنتين وتسعين ومائة نزل الرشيد في بلدة يقال لها سناباذ، وبعد أن اشتدت به علة المرض بقي فيها حتى توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، وبهذا يكون عمره 47 عاماً.

وقال أبو الشيص يرثيه[3]:

غَرَبَتْ بالمشرق الشمسُ فقُلْ للعين تدمعْ
ما رَأَيْنا قَطُّ شَمساً غَرَبَت من حَيْثُ تطلعْ

11.1 مفهوم المجالس الشعرية وأنواعها

اشتق لفظ مجلس من المادة اللغوية (جلس) التي تدل على معانٍ كثيرة تحدثت عنها معظم المعاجم العربية القديمة والحديثة؛ حيث نجد لسان العرب لابن منظور يقول : الجلوس القعود، جَلَسَ يَجْلِسُ جُلوساً، فهو جالس من قوم جُلُوسٍ وجُلاَّس، وأَجْلَسَه غيرُه ، والجِلْسَةُ الهَيْئة التي تَجْلِسُ عليها، بالكسر، على ما يطرد عليه هذا النحو[4]. وفي الصحاح: الجِلْسَةُ الحال التي يكون عليها الجالس، وهو حَسَنُ الجِلْسَة .والمَجْلَسُ، بفتح

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص20.

(2) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحسن يوسف الأتابكي (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ج2، ص111.

(3) شاكر، محمود، سلسلة الخلفاء هارون الرشيد وأسرته، ط1، 1999، ص181.

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة جلس.

اللام، المصدر، والمَجلِس : موضع الجُلُوسِ وقال الله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فافسحوا﴾[1]. قيل يعني به مجلس النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقيل يعني بالمجالس مجالس الحرب، وقال اللحياني: هو المجلس والمجلسة.

يقال: ارْزُنْ في مَجْلِسِك ومَجْلِسَتِك ، والمَجْلِسُ: جماعة الجُلُوس [2] .

أنشد ثعلب:

لهم مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبال أَذلَّـــةٌ　　　سَواسِـــيَةٌ أَحْرارُهـــا وعَبِيـــدُها[3]

ناقة جَلسٌ وجَمَلٌ جَلسٌ أي وثيق.

والجلسُ ما ارتفع عن الغور من أرض نجدٍ، وتقـول : أغـارُوا وأجلسـوا وغـاروا وجلسوا.

وجَلَسَ يجلس جُلوساً، وهو حسن الجلسة.

ومعظم المعاجم القديمة التي جاءت بعد العين أشارت إلى أن المراد بلفظة (مجلـس) الناس والمكان معا[4].

ويضيف صاحب أسرار البلاغة إلى معاني كلمة مجلس معنى دالاً على الهيئة حيـث يقول: (ويقال: ورأيتهم مجلساً أي جالسين)[5].

أما المعاجم الحديثة فقد أوردت معاني الكلمة (جلس) بمعانيها وأضـافت شـيئا مـن معانيها الوظيفية؛ حيث يقول صاحب معجم الوسيط : (المجلس يقصد به : مكان الجلوس والطائفة من الناس تتخصص للنظر بما يناط بها من أعمـال ومنـه : مجـالس الشـعب ومجالس العموم، ومجالس الأعيان والمجلس الحسبي)[6].

---

(1) سورة المجادلة، الآية11.

(2) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (ت393هـ)، الصّحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطـار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، مادة جلس.

(3) الجوهري، الصحاح، مادة جلس.

(4) الجوهري، الصحاح، مادة جَلَسَ.

(5) الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بـن أحمـد (ت175هـ) العـين، تحقيـق : إبـراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986م، مادة جلس.

(6) أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشـر، إسـتانبول، القاهرة، ط2، 1979، مادة جلس.

ويعرفها صاحب المعجم المفصل فيقول : (المجلس هي في الأدب العربي : تسجيل كامل لما كان يلقيه الشيخ على طلابه من غير إعداد سابق ومنها مجالس ثعلب)[1].

ويعرفها معجم لغة العرب ضمن المعاني القديمة لهذه الكلمة ويشير إلى بعض المعاني المجازية لها فيقول: (المجلس موضع الجلوس والجالس، والقوم الجلوس مجاز مرسل من باب تسمية الحال باسم المحل فيقال : قضى المجلس بكذا، ويقال مجلس النواب، ومجلس الشعب)[2].

فهو يعد كلمة مجلس ومشتقاتها لا تخرج عن الدلالة المكانية، وإطلاق كلمة على الأشخاص من قبل المجالس وذلك بأنّ المكان يمكن أن يسمى مجلساً، وإذا اعتاد الناس على الجلوس فيه فلا يعقد المجلس إلا بهم، وهم في المجالس سيشاورون في أمور كثيرة أو يجعلونها مجالس للسمّر.

12.1 أنواع المجالس الشعرية

انقسمت المجالس الشعرية في عصر الرشيد على عدة أنواع:

1. **المجالس الخاصة** -غير الرسمية-:

وهي المجالس التي كان يدعو فيها الرشيد الشعراء للتسلية، ومن ذلك، أن الرشيد دعا عددا من الشعراء وطلب منهم أن يجيزوا قوله:الملك لله وحده، فقال الجماز: وللخليفة بعده وطلب منه الرشيد أن يزيد فقال:

وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده

فاستحسن الرشيد منه ذلك، وأجازه[3].

وكان الشعراء يلبسون في حضرة الرشيد لباساً خاصا، فيلبسون عمامة عظيمة الكور، وخفين دلقمان، ومن ذلك أن العماني دخل على الرشيد ينشده، وعليه قلنسوة طويلة، وخف ساذج فقال له: إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دلقمان [4]، فبكر

---

(1) الزمخشري، أساس البلاغة، مادة جلس.

(2) عاصي، ميشيل، المعجم المفصّل في اللغة والأدب،دار العلم والملايين،بيروت،مادة جلس.

(3) ابن شاكر الكتبي، صلاح الدين محمد (ت764هـ) فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق : إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت،ط4، 1974م، ص227.

(4) دلقمان: ناقة دلقم، هرمة لا تحبس الماء في فيها، ودلقمة الشيء إذا ملـه، وحجر مدلوق مدورٌ أمس؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة دلقم.

عليه من الغد، وقد تزيّا بزي الأعراب ثم أنشده، وقبّل يده ، وقال: يا أميرَ المؤمنين، قد والله –أنشدت مروان- ورأيتُ وجهه، وقبّلت يده وأخذت جائزته ثم يزيد بن الوليد، وإبرهيم بن الوليد، ثم السّفاح ثم المنصور ثم المهديَّ، كلهؤلاء رأيت وجوهَهَم، وقبّلتُ أيديَهم وأخذت جوائزَهم إلى كثير من أشياء الخلفاء وكبار الأمراء والسادة الرؤساء، لا والله ما رأيتُ فيهم أبهى منظراً ولا أحسن وجهاً ولا أنعم كفّاً ولا أندى راحةً منك يا أمير المؤمنين. فاعظم له الجائزةَ على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فَبَسَطَهُ (أي سرّه) حتى تمنّى جميعُ من حضرَ أنّه فام ذلك المقام[1].

2. مجالس المقابلات:

وكان الرشيد يقابل في هذه المجالس الوفود القادمة إليه من أبناء الرعية أو من الدول الأخرى، وهذه المجالس لها تقاليد خاصة؛ فقد يعقد المجلس بشكل سريع، ثم يخبر الرشيد أو يؤجل المقابلة إلى وقت آخر، أو يحيله إلى الوزير أو قد يصرف الوفد بالحسنى، وذلك راجع إلى أهمية الوفد[2].

ويكون استقبال الوفود إما في القصر أو في البستان أوفي أي مكان؛ وقد استقبل الرشيد الفضل بن يحيى عندما عاد من خراسان في بستان أبي جعفر، وتلقاه بنو هاشم والناس من الكتاب والأشراف[3]. فقد كان يحتشد في مجلسه أعلام العلماء من كل فن وعلم، وحسبك أن كان من رواد مجلسه من الشعراء أبو نواس وأبو العتاهية ودعبل ومسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف، ومن الفقهاء أبو يوسف والشافعي، ومحمد بن الحسن، ومن اللغويين أبو عبيدة والأصمعي والكسائي، ومن المغنّين إبراهيم الموصلي وابنه إسحق[4].

3. مجالس الوعظ والإرشاد:

كان الرشيد يهتم بالعلماء ولفقهاء، ويذاكرهم ويكرمهم ويتوا ضع إليهم؛ اعترافاً منه بفضل علمهم وتعظيما للعلم الذي يحملونه؛ فقد دعا إليه أبا معاوية الضرير محمد بن حازم ليسمع منه الحديث، قال أبو معاوية: ما ذكرت عنده حديثاً إلا قال: صلى الله وسلم

---

(1) ابن قتيبة:الشعر والشعراء، تحقيق : الشيخ محمد عبدالمنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط3، 1987م، ص511؛ الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص756.

(2) الجومرد، عبدالجبار، هارون الرشيد دراسة تاريخية، ج1، ص298.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص64.

(4) السباعي، مصطفى، من روائع حضارتنا، ص234-235.

على سيدي، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يسيل الثرى . وأكلت عنده يوما ثم قمت لأغسل يدي فصب الماء علي وأنا أراه، قال يا أبا معاوية، فدعوت له، فقال : إنما أردت تعظيم العلم[1].

ويتبين من هذا أن الرشيد كان مهتما بالحركة العلمية .

ودعا الرشيد ابن السماك إلى مجلسه فقال له : عظني، فقال: يا أمير ا لمؤمنين اتقِ الله وحده لا شريك له واعلم أنك واقف غدا بين يدي الله، ثم إنك مصروف إلى أحد منزلين لا ثالث لهما جنة أو نار، فبكى هارون حتى اخضلت لحيته[2].

ودخل محمد الراوية المعروف بالبيدق [3] على الرشيد في رواية عن نفسه قال : دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع، ويزيد بن مزيد، وبين يديه خوان [4] لطيف عليه جديان ورُغفان سميد، والسميد، لباب الدقيق، ودجاجتان فقال لي : أنشدني فأنشدته قصيدة النمري العينية فلما بلغت إلى قوله:

أَيُّ امرىءٍ باتَ مِن هارونَ في سَخَطٍ   فَلَيسَ بِالصَلواتِ الخَمسِ يَنتَفِعُ
إِنَّ المَكارِمَ وَالمَعروفَ أَوديَةٌ   أَحَلَّكَ اللَهُ مِنها حَيثُ تتسعُ
إِذا رَفَعتَ امرأً فَاللهُ يَرفَعُهُ   وَمَن وَضَعتَ مِنَ الأَقوام متضعُ

قال فرمى بالخوان بين يديه وصاح وقال : هذا والله أطيب من كل طعام، وكل شيء[5].

ويتبين من ذلك مدى تأثر الرشيد بالشعر الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق . وطلب الرشيد منه أن ينشده قصيدة أبي موسى التيميّ في مرثية يزيد بن مزيد التي مطلعها:

أحقٌّ أنه أَوْدَى يزيدُ   تبيَّن أيها الناعي المُشِيدُ

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص215.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص119.

(3) البيدق، هو محمد الرواية المعروف بالبيدق، وهو قصير القامة، لُقب بالبيدق لقصره، وكان ينشد هارون الرشيد أشعار المحدثين، وكان احسن خلق الله إنشاداً؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج13، ص192.

(4) الخوان: في حديث الدابة حتى أن أهل الخوان يجتمعون وقولوا هذا يا مؤمن هذا يا كافر، وهي جمع خُوان، وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل، ابن منظور، مصدر سابق، مادة خَوَنَ.

(5) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج13، ص197.

أتدري مـــن نعيــتُ وكيــف فاهــت		بــــه شـــفتلك كـــان بــــه الصـــعيد
أحـــامي المجـــد والإســـلام أودى		فمـــا لــــلأرض ويحـــك لا تميـــد
تأمــل هــل تــرى الإســلام مالــت		دعائمـــه وهـــل شــاب الوليـــد
وهل شــميت ســيوف بنـــي نـــزار		وهل وضعت علـــى الخيــل اللبــود
وهــل تقـــي الـــبلاد عشـــار مـــزن		بــــدارتها وهـــل يخضـــر عــــود

فبكى الرشيد بكاء[1]. اتسع فيه حتى لو كانت في يده سُكرجَةٌ لملأها روعة.

13.1 الفرق بين مجلس وناد

إن الباحث عن مادتيّ (جلس، ندى) يجد لهما مدلولين متقاربين في المعاجم القديمـــة؛ يقول ابن فارس: والنادي والنديّ: المجلس يندو القوم حواليه، وإذا تفرقوا فليس بنـــديّ[2]، ويقول في ذلك صاحب اللسان والنادي كالندي ولا يكون نادياً حتى يكون فيه أهله فيقـــع على المجلس وأهله، وفي حديث الدعاء(فإن جار النادي يتحول أي جار المجلس)، وقال بشر بن حازم:

ومـــا ينـــدوهمُ النَّـــادي ولكـــن		بكــــلِّ محلَّـــةٍ منهـــــمْ فئـــامُ

أي ما يسعهم المجلس من كثرتهم [3]أما صاحب أساس البلاغة فيقول: جلس في نادي قومه ونديّهم وندوتهم ومنداهم ولهم أندية وأنديات، وقال كثيّر:

لهــمْ أنــدياتٌ بالعشِـــيِّ وبالضُّـــحَى		بهاليــــلُ يرجُـــو الرّاغبـــونَ نوالَهــــا

وأندو وتنادوا: تجالسوا وناديهم جالسهم[4].

ومن هنا ندرك أن المعاجم القديمة خلطت كثيراً بين مدلول المادتين؛ حيث جعلتهمـــا مترادفتين في المعنى، ولم تثبت أي فوارق بين معانيهما.

---

(1) المصدر نفسه، ج19، ص323-324.

(2) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1969م، مادة ندى.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة ندى.

(4) الزمخشري، أساس البلاغة، مادة ندى.

ولكن بعض المعاجم الحديثة جاءت أكثر تحديداً؛ حيث جــاء فــي المعجــم الوســيط "والنادي أو المنتدى مكان مهيأ لجلوس القوم فيه والغالــب أن يتفقــوا فــي صــناعة أو طبقة"[(1)].

ومن هنا يمكن أن نصل إلى ثلاث قضايا؛ أولها : أن كلمة مجلس تطلق على المكــان والجماعة، أما النادي فلا تطلق على المكان إلا إذا كان الناس مجتمعين فيه، وثانيهــا : أن ما يجمعهم في هذا المجلس هو رابط معيّن كأن يكونــوا شــعراء أو أدبــاء أو مجــالس سياسية...، وثالثها: أن مادة جلس هي أوسع وأشمل في المدلول اللغوي من مادة ندى.

14.1 دور المجالس الشعرية في تحفيز قرائح الشعراء

للمجالس الشعرية دور مهم في تحفيز قرائح الشعراء؛ فالمجلس مكــان يجتمــع فيــه الشعراء يتناشدون فيه الأشعار، وهذا أدى إلى خشية الشعراء من الوقوع في اللحن أمــام النقاد مما دفعهم إلى مراجعة أشعارهم وتهذيبها وتقويم اعوجاجها للوصول إلى أعمال فنية جميلة تكون نموذجاً فذّاً يعلق في نفوس المتلقين، ومع ذلك قام الشعراء بالتهيُّؤ للــدخول إلى الخليفة ولبس لباس خاص مثل العمامة التي ترمز إلى العروبة التي تــرتبط ضــمناً بالفصاحة والبلاغة، ويمكن القول إن المجالس الشعرية كانت أرضاً خصبة لإنتاج نماذج فنيَّة رائعة في أدبنا العربي، مما ساعد على بروز ظــاهرة المختــارات الفنيّــة، وكــان للأعطيات أو الجوائز دور كبير في تحفيز قرائح الشعراء من خلال المنافسة في تجويــد الشعر لإصابة الهدف الذي يريده الخليفة؛ فالشعر -كما يقال- على ما يهــوى الخليفــة، والناظر في مجلس هارون الرشيد يجده حافلاً بالأعطيات؛ ففي موقفه مع الأصمعي يقول صاحب تاريخ بغداد: "دخل الأصمعي على هارون الرشيد ومجلسه حافــل، فقــال : يــا أصمعي ما أغفلك عنا وأجفاك لحضرتنا : قلت: والله يا أمير المؤمنين ما لاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك، قال: فأمرني بالجلوس، فجلست وسكت عني، فلما تفرق الناس -إلا أقلَّهــم - نهضت للقيام ، فأشار إلي أن إجلس، فجلست، حتى خلا المجلس، فلم يبق غيري وغيــره وما بين يديه من الغلمان، فقال لي يا أبا سعيد: ما لاقتني؟ قلــت : أمســكتني يــا أميــر المؤمنين، وأنشدت:

كَفَّــاكَ كَــفٌّ مــا تُلِيــقُ دِرْهَمــاً ... جُوداً وأُخــرى تُعْــطِ بالسَّــيْفِ الــدَّمَا

(1) أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة ندى.

فقال: أحسنت وهكذا فكن في الملأ، وكلمنا في الخلاء، وأمر لي بخمسة آلاف دينار"[1]. وهذا يدل على تشجيع الخليفة هارون الرشيد للشعراء ومكافأتهم.

وفي موقف آخر يظهر فيه الرشيد ناقداً مشجعاً للشعر، وفي الوقت نفسه يقوم اعوجاج بعض الأشعارفقد دخل إبراهيم الموصلي على الرشيد د لمّا نزل في طريقه الى طوس بشبداز، فجلس يشرب عنده فغناه يقول:

رأيت الدين والدنيا مقيمين بشبداز
أقاما بين حجاجٍ وغازٍ أيما غاز

"فأمر له الرشيد بألف دينار، ولم يستحسن الشعر وقال له يا إبراهيم، صنعتك فيه أحسن من شعرك، فخجل وقال يا سيدي شغل خاطري الغناء، فقلت : لوقتي ما حضرني، فضحك الرشيد من قلبه وقال له: صدقت"[2].

وهذا يدل على حسن تعامل الرشيد ومكافأته لهم.

ولعلَّ الموقف الذي يبرز فيه الرشيد ناقداً ونحوياً ومصحِّحاً ومقوّماً ومعللاً أسباب نقده بأسلوب ارتجال عفويّ، ومن ذلك دخول محمد بنذؤيب العماني الراجز على الرشيد ، فأنشده أرجوزة يصف فيها فرساً شبه أذنيه فيها بقلم محرف:

كأن أذنيه إذا تشوفا قادمة أو قلماً محرفا

ولحن ففهم أكثر من حضر،فقال له الرشيد :دع كأن، وقل :تخّال أذنيه إذا تشوفا " حتى يستوي الإعراب[3].

ومن خلال هذا الموقف أدرك الرشيد وجلساؤه بأن الخطأ الذي وقع فيه الشاعر؛ حيث نصب خبر (كأن)، وسرعان ما غيّرها الرشيد لتكون سليمة من حيث اللغة قبل أي نقد آخر يمسّ مضمون هذا التشبيه، ونستنتج أيضاً من ذلك قوّة بديهة الرشيد وبلاغته في الرد على الشعراء وتبيين عيوب شعرهم.

ومن الأخبار التي تُبيّن الرشيد ناقداً للأسلوب نقداً عاماً أن أبا الغول دخل على الرشيد فأنشده مديحا، فقال الرشيد :يا أبا الغول، فقال :لبيك يا مولانا أمير المؤمنين، قال : إن في أنفسنا من شعرك شيئاً، فلو كشفته بشيء تقوله على البديهة؟ قال: والله ما أنصفتني يا أمير

---

(1) البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص9.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص169.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص292.

المؤمنين، قال: ولم؟ إنما هذا امتحان، قال: لأنك جمعت هيبة الخلافة وجلالة الملك وحيرة الاقتضاب، على أني أرجو أن أبلغ ذلك ما تريد، فالتفت فإذا الأمير قائم عن يمينه والمأمون عن يساره فأنشأ يقول:

بنيتَ بعبد الله بعد محمد ذُرَى قُبَّة الإسلام فاخْضَرَّ عودُها

هما طُنُباها بارَك الله فيهما وأنت - أميرَ المؤمنينَ – عمودُها

فقال الرشيد:أنت يا أعرابي، بارك الله فيك، وأحسنت وأجدت، فقال يا أمير المؤمنين: امتحني بما شئت ليزول ما بقلبك من الريبة والشك في شعري، فقال لا حاجة بنا إلى ذلك أنت شاعر مقتدر، والذي قيل فيك باطل، ثم وصله بعشرة آلاف درهم، وخلع عليه[1].

ومن خلال هذا الخبر ندرك أن الرشيد أعطى حكماً عاماً ليمتحن فيه الشاعر ويبين فيه الدقة في البديهة والارتجال عند الشعراء، وهذا يدل على معرفة الرشيد وذوقه في الشعر وحثه الشعراء على قول الشعر على البديهة.

ومن الصور النقدية في مجالس الرشيد امتحان الرشيد للنقاد في حكمهم على الشعراء في المجالس؛ فالرشيد يعقد مجلساً بعد عودته من الحج يجمع فيه بين الشعراء والنقاد ليمتحن الشعراء في طي المنازل ويأمر النقاد في المفاضلة بين الشعراء وكان من أشهر النقاد الموجودين العباس بن محمد، فقد سأل الرشيد الفضل بن الربيع : هل قال أحد غير سلم الخاسر في وطي المنازل شيئاً؟ وكان الرشيد قد انصرف من الحج وطوى المنازل ، فوصف ذلك سلم فقال الفضل : نعم يا أمير المؤمنين، النمري، فأمر سلماً أن يثبت قائما حتى يفرغ النمري من إنشاده، فأنشد النمري قوله:

تخرق سربال الشباب مع البرد وحالت لنا أم الوليد عن العهد

فقال الرشيد للعباس بن محمد :أيهما أشعر عندك يا عم؟ قال : كلاهما شاعر، ولو كان الكلام يستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام النمري، فأمر له بمائة ألف درهم أخرى[2].

---

(1) ابن المعتز، أبو العباس عبدالله، (ت296هـ) طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط2، 1968، ص138.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص292.

ومن خلال هذا الموقف يتبين لنا حنكة الرشيد في إدارة المجلس لتحفيز الشعراء على تجويد أشعارهم، وتحسينها، فيفاضل بين الشعراء من خلال النقاد الموجودين ، فالرشيد يسأل العباس بن محمد في المفاضلة بين الشعراء وهنا تظهر أيضاً حنكة الناقد في المفاضلة؛ فالعباس لم يعطِ حكماً عاماً على الشعراء، وإنما حدّد مقياساً نقدياً معيناً، وهو استفحال جودة الكلام ليحكم للنمري بالتفوق، وأعجب الرشيد بالناقد وأجزل أعطيته.

ونلاحظ أن النقاد في مجلس الرشيد يعتمدون الأسس القديمة في الحكم على الشعراء من خلال انتخاب الألفاظ المناسبة للموقف وفي ذلك يقول إحسان عباس : "يعود بنا هذا المصطلح إلى طريق الخليل بن أحمد في انتخاب الألفاظ الدالة على شعر من طبيعة الحياة البدوية؛ فالفحل جملاً كان أو فرساً يتميز بما يناقض صفة اللين"(1).

والفحولة ربما تكون صفة القوة المباينة لصفة اللين وهي صفة الشعراء القدماء، "وطريق الشعر إلى الفحولة مثل امرئ القيس وزهير والنابغة"(2).

ومن صور تحفيز الشعراء على الإجادة في قول الشعر أن الرشيد وضع شرطاً لدخول الشعراء عليه، وهو الجمع بين الدين والدنيا في مدحه، وأمر الحاجب بإدخال من يُجيد ذلك فبادرابن أبي العلاء فاستأذن . فقال للحاجب: أدخله، فأدخله فقال له الرشيد : أنشدني قولك:

أغيثاً تحمل الناقة أم تحمل هارونا

فقال: أنشدك ما اخترته وشرطته اليوم، فقال: بل أنشدني الأبيات، فأنشده:

أغيثاً تحمل الناقة أم تحمل هارونا
أم الشمس أم البدر أم الدّنيا أم الدينا
ألا كلّ الذي عددّ ت قد أصبح مقرونا
على مفرق هارون فداه الآدميونا

قال: فأجزل له في العطاء، فاجتمع عليه الشعراء ففرق عليهم صلته، وكان الرسم في ذلك الزمان إذا وصل الخليفة أحداً من الشعراء وحرم الباقين أن يصلهم ذلك الشاعر ويعطيهم على منازلهم ومراتبهم(3).

---

(1) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1981، ص51.

(2) المرزباني، محمد بن عمران (ت384هـ)، الموشح، تحقيق: علي محمد البجاوي، مصر، 1965، ص9.

(3) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص150-151.

ومن خلال هذا المجلس نلاحظ أن الشاعر قد أحسن في بدايته فاستمال عطف الرشيد فخرج الرشيد عن شرطه فأمر بأن ينشده الأبيات كاملة فحقق الشاعر فيها الجمع بين الدين والدنيا في مدح الرشيد فأجزل الرشيد أعطيته، ونستشف من موقف الرشيد أنه قصد وصل أحد الشعراء وحرمان الآخرين؛ لتحفيز قرائحهم على البديهة في ارتجال الشعر ويُظهر الخبر أيضاً عادة من التكافل الاجتماعي بين الشعراء في توزيع الأعطية بعضهم على بعضهم.

وفي محاولة من أحد الشعراء لتغيير صورته عند الرشيد طلب أشجع السلمي من الرشيد أن يستمع له في هذه الأبيات التي يمدحه فيها فأذن له الرشيد بذلك تحفيزاً منه على قول الشعر، فأنشده قصيدته الميمية التي يقول فيها:

وَعَلى عَدُوِّكَ يا ابنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدانِ ضوءُ الصُبحِ وَالإِظلامُ

فَإِذا تَنَبَّهَ رعتَهُ وَإِذا هدا سلَّت عَلَيهِ سيُوفكَ الأَحلامُ

فلما بلغ هذين البيتين اهتز الرشيد وارتاح وقال : هذا والله المدح الجيد والمعنى الصحيح، لا ما عللت به مسامعي هذا اليوم -وكان أنشده في ذلك اليوم جماعة من الشعراء- ثم أنشده قصيدته التي على الجيم وهي قوله:

مَلِكٌ أَبوهُ وَأُمُّهُ مِن نَبعَةٍ منها سِراجُ الأُمَّةِ الوَهّاجُ

شَربا بِمَكَّةَ في ذُرا بَطحائِها ماءَ النُبُوَّةِ لَيسَ فيهِ مِزاجُ

فلما سمع هذين البيتين كاد يطير ارتياحاً ثم قال : يا أشجع، لقد دخلت إليّ وأنت أثقل الناس على قلبي، وإنك لتخرج من عندي وأنت أحب الناس إليّ .فقال له :فما الذي أكسبتني هذه المنزلة؟ قال له الغنى، فاسأل ما بدا لك . قال:ألف ألف درهم . قال: ادفعوا إليه(1).

ونرى من هذا الموقف أحد ثمار تحفيز الرشيد لقرائح الشعراء على قول الشعر الجيد والمعنى الصحيح؛ فهذا أشجع السلمي صاحب الصورة السوداء عند الرشيد وأثقل الناس عنده أصبح أحبّ الناس إليه؛ فأجزل له العطاء لحسن إجادته هذه الأبيات.

وفي صور أخرى من صور التحفيز لقرائح الشعراء أن خرج الرشيد يوماً على الشعراء مهموماً متغير النفس، وقال لهم أيُكم أصاب المعنى الذي في نفسي فله عشرة

---

(1) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص251.

آلاف درهم، فقال ابن أبي حفص: قد حضرني بيت يا أمير المؤمنين، قال: هـات فأنشـأ يقول:

مَجلِسٌ يُنسَبُ السُرورُ إِليهِ   بِمُحِبٍّ رَيحانُهُ ذِكراكِ

فقال أحسنت والله، يا فضل أعطه عشرة آلاف درهم، ثم قال ابن أبي حفص: قد حضرني بيت ثان يا أمير المؤمنين، قال: هات، فأنشأ يقول:

كُلَّما دارَتِ الزُجاجَةُ زَادَت   هُ اشتِياقاً وَحُرقَةً فَبَكاكِ

قال: أحسنت والله، يا فضل أعطه عشرة آلاف درهم(1).

ويظهر من هذا الخبر صورة أخرى من صور تحفيز الرشيد لقرائح الشعراء، بأن وضع شرطاً للشعراء في وصف حاله عندما خرج إليهم، ووضع لهم جائزة مقدارها عشرة آلاف دينار تحفيزاً منه على ارتجال الشعر، فكرم الفضل على حسن إصابته المعنى الذي في نفسه، وهذا يدل على القدرة الفائقة للشعراء على الارتجال.

ولم يقتصر مجلس الرشيد على تحفيز قرائح الشعراء في المديح، بل حاول التنويع في الأغراض الشعرية، فقد طلب إلى أبي العتاهية أن ينشده أجمل ما قال في الوعظ فأنشده:

لا تَأمَنِ المَوتَ في طَرفٍ وَلا نَفَسٍ   وَإِذا تستَّرت بِالأبوابِ وَالحَرَسِ
واعلم بأنّ سِهام المَوتِ قاصِدةٌ   لكلِ مُدَّرِعٍ مِنّا وَمُتَّرِسِ
تَرجو النَجاةَ وَلَم تَسلُك طريقتها   إِنَّ السَفينَةَ لا تَجري عَلى اليَبَسِ

قال: فبكى الرشيد حتى بل كمّه(2).

ونلاحظ من هذا الخبر أن الشاعر استخدم عباراتٍ مطابقةً للغرض الذي طلبه الرشيد (الوعظ) فتأثر الرشيد بهذه الأبيات فأجهش في البكاء، وهذا يدل على تأثر الرشيد بالوعظ، وقدرة الشعراء على التنويع في أغراض الشعر.

وهذا مجلس آخر يؤكد ما ذهبنا إليه وهو أن الرشيد كان يركز على الإجادة بديهة وارتجالاً، فقد دخل ابن السَّماك على الرشيد يوماً وبين يديه حمامةٌ تلتقط حباً، فقال له: صفها وأوجز، فقال: كأنما تنظر من ياقوتتين، وتلتقط بُدرتين، تطأ على عقيقتين، وأنشده:

هتفت هاتفة   أذنها إلف ببين

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج14، ص10.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص106؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص218.

ذات طـــوق مثـــل عطــــــ ـــــف النـــون أقنـــى الطـــرفين

وتراهـــــــا نـــــــاظرة نحـــــوك مـــــن يـــــاقوتتين

ترجـــع الأنفـــاس مــــن ثقبـــــــين كـــــــاللؤلؤتين

وتــــرى مثــــل البســـا تــــين لهـــــا قـــــادمتين

ولهـــا لحيـــان كالصــــد غـــين مـــن عرعـــــرتين

ولهـــا ســـاقان حمــــــ ـــــراوان مثــــل الــــوردتين

نســـجت فـــوق جنـــا حيهـــا لهـــــــا برنوســــــــتين

وهـــي طاووســـية اللـــون بنـــــــان المــــــــذكبين

تحـــت ظـــل مـــن ظـــلال الأيــــك صـــاف الكتفــــين

فقـــدت إلفـــا فناحــــت مـــــن تبـــــاريح وبــــــين

فهـــي تبكيــــه بــــلا دمــــــع جمــــود المقلتــــين

وهـــي لا تُصـــبَغُ عينـــا هـــا كمـــا تصـــبغ عينـــي[1]

ومن هذا الخبر يمكن أن نستشف أكثر من قضية؛ أولها : حرص الرشيد على تحفيـز قرائح الشعراء ارتجالاً وبديهة، وثانيها : أن الرشيد يضع شروطاً أمام الشـاعر والناقـد بحيث لا يخرج عنها، وثالثها استعداد الشاعر للنظم والإتقان في الوصف والتشبيه بأنواعه المختلفة.

أما عن صورة الرشيد داخل المجلس؛ فيقول محمد علي هاشم : وفي مجلس الرشـيد، كان الرشيد واسع المشاركة وكا ن لا يكتفي بالحضور والسماع أو السؤال بل كان يشارك بنفسه وبعلمه، فيستنتج ويناقش ويفسر ويوضح، يعيش الموضـوع بكـل جارحـة مـن جوارحه، وكأنه لا يقل خطورة عن شؤون السياسة أو أمور الحرب، كاشفا بـذلك عـن معرفة بالنحو وتمكن منه، يبدي ملاحظته ويقوم أخطاء الأدباء وأهل اللغة[2].

وأرى أن هذه المشاركة لم تكن مفتعلة من الرشيد وإنما هي من طبعـه وسـجيته أن يشارك جلاّسه مشاركةً تنبع من ذوق، وحسٍّ مرهف بالشعر.

---

(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص359.

(2) هاشم، علي محمد، الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتّى نهاية القـرن الثالـث الهجري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982، ص123.

أما عن الرشيد النحويّ فقد كان يجالس كبار علماء النحو، ويشاركهم في مناقشة القضايا الخلافية، ويطرح الأسئلة ويمتحن كبار علماء النحو، ومن ذلك أن العماني دخل على الرشيد وأنشده أرجوزة يصف فيها فرساً شبه أذنيه بعلم محرّف، فقال:

كأن أذنيه إذا تشوفا قادمةٌ أو قلماً محرفاً

فقال الرشيد: دع كأن وقل تخال حتى يستوي الإعراب[1].

وفي خبر آخر يظهر فيه الرشيد لغوياً يغرف من بحر من العلم يمتحن فيه كبار علماء اللغة؛ حيث التفت إلىيحيى بن أكثم ، فقال: أنبؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبئه . فلم أدر ما قال وقمت لأخرجفلما نظر إليّ وقد قمت رمى إليّ بعنبرة كانت في يده بعتها بخمسة آلاف درهم، قال: فرجعت إلى كتبي فنظرت فيها لأعرف ما قال فوقعت على هذه الأبيات لبعض الأعراب:

كأنما بنت أبي المحيريه قاعدةٌ في إتبها لُؤيليه

قد فاقت البؤبؤ والبؤيبيه

فعلمتُ أنه عنى السيد وابن السيد[2].

وهكذا نرى أن الرشيد يحاول التنويع بين الأغراض الشعرية، ويتجاوزها إلى اللغة وهو بهذا يثبت تفوقه، وكل ذلك لتحفيز قرائح الشعراء والنقاد والنحويين واللغويين للإجادة والإلمام بجميع العلوم لأن النقد يحتاج إلى الإلمام بمختلف الثقافات والعلوم، وبذلك يكون النقد خطا خطوة إلى الأمام في عهد الرشيد ليصبح هادفاً وأقرب ما يكون إلى التعليل في معظم المناسبات.

ولم يمنع نقد الرشيد الصارم وامتحانه من أن يُستعطف أحياناً ببعض الكلمات التي تحرك مشاعرهُ وتثيرها فقبعث الرشيد بالحرشي إلى ناحية الموصل، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج، فوافى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به؛ فرأيت أبا العتاهية وقد أخذه شبه الجنون، فقلت له: مالك ويحك؟ فقال لي:

---

(1) الخطيب، البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، ص271.

(2) البيهقي، إبراهيم بن محمد، من علماء القرن الرابع الهجري، المحاسن والمساوئ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص406.

سبحان الله أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة ؟، ولا تتعلق كفي بشيء منه، ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده:

اللَّـــهُ هَـــوَّنَ عِنـــدَكَ الـــدُنيا وَبَغَّضَـــها إِلَيكـــا
فَأَبَيـــتَ إِلاّ أَن تُصَغِّـــرَ كُـــلَّ شَـــيءٍ فـــي يَـــدَيكا
مـــا هانَـــتِ الـــدُنيا عَلـــى أَحَـــدٍ كَمـــا هانَـــت عَلَيكـــا

فقال له الفضل بن الربيع : ياأمير المؤمنين، ما مدحت الخلفاء بأصدق من هذا المدح . فقال: يا فضل، أعطه عشرين ألف درهم[1].

ويظهر هذا الخبر رقّة قلب الرشيد على الـ جواري فيجزل لهنَّ العطايا والهدايا، ومـع هذا فلم يكن الرشيد يجزل العطاء إلاّ لمن أجاد وأحسن وعندها يُجزل العطاء فـ لم ير خليفة قبله أعطى منه، أعطى مرة سفيان بن عينة مائة ألف، وأجاز إسحاق الموصـلي مـرة بمائتي ألف، وأجاز مروان بن أبي حفصة مرة على قصيدة خمسة آلاف دينـار وقلعـة ومرمى من مراكبه وعشرة من رقيق الروم[2].

وهذا مجلس آخر يدل أيضاً على كرم الرشيد وعطفه على الشعراء والنقاد؛ حيث دخل عليه سعيد بن وهب : فلما دخلت عليه، صاروا بي إلى مجلس كان بيني وبينـه سـجف فسلمت فرد السلام. ثم قال لي: سعيد، بم حدثت الفضل حتى وهب لك الدواج؟ فقلـت : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني، فإنه كان شيء في أيام الحداثة والجهالة. قال: لا بد منـه. قلت: يا أمير المؤمنين، أنت إمام، ولا يجوز أن أحدثك مثل هذا من غير أمان، أفأنا آمنٌ حتى أحدثك؟ قال: تحدث وأنت آمن . قال: فحدثته الحديث، وأنشدته الشعر . فضحك وقال: يا غلام، أعط سعيداً ثلاثين ألف درهم[3].

ونلحظ من هذا الخبر تدخل الرشيد في علاقة الشعراء والنقاد بعضهم ببعض ليسمع ما جادت به قرائحهم ويجزل لهم العطاء.

ولقد كان الدور الأكبر في ازدهار الشعر وتحفيز الشعراء يعود إلى عطـاء الخليفـة هارون الرشيد للشعراء، والكرم الجم الذي أسبغه عليهم فقد كان يجتمع "وجوه العرب من

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص67.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص327.

(3) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص259.

أهل الشام والجزيرة والعراق ،فخرج وصيفٌ كأنه درةٌ فقال : يا معشر الصحابة، إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام، ويقول لكم: من كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعفر:

نـــامَ الخلـــيُّ ومـــا أُحـــسّ رُقـــادي   والهـــمُّ مُحتَضـــرٌ لَـــدَي وســـادي

فليدخل فلينشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهمٍ"[1].

هذا موجز عن تحفيز الرشيد لقرائح الشعراء، وأثر المجالس النقدية على الأدب؛ حيث خطا النقد والشعر في زمن الرشيد خطوة إلى الأمام؛ ليصبح هادفاً واقرب ما يكون إلـــى التعليل في معظم المناسبات، وكذلك أصبح النقد يشمل أجزاء القصيدة كلها فلم يعد جزئياً.

وقد لاحظنا خلال هذه النماذج أن الرشيد كان غالباً ما يقود المجلس ويُحركه بطـــرق مختلفة منها:

1. إما أن يضع شرطاً معيّناً بحيث يختبر بديهة الشعراء والنقـــاد ارتجـــالاً؛ كخبـــر وصف الحمامتين أو مدحه بالدين والدنيا بإيجاز.
2. أو يسأل سؤالاً عن معنى كلمة مثلاً؛ كما في حديثه مع اللغويين والنحويين.
3. أو يحدد غرضاً معيناً للشعراء، ويتحدث عنه كما حدث مع أبي العتاهية في وعظ الرشيد.

ومن العوامل التي أثرت في تحفيز قرائح الشعراء:

1. الأسلوب الحسن الذي كان الرشيد يقود به المجلس معتمداً على بحرٍ مـــن العلـــم يغرف منه، ويسأل أنّى شاء؛ فيتبين تفوقه في كل الميادين والصعد.
2. العطايا التي كان يجزلها الرشيد على الشعراء والنقاد.

والنتيجة أنَّ فترة الخلافة الرشيدية كانت فترة ازدهار ثقافي واقتصادي؛ مما كان لـــه بالغ الأثر على الأدب.

---

(1) البيهقي، المحاسن والمساوىء، ص16.

الفصل الثاني

مواكبة المجالس الشعرية للمناسبات الاجتماعية العامة والخاصة

إن الدارس للحياة الاجتماعية في العصر العباسي عامة، وفي خلافة الرشيد خاصة يجدها حافلة بالمناسبات الاجتماعية العامة والخاصة؛ فكانت هذه الفترة من أفضل الفترات التي مرت على المسلمين، فقد وصلت الخلافة حينئذٍ إلى أعلى درجاتها علماً وأدباً وقوّة.

وكان لهذه الأحداث والمناسبات صدىً كبير في الأدب العباسي؛ حيث سجل مثل هذه الأحداث والمناسبات، وخاصة في المجالس الشعرية؛ حيث لم يترك منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

ومن هنا كان الشعراء ينتهزون مثل هذه الفرص ليسجلوها بأدق حذافيرها مبرزين فيها صورة الحاكم وأسرته ودورهما العظيم في تنمية الشعر وتمحيصه، وتجويده، دون أن يخلو ذلك من الصنعة والتكلف أحياناً؛ ليظفروا من ورائه بالأعطيات والمكافآت الجزيلة.

1.2 التهنئة بالأعياد

ونقصد بالأعياد عيدي الفطر والأضحى المباركين، حيث كان الشعراء يستغلون مواسم الأعياد فينضمون الأشعار ويهدونها إلى الخليفة، وينظمون فيها غرّ قصائدهم؛ حيث غنّت عُلَيَّة بنت المهدي الرشيد في يوم عيد الفطر:

طالت علي ليالي الصوم واتصلت   حتى لقد خلتها زادت على الأبدِ

شوقاً إلى مجلس يزهى بصاحبه   أعيذه بجلال الواحد الصمدِ(1)

وهنا نلاحظ أن المغنية أشارت إلى أن المجلس يتوقف طوال شهر رمضان حتى أن المغنية اشتاقت إلى هذه المجالس بعد ليالٍ طوالٍ صعبةٍ مرّت عليها ليأتي العيد بعدها، فيعود أهل المجلس له يهنئ بعضهم بعضاً ويدعون فيه للخليفة بطول البقاء.

وفي خبر آخر قدم الرشيد الرقة من شهر رمضان سنة 19هـ بعد أن فتح هرقلة، فلما جاء العيد جلس فدخل عليه المهنئون، وكان من بينهم شعراء كثر، وفيهم أشجع السلمي فبدر فانشده:

لا زِلتَ تَنشُرُ أَعياداً وَتَطويها   تمضي بِها لَكَ أَيّامٌ وَتُثنيها

(1) البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص8.

وَلا تَقَضَّت بِــكَ الــدُنيا وَلا بَرِحَــ ت يَطوي لَكَ الــدَهرُ أَيّامــاً وَتَطويهــ ا
وَلِيَهنِـــكَ الفَـــتحُ وَالأَيّـــامُ مُقبِلَـــةٌ إِلَيكَ وَالنَصـــرُ مَعقــودٌ نَواصـــيه ا
أَمسَـــت هِرقلَـــةُ مَكلومـــاً جَوانِبهـــا وَناصِـــرُ الــدينِ بِالتَــدبيرِ يَرميهــ ا
مَلَكَّهـــا وَقَتَلَـــت النـــاكِثينَ بِهـــ ا بِنَصرِ مَن يَملِكُ الــدُنيا وَمـــا فيهــ ا
ما روعِيَ الدينُ وَالــدُنيا عَلـــى قَــدَ م بِمِثـــلِ هـــارونَ راعيـــهِ وَراعيهـــا

فأمر له بعشرة آلاف دينار وقال: لا ينشد في أحد بعده بشيء، فقال أشجع: والله لأمره ألا ينشدها احد من بعدي أحب إلي من صلته(1).

ودخل عليه ثاني يوم من العيد فقال:

اســـتَقبِل العيـــدَ بِعُمـــرٍ جَديـــ ـــد مَـــدَّت لَـــكَ الأَيّـــامُ حَبـــلَ الخُلُـــودِ
مُصَـــعِّداً فـــي دَرَجـــاتِ العُـــ لا نَجمُـــكَ مَقـــرونٌ بِسَـــعدِ السُـــعود(2)

ومن هنا نلاحظ أن الأعياد كانت مجتمعاً للشعراء ينظمون فيها دُرَر القصائد، وينتقون فيها أجمل الأوزان وأنسب القوافي؛ بحيث استخدم وزن البسيط الذي يناسب بثّ ما يخلج في الصّدر، وكذلك يناسب الشعر المعنى وقد اختار أيضاً قافية فيها المدّ ليطيل فيها مــد القوافي أمام الحاكم، ونلاحظ أيضاً أن المهنئين بالأعياد والمناسبات كانوا كُثُراً وخاصـــة الشعراء.

2.2 التهنئة بالشفاء من المرض

لقد كان الشعراء يغتنمون فرصة شفاء الخليفة فيُهرعون إليه مهنئـين بالشـفاء مـن المرض، ويخففون عنه بعض آلامه من خلال أبيات من الشعر محاولين فيها التسرية عن نفسه المتعبة جرّاء صراعه مع المرض ، فقد حُمَّ الرشيد مرة فجاءه أبو العتاهية يخفـف عنه بأبيات من الشعر صار بها برقعة الى الفضل بن ربيع، منها:

لَو عَلِـمَ النـــاسُ كَيــفَ أَنــتَ لَهُــ م مـــاتوا إِذا مـــا أَلِمـــتَ أَجمَعُهُـــ م
خَليفَـــةُ اللَـــهِ أَنـــتَ تَـــرجَحُ بِـــال نـــاسِ إِذا مـــا وُزِنـــتَ أَنـــتَ وَهُـــم
قَـــد عَلِـــمَ النـــاسُ أَنَّ وَجهَـــكَ يَــس تَغنـــــي إِذا مـــــا رَآهُ مُعدِمُـــــهُم

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص202.
(2) المصدر نفسه، ج10، ص216.

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد، فأمر بإحضار أبي العتاهية فما زال يسامره ويحدثه إلى أن برئ، ووصل إليه ذلك السبب مال جليل[1].

ونلاحظ من هذه الأبيات أن الشاعر قد نجح في الدخول إلى قلب الخليفة ليخفف عنه بعض آلام المرض من خلال استخدام ألفاظ مطابقة لمقتضى الحال، تجمع بين مضامين مهمّة؛ مثل: مكانة الخليفة بين الناس وأثر مرضه على الناس؛ حيث بيَّن هذا المرض المكانة العاليةللرشيد في مجتمعه، وأن علاقتهما كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى؛ ولذلك أجزل الخليفة أعطيته لأبي العتاهية لحنكته في تسرية الخليفة.

3.2 التهنئة بالعودة من السفر

لم يترك الشعراء مناسبة صغيرة ولا كبيرة إلاّ شاركوا فيها، وخاصة الأمور المتعلقة بالخليفة؛ فقد سجّلوا معظم الأحداث الاجتماعية المتعلقة به حتى التهنئة بالعودة من السفر، فكان الشعراء يهرعون إلى الخليفة مهنئين بعودته سالماً من السفر، ويبرزون في أشعارهم نجاح الخليفة في مهامه التي خرج من أجلها؛ فقد هنَّأ الرشيد العماني عندما عاد من السفر إلى الرقة فقال:

هَارونُ يا ابنَ الأَكرمينَ مَنصِبَا   لَمّا تَرحَّلتَ فَصِرتَ كَثَبَا
مِن أرضِ بَغدادَ تَؤُمَ المَغرِبَا   طَابت لنا رِيحُ الجَنُوبِ والصَّبَا
ونُزِّلَ الغَيثُ لَنا لَحَتّى رَبَا   مَا كان مِن نَشزٍ ومَا تَصَوَّبَا
فمَرحَباً ومَرحَباً ومَرحَبَا

فقال له الرشيد: وبك مرحباً يا عماني وأجزل صلته[2].

ومن خلال هذا الخبر يتبين لنا مكانة الرشيد عند الشعراء، ودوره في تدبير شؤون الدولة؛ فقد هَنَّأَ الشاعر الرشيد بنسبه الشريف، وصوَّر قدومه بالغيث المنهمر؛ لما في ذلك من الخير الوفير الذي عمّ البلاد بقدومه من السفر، وفي خبر آخر هنَّأَ أشجع بن عمرو السلمي الخليفة بقدومه من الحج؛ حيث مُطِرَ النّاس في يوم قدومه، فأنشده في مجلسه أبياتاً يقول فيها:

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص20.

(2) ابن تغر بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، ص121.

إِنَّ يُمـــنَ الإِمـــــامِ لَمّـــا أَتانـــا لَيَجَ الغَيــثَ مِــن مُتــ ــونِ الغِمــامِ
فَابتِســامُ النَبــاتِ فــي أَثَــرِ الغَيـــ ـــثِ بِنُـــوارِهِ كَسُـــرجِ الظَـــلامِ
مَلِـــكٌ مِـــن مَخافَـــةِ اللهِ مـ غــضٍ وَهــوَ مُغــضٍ لَـــهُ مِـــنَ الإِعظـــامِ
أَلِـــفَ الحَـــجَّ وَالجِهـــادَ فَمـــا يَنـــ ـفَــكُّ مِــن سَــفرَتَينِ فــي كُــلِّ عــامِ
سَــــفَرٌ لِلجِهــــادِ نَحــــوَ عَــــدوٍّ وَالمَطايـــــا لِسَـــفرَةِ الإِحـــرامِ [1]

ويظهر من خلال هذه الأبيات أن قدوم الرشيد تزامن مع نزول المطر، ونموّ النباتات، وفي ذلك يشير الشاعر إلى الخير الوفير الذي عمّ البلاد بقدومه، كما أكَّد تقوى الرشـيد، وورعه ومخافته لله مؤكّداً أُلفة الرشيد للحجّ والجهاد.

4.2 التهنئة بمناسبة تقلُّد المناصب القيادية

لقد تجاوز الشعراء التهنئة بالقضايا الاجتماعية إلى القضايا السياسية، ليهنئوا الأمراء وأولياء العهد بمناسبة تقلُّدهم مناصب قيادية يخلعها عليهم الخليفة؛ فعندما عقـد الرشـيد البيعة بولاية العهد لابنه محمد الأمين يوم الخميس من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائـة، وضم إليه الشام والعراق من سنة خمس وسبعين ومائة[2].

وكان طبيعياً أن يتقرب الشعراء إلى الرشيد بتهنئة وليّ عهده، والتعبير عن فـرحتهم بتعيينه خليفة لأبيه على العرش بعد وفاته، ومن أولئك الشعراء محمد بن ذؤيب العماني؛ فقد ذهب مع الوفد من خراسان إلى الرشيد برفقة الفضل بن يحيى يحضونه على البيعـة لابنه محمد، فقعد لهم الرشيد على مراتبهم، وأظهروا السرور بما دعاهم إليه من البيعـة لابنه، فقال العماني:

لَمّـــا أَتانـــا خَبَـــرٌ مُشَـــهَّرُ أَغَــرُّ لا يَخفَــى عَلَــى مَــن يُبصِــرُ
وَلِلرجَـــالِ حَســـبُكم لا تُكثِـــرُوا فـــازَ بِهـــا مُحمـــدٌ فأقصِـــرُوا
قَـــد كَـــان هَـــذا قَبـــلَ هـــذا يُـــذكَرُ فـــي كُتُـــبِ العِلـــمِ التـــي تُسَـــطَّرُ
فَقُـــل لِمَـــن كَـــان قَـــديماً يَتجَـــرُ قَـــد نُشِـــر العَـــدل فَبِيعُـــوا واشـــتَرُوا
وَشِـــرِّقُوا وغَرِّبُـــوا وبَشِّـــرُوا فَقَـــد كَفَـــى الله الـــذي يُســـتَقدَرُ

---

(1) الحصري، أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تيم، (ت453هـ)، زهرة الآداب وثمرة الألباب، نشره زكي مبارك، دار الجليل، بيروت، ط4، د.ت، ص982.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص98.

وَقُلِّــدَ الأَمـــرَ الأغَـــرُّ الأزهَـــ رُ نَـــوءُ السِّــمَاكَين الَّـــذي يُســتَمطَرُ
وابـــتَهجَ النَّـــاسُ بِـــهِ واستَبشَـــرُوا وهَلَّلـــــوُا لِـــــرَبِّهم وكَبَّـــــرُوا
والمُـــــؤمِنُ المُبَـــارَكُ المُـــوَقَّرُ والطَّيِّـــبُ الأَغصَـــانِ والمُظَفَّـــرُ
فـــامنُن عَلينـــا بيَـــدٍ لا تُكفَـــرُ مَشـــهُورَةٍ مَـــا دَامَ زَيـــتٌ يُعصَـــرُ
وانظـــر لَنَـــا وَخَـــلِّ مَـــن لا يَنظُـــرُ واجسُـــر كمَـــا كَـــان أبُـــوكَ يَجسُـــرُ
فَـــأحكِمِ الأمـــرَ وأنـــتَ تَقـــدِرُ فَمِثـــلُ هَـــذا الأمـــرِ لا يُـــؤَخَّرُ [1]

ونلاحظ أن الشاعر جمع بين مدح الخليفة بالصفات القوية، ومدح وليّ العهد بها، مع الإشارة إلى نسبهما الشريف، والتصوير الدقيق لكل فصل من فصول البيعة من الأسد إلى هذا الشبل، وقد أجزل الرشيد العطايا والجوائز إلى العمّاني؛ فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد: أبشر يا عماني بولاية محمد العهد، فقال: إي والله يا أمير المؤمنين، بشرى الأرض المجدبة بالغيث، والمرأة النزور بالولد، والمريض المدنف بالبرء، قال: ولم ذاك؟ قال: لأنه نسيج وحده، وحامي مجده، وموري زنده. قال: فما لك في عبدالله ، قال: مرعى ولا كالسعدان، فتبسم الرشيد وقال: قاتله الله من أعرابي ،ما أعرفه بمواضع الرغبة، وأسرعه إلى أهل البذل والعائدة، وأبعده من أهل الحزم والعزم، والذين لا يستمنح ما لديهم بالثناء، أما والله إني لأعرف في عبدالله حزم المنصور ونسك المهدي، وعز نفس الهادي، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها[2].

فالرشيد يسمع لمشورة الشعراء إليه بولاية محمد العهد، وهذا يدل على الدور الذي كان يقوم به الشعراء في التدخل في شؤون الدولة، وسماع الخليفة لرأيهم وتنفيذه؛ فلقد رأينا أن الرشيد بشَّر العماني بولاية محمد العهد وأثنى عليه، وهذا دليل على المكانة العالية التي يحظى بها الشعراء في مجلس الرشيد، وفي مجالس الأمراء وولاة العهد؛ فقد كانوا يشجعون الشعراء على حث الخليفة لتعيين وليّ العهد، ويجزلون إليهم العطايا؛ لما لهم من تأثير قويّ على الخليفة.

وفي خبرٍ آخر ينقله الأصفهاني؛ دخل الفضل بن الربيع مع العماني على الرشيد، فأنشده أرجوزةً في مدحه، حتى انتهى إلى هذا الموضع:

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص98.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص13-15.

قُـــل للأمَـــام المُقتـــــدَى بِأمِّــــهِ: مَـــا قَاسِـــمٌ دُونَ مَـــدَى ابـــن أُمِّـــهِ
وقَـــــد رَضـــــيناهُ فَقُـــم فَسَـــمِّهِ

قال فتبسم الرشيد ثم قال : ويحك! أما رضيت أن أوليه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلي! فقال له العماني: ما أردت يا أمير المؤمنين قيامك على رجليك؛ إنما أردت قيام العزم، قال : فإنا قد وليناه العهد، وأمر بالقاسم أن يحضر. ومضى العماني في أرجوزته حتى أتى على آخرها، وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد، فجلس مع أخويه فقال له: يا قاسم، عليك جائزة هذا الشيخ، فقد سألنا أن نوليك العهد وقد فعلنا، فقال: حكمك يا أمير المؤمنين ، فقال : وما أنا وهذا؟ بل حكمك، وأمر له الرشيد بجائزة أخرى مفردة[1].

ومن هنا ندرك أن الشعراء كانوا ينقلون كل صغيرة وكبيرة، فهذا الشاعر أراد أن يستبق الأحداث ليضع النقاط على الحروف فنظم أرجوزته وجاء إلى المجلس يقولها متكسّباً.

ولقد هنّأ سَلْمٌ الخاسر المأمون بتوليته الرقة في سنة ثلاث وثمانين ومائة وولاه من همذان إلى آخر الشرق فقال:

بـــايَعَ هـــارونُ إِمـــامُ الهـــــدُى لِـــذي الحِجـــى وَالخُلُـــقِ الفاضـــــلِ
المُخلِــــفِ المُتلِـــفِ أَموالَـــــــهُ وَالضـــامِنِ الأَثقـــالِ لِلحـــامـــــلِ
وَالعـــالِمِ الناقِـــدِ فـــي عِلمـــــــهِ وَالحـــاكِمِ الفاضِـــلِ وَالــعـــــادِلِ
وَالراتِـــقِ الفـــاتِقِ حِلـــفَ الهُـــدى وَالقائِـــلِ الصـــادِقِ وَالــفــاعـــلِ
لِخَيـــرِ عَبّـــاسٍ إِذا حُصِّـــلوا وَالمُفضِـــلِ المُجـــدِي عَلـــى العائِـــلِ
أَبَـــرِّهِم بِـــــــراً وَأَولاهُـــــمُ بِـــالعُرفِ عِنـــدَ الحَـــدَثِ الـنـــازِلِ
لِمُشـــبِهِ المَنصـــــورِ فـــي مُلكِـــهِ إِذا تَـــدَجَّت ظُـــلمَةُ الباطِـــــلِ
فَـــتَمَّ بِالمَأمـــــونِ نـــورُ الهُـــدى وَانكَشَـــفَ الجَهـــلُ عَـــنِ الجاهِـــلِ[2]

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص193.

(2) الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص398؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص147.

ونلاحظ أنّ الشاعر قد جمع صفات ممدوحه في القصيدة حيث وصفه بأنه إمام الهدى وأشار إلى أخلاقه الرفيعة الفاضلة، وحمله لأثقال الدولة، وأنه حافظ أموالها، ثم أشار إلى أنه ناقد عالم، وحاكم فاضل، وأن قوله صدق، ولولا هذه الصفات القوية لما بويع بالخلافة.

وبعد مبايعة الرشيد لمحمد الأمين وعبدالله المأمون، كتب إليه عبدالملك بن صالح:

يا أيّها المَلِكُ الذي ... لو كان نجماً كان سَعْدا

اعقِدْ لقاسم بيعةً ... واقدْحْ له في الملك زَنْدا

اللهُ فردٌ واحِدٌ ... فاجعْلْ وُلاة الأمر فردا[1]

ومن هنا نرى أن الشعراء قد أحكموا قصائدهم أمام الرشيد ليحصلوا على أعطياته، فلم يخرجوها إلا بعد تنقيحٍ طويل يضمن فيه أعطيته بحيث تظهر الصنعة واضحة في هذه القصائد.

وقد برز دور الشعراء واضحاً في تحفيز الرشيد على تولية العهد لأبنائه من بعده فقد حض الرشيد الشعراء على مبايعة القاسم ، ثم بايع القاسم ابنه وسماه المؤتمن، وولاه الجزيرة والثغور والعواصم، فقيل:

حبٌّ الخليفة حُب لا يدين بِه ... من كان لله عاصٍ يعملُ الفِتَنَا

الله قلَّدَ هاروناً سياسَتنا ... لمَّا اصطفاهُ فأحيا الدينَ والسُّنَنا

وقلَّدَ الأرض هارون لرأفَتِه ... بنا أميناً ومأموناً ومؤتمنا[2]

ويظهر من ذلك وصف الشعراء للرشيد بأنه خليفة الله في الأرض، وأن الأمين والمأمون هم خلفاء خليفة الله في الأرض . فقد حاول الشعراء تهنئة ولاة العهد بتوليهم هذا المنصب وحثّهم على أن يكونوا مثل أبيهم الرشيد في الشجاعة والأخلاق وحبِّ الدين.

5.2 التهاني بنجاح وفادة في مهمة رسمية

لقد كان الرشيد يحب الرعية كلهم بشكل عام، وقد بعث إلى ملك الروم لفدية الأسرى المسلمين الذين كانوا ببلاد الروم سنة 189هـ، ولم يترك أسيراً واحداً في المسلمين إلا حاول إطلاق أسره، وقد قال الشاعر فيه:

وَفُكَّتْكَ بِالأَسرى الَّتي شُيِّدَت لَها ... مَحابِسُ ما فيها حَميمٌ يَزورُها

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص224.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص224.

عَلى حــينَ أَعيــا المُســلِمينَ فِكاكُهــا وَقالوا سُجونُ المُشــرِكينَ قُبورُهــا [1]

وهذا يدل على اهتمام الرشيد بالرعية من خلال بعث الوفود لفداء الأســرى؛ فهــذا الرشيد يأتي بما لم يؤتَ به من قبل ، ومما ليس بالبال ولا متوقع؛ فالرشيد يطلــق أســر المسلمين وينجح في إخراجهم سالمين، وبذلك يهنئ الشعراء الرشيد بنجاحه في إخراجهم، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على اهتمام الرشيد بالرّعيّة من خلال فديــة أســراهم وتحريرهم.

6.2 التهاني بالانتصارات العسكرية

وصلت الدولة العباسية في عهد الرشيد إلى أعلــى درجــات الازدهــار السياســي والاقتصادي فكان للرشيد علاقات مع الدول الخارجية، منها ما تميّز بعلاقــات ســلمية، ومنها ما كانت متوترة أدّت إلى اندلاع الحرب، أو إلى هدنة أحياناً مثلما حدث بين الرشيد وملكة الروم الملقبة بأغطسة امرأة اليون[2].

ومما تميز بالحرب والعداء علاقة الرشيد بالدولة البيزنطية؛ فقــد حــارب هــارون البيزنطيين قبل توليه الحكم في عهد أبيه حينما عهد إليه في عام 165هـ غزو الروم على رأس جيش عدته خمسة وتسعون ألفاً وتسعمائة وثلاثة وتسعون رجلاً، وتمكن الرشيد من هزيمتهم؛ مما أدى بــ(إبريني) ملك الروم إلى مصالحته، ودفع جزية ســنوية مقــدارها سبعون ألف دينار[3].

وقد شهدت العلاقة بين الرشيد ودولة الروم تقلبات كثيرة؛ ففي غــزوة فــتح هرقلــة تميّزت العلاقة بين خلافة الرشيد ومملكة الروم بالهدنة والعلاقة المتبادلة، ولكــن تــولى كاتبها نقفور الحكم، وضبط أمر الروم، وأعلن الحرب على الرشيد فبعث إليه برسالة يقول فيها: "من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب، أما بعد؛ فإن هــذه المــرأة كانــت وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك، ووضعت نفسها موضع السوقة، وإنــي واضــعك بغير ذلك الموضع، وعامل على تطرق بلادك والهجوم على أمصارك، أو تؤدي إلي مــا كانت المرأة تؤدي إليك، والسلام.

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص172.

(2) المصدر نفسه، ج 18، ص226.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص66.

فلما ورد كتابه على الرشيد كتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم -من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، أما بعد، فقد فهمت كتابك، وجوابك عندي ما تراه عياناً لا ما تسمعه"[1].

وبذلك أدرك الرشيد مضمون رسالة نقفور، وجهّز للروم جيشاً لم يُسمع بمثله من قبل وقادةً لا يجارون نجدة ورأياً، فتح بهم البلاد، ودكّ حصون الروم؛ فلما وصل الخبر إلى نقفور استسلم للجيش، ودفع الجزية السنويّة.

ومن هنا يأتي دور الشعراء في تخليد الانتصارات العسكرية؛ حيث اصطحب الرشيد الشعراء معه إلى المعركة ليصوّروها أدق تصوير، يبينون فيها صورة قائدهم ويقابلونها بصورة قائد العدو، ويبينون أيضاً صورة الجيشين عند الالتحام ليفضوا إلى نتائج المعركة، ويصورون كيفية استسلام العدو، وخضوعه لشروط الجيش الإسلامي ودفع الجزية، وفي ذلك يقول أبو العتاهية في وصف الرشيد:

إِمامَ الهُدى أَصبَحتَ بِالدينِ مَعنِيّا ... وَأَصبَحتَ تَسقي كُلَّ مُستَمطِرٍ رِيّا
لَكَ اسمانِ شُقّا مِن رَشادٍ وَمِن هُدى ... فَأَنتَ الَّذي تُدعى رَشيداً وَمَهْدِيّا
إِذا ما سَخِطتَ الشَيءَ كانَ مُسَخَّطاً ... وَإِن تَرضَ شَيئاً كانَ في الناسِ مَرضِيّا
بَسَطتَ لَنا شَرقاً وَغَرباً يَدَ العُلا ... فَأَوسَعتَ شَرقِيّاً وَأَوسَعتَ غَربِيّا
وَوَشَّيتَ وَجهَ الأَرضِ بِالجودِ وَالنَدى ... فَأَصبَحَ وَجهُ الأَرضِ بِالجودِ مَوشِيّا
وَأَنتَ -أَميرَ المُؤمِنينَ- فَتى التُقى ... نَشَرتَ مِنَ الإِحسانِ ما كانَ مَطوِيّا
قَضى اللَهُ أَن يَبقى لِهارونَ مُلكُهُ ... وَكانَ قَضاءُ اللَهِ في الخَلقِ مَقضِيّا
تجللت للدُنيا لِهارونَ ذي الرِضا ... وَأَصبَحَ نَقفورٌ لِهارونَ ذِمِّيّا [2]

فقد وقف أبو العتاهية عند صورة القائد الإمام الذي اعتزّ بالدين فأعزّه بقوته، وقد تطرّق إلى وصف هذا الممدوح بالجود والعطاء والإحسان والرحمة والأخلاق الحسنة مبدياً فيها صفات الرشيد القائد، والرشيد الحكيم والأب الحاني على شعبه، ثم يعرّج إلى نتائج هذه الحرب التي أدت إلى خضوع نقفور إلى شروط الرشيد، ودفع الجزية بعد الاستسلام والخضوع.

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص185.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص185.

وقد تجاوز دورُ الشعراء كونهم مسجلين للأحداث إلى مستشارين للخليفة يعبّرون عن آرائهم ويحفّزون الخليفة على الجهاد، وتجهيز الجيوش بعد نقض نقفور للعهد؛ حيث جاء إلى الرشيد شاعر يُكنّى بأبي محمد، وهو شاعر مجيد قويّ النفس، دخل إلى الرشيد، وأنشده قصيدة يخبره فيها:

نقض الذي أعطاكه نقفور ... فعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فإنه ... فتحٌ أتاك به الإله كبير

فلقد تباشرت الرعية أن أتى ... بالنقض عنه وافد وبشير

ورجت بيمنك أن تعجل غزوةً ... تشفي النفوس نكالها مذكور

أعطاك جزيته وطأطأ خدّه ... حذر الصوارم والردى محذور

فأجرته من وقعها وكأنها ... بأكفنا شعل الضرام تطير

وصرفت في طول العساكر قافلاً ... عنه وجارك آمن مسرور

نقفور إنك حين تغدر أن نأى ... عنك الإمام لجاهلٌ مغرور

أظننت حين غدرت أنك مفلتٌ ... هبلتك أمك ما ظننت غرور

ألقاك حينك في زواخر بحره ... فطمت عليك من الإمام بحور

إن الإمام على اقتسارك قادرٌ ... قربت ديارك أو نأت بك دور

ليس الإمام وإن غفلنا غافلاً ... عما يسوس بحزمه ويدير

ملك تجرد للجهاد بنفسه ... فعدوه أبداً به مقهور

يا من يريد رضا الإله بسعيه ... والله لا يخفى عليه ضميرُ

لا نصح ينفع من يغش إمامه ... والنصح من نصحائه مشكور

نصح الإمام على الأنام فريضةٌ ... ولأهله كفارةٌ وطهور(1)

إننا نلاحظ أن الشاعر بدأ بالموضوع الرئيس من الكلمة الأولى؛ حيث يخبر الرشيد بنقض نقفور للعهد ثم يعرض موقفه من هذا النقض بأنه نصر من الله وفتح قريب، ثم يعرّج إلى موقف الرعية من ذلك النقض بأنهم يتباشرون بهذا النقض؛ فهو بداية للفتح والنصر، ثم ينتقل إلى وصف ردّة فعل الرشيد بأنه قائد محنَّك حذر متجرّد للجهاد، وعدوّه اعتاد الهزائم أمامه، ثم يصف ما سيحل بالأعداء نتيجة هذا النقض.

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص169-170.

وبعد ذلك جهّز الرشيد جيشه قبل وصوله مدن الروم، وأخذ يفتح المدن والحصون والقلاع ويخرّبها حتّى وصل هرقلة، وكانت من أشد الحصون وأوثقها؛ وبعد معركة طويلة انتصر الرشيد ودكّ هذا الحصن، فهنّأه أبو العتاهية بهذا الانتصار، حيث قال:

أَلا نادَت هِرَقلَةُ بِالخَرابِ ... مِنَ المَلِكِ المُوَفَّقِ لِلصَوابِ
غَدا هارونَ يُرعِدُ بِالمَنايا ... وَيُبرُقُ بِالمُذَكَّرَةِ القِضابِ
وَراياتٍ يَحُلُّ النَصرُ فيها ... تَمُرُّ كَأَنَّها قِطَعُ السَحابِ
أَميرَ المُؤمِنينَ ظَفِرتَ فَاِسلَم ... وَأَبشِر بِالغَنيمَةِ وَالإِيابِ (1)

نلاحظ أن أبا العتاهية قد بدأ يصف نتيجة هذه المعركة بذكر الخراب الذي حلّ بهذا الحصن المنيع، وكل ذلك لم يكن إلاّ بفضل الله وحكمة الرشيد الموفق للصواب، ثمّ صوَّر الرشيد كأنّه موتٌ يرعد بالأعداء فيقتلهم، ثم يعود إلى وصف الجيش بعد النصر كأنه راياتٌ تمرُّ فوق السّحاب، ويعود ثانية بتهنئة الرّشيد بالنصر ويبشّره بالغنائم والفتح المبين.

وعندما وصل الرشيد للحصن استخدم الجيش المجانيق، وجعلوا فيها قذائف من النفط والحجارة تدكّ جدران الحصن فأضرمت النار فيه؛ فقال الشاعر يصف مجريات المعركة:

هوت هِرَقْلَةُ لما أن رأت عجباً ... حوائماً ترتمي بالنفط والنار
كأن نيراننا في جنب قلعتهم ... مُصَبّغاتٌ على أرسان قَصّارِ (2)

فقد بدأ الشاعر بنتيجة هذا القصف؛ حيث هوى الحصن أمام ضربات النفط والنار، واشتعل من جميع جوانبه؛ فأعظم الرشيد جائزته لحسن وصفه المنظر، وحسن التشبيه، وأمر المغنين أن يغنّوا هذه الأشعار.

وبينما الرشيد يتفقد الرعية، ويتجول في الأسواق إذ نظر إلى ماشية قد جيء بها، فظن أن الطاغية قدأتاه، فخرج يركض على فرس له وفي يده الرمح، وتبعه الناس، فلما تبين له أنها ماشية رجعوا، فغناه ابن جامع:

رأى في السما رهجاً فيمم نحوه ... يجر ردينياً وللرهج يستقر
تناولت أطراف البلاد بقدرةٍ ... كأنك فيها تقتفي أثر الخضر (3)

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج8، ص275، 276.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص276.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص276.

ومن ذلك ندرك أن الرشيد كان فارساً شجاعاً؛ إذ خرج وحده على فرسه لينازل الأعداء بسلاحه البسيط دون أن يأمر بتجهيز الجيش، ولكن الناس لحقوه، وبعد ذلك تبيّن للرشيد أنها ماشية فهمّ راجعاً.

وقد كان الملوك يهنّئ بعضهم بعضاً في الانتصارات العسكرية، ويبعثون بالهدايا؛ فقد بعث ملك الهند إلى هارون الرشيد بسيوف قلعية، وكلاب سيورية، وثياب من ثياب الهند؛ فلما أتته الرسل بالهدية أمر الأتراك فصفوا صفين، ولبسوا الجديد حتى لا يرى منهم إلا الحدق، وأذن للرسل فدخلوا عليه، فقال لهم : ما جئتم به؟ قالوا: هذه أشرف كسوة بلدنا، فأمر هارون القطّاعين أن يقطع منها جلالاً وبراقع كثيرة لخيله، فصلب الرسل على وجوههم، وتذمموا من ذلك ونكسوا رؤوسهم[1].

وهذا يدل على القوة التي يتمتع بها الرشيد في تعامله مع الوفود القادمة من الدول، وعليه فإننا من ذلك نتبين القوة العسكرية التي كانت في عهد الرشيد؛ فقد بدا هذا واضحاً في تعامل الرشيد مع هذا الوفد القادم إليه بخشونة وقوّة؛ فهو لا يخشى أحداً في عصره بسبب قوة جيشه المجهَّز بجميع المعدات.

أما عن عقليّة الرشيد العسكرية فقد عمل ديواناً للعرض ملحقاً إيّاه بديوان الحرب ليقوم بالإشراف على الجيش، ومن وظائفه استعراض الجند، ومعرفة كفاءاتهم من قبل مشرفين متخصصين. وألَّف بعضهم كراسات في الهندسة الحربية، كالتعبئة، وطرق الاستيلاء على الحصون، وتشييد القلاع، وفي الفروسية، وفي الحصار ، ولقد كانت حياة الرشيد جهاداً مستمراً حافلا:

فمن يَطلُب لِقاءَك أو يُرِدهُ ... فَبِالحرمَينِ أو أقصَى الثُغورِ
ففي أرضِ العدوِّ على طِمِرٍّ ... وفي أرض الثنيَّة فَوق كور
وما حَازَ الثغورَ سِواكَ خلقٌ ... من المتخلفين على الأمور[2]

ومن ذلك ندرك أهمية الجيش للرشيد، وأهمية الرشيد للجيش؛ فقد وصل الجيش في عهده إلى أعلى مراتب التجهيز؛ حيث أصبح العمل في الجيش وظيفةً لا تبرُّعاً، وأصبحت الكتب تُؤَلَّف وتُدرّس في الدواوين حول الهندسة الحربية والتعبئة وتشييد القلاع، وفي

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص21.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 288؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص193؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص118.

الأبيات وصفٌ لحياة الرشيد في جهاده المستمر، ووصفه في المعركة، وما يحل بالأعداء من الهزائم.

وقد هنَّأ مروان بن حفصة الرشيد بفتحه حصن الصفصاف حيث قال:

إن أميـــر المـــؤمنين المصـــطفى قد ترك الصفصاف قاعـــا صفصـــفا [1]

فقد ركَّز الشاعر على أثر الحرب على الحصن، بحيث تركه قاعاً صفصفاً، وذلـــكَ بأسلوب فنِّيٍّ جميل يظهر فيه الاقتباس من القرآن الكريم، والتصنُّع في الشعر والإكثار من حرف الصاد الذي يعطي جرساً موسيقياً صفيرياً.

ويتبين لنا مما سبق أن الشعر كان مواكباً للأحداث الاجتماعية العامة والخاصة، ولم يترك الشعراء صغيرة ولا كبيرة من هذه الأحداث إلا قالوا فيها الشعر؛ فكـــانوا يهنئـــون الخليفة بالأعياد الاجتماعية طالبين الرضا والـ مكافآت الكبيرة، وكانوا يهنئونه بشفائه مـــن المرض، ويدعون له بالشفاء العاجل، وكانوا أيضاً يهنّئونه بالعودة من الســـفر واصـــفين الخير الوفير الذي يحل عليهم بعودته، وكان الشـــعر مواكبـــاً للحـــروب والانتصـــارات العسكرية وتقليد المناصب؛ فكان الشعراء يهنئون الخليفة بولاية عهـ ده مـــن بعـــده، كمـــا يهنئونه بالانتصارات العسكرية مخلدين المعارك والأحداث الحربيـــة، مـــادحين الخليفـــة بنصره ومحفِّزينه قدماً للمضي في جهاده وفتحه الحصون، وواصـــفين هزيمـــة العـــدو وخذلانه، وكذلك يهنّئونه بنجاح الوفادات الرسمية إلى البلدان؛ لما لها من دور في تحرير أسرى المسلمين ومفاداتهم من الأعداء، وبذلك كله تبين واضحاً حرص الشـــعراء علـــى مواكبة الأحداث الاجتماعية عامة أو خاصة؛ لتخليدها من خلال القصائد الشعرية الطويلة أو القصيرة.

7.2 تأثُّر الشعر بالسياسة:

وكما أن للشعر بروزاً في الانتصارات العسكرية، والتهاني في كثير مـــن مـ جـــالات الحياة، كان للسياسة بروزٌ واضحٌ في الشعر؛ لأن العلاقة بين الشاعر والحاكم تظل علاقة منفعة ومصلحة متبادلة؛ فالشعراء يتقربون من خلال الشعر إلى الخليفة طمعاً في العطايا، والخليفة يرى في الشعر وسيلة للفخر، فكان الشعراء يظهرون قوة الخليفة، وقدرته علـــى هزيمة خصومه، وتفوقه عليهم، ومن الشعراء الذين كان لهم علاقة مباشـــرة بالخليفـــة،

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص309.

وصلة بالسياسة السيد الحميري الذي انتصر للعباسيين على الشيعة والعلويين، وقد مدح الرشيد بقصيدتين؛ فأمر له ببردتين ففرقهما، فبلغ ذلك الرشيد، فقال : أحسب أبا هاشم تورع عن قبول جوائزنا[1].

ومن هؤلاء الشعراء منصور النمري الذي كان متشيعاً، ولكنه مال إلى العباسيين طمعاً في نيل الجوائز، وقد عرف مذهب الرشيد في الشعر، وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب والطعن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم الرشيد لمروان بن أ بي حفصة، وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز؛ فسلك مذهب مروان في ذلك، ونحا نحوه ولم يصرح بالهجاء؛ والسبب أنه يفعل كما كان يفعل مروان، لكنه حام ولم يقع، وأومأ ولم يحقق؛ لأنه كان يتشيع[2].

فالشعراء كانوا ينتصرون في شعرهم لفئة معينة، وينتمون إليها؛ فإذا ضعفت هذه الفئة يحاولون البحث عن فئة قوية، ويمدحونها طمعاً في الجوائز والعطايا؛ فقد كان النمري منقطعاً للبرامكة، ومصافياً لهم، ولكنه طلب من الشعراء أن يذكروه عند الرشيد فأمر الرشيد بإحضاره، فلما دخل عليه أنشده:

مَيرَ المؤمِنينَ إِلَيـ ـكَ خُضـنا ... غِمارَ الهـولِ مِـن بَلَـدٍ شَطـ ـيرِ

يذلل مـن رِقـابِ بَنـي عَلـيٍّ ... وَمَـنٌّ لَـيسَ بالمـَنِّ الصغـيرِ

تمَننعَلى ابنِ عَبدِ اللَّـهِ يَحيـ ـى ... وَكانَ مِـنَ الحُتـوفِ عَلـى شَفيـ ـرِ

فَإِن شَكَروا فَقَد أَنعَمـتَ فيـ ـهِم ... وَإِلا فـالنَـدامَةُ لِلكَـفـورِ

وَإِن قالوا بَنـو بِنـتٍ فَحَـقٌّ ... وَردّوا مـا يُنـاسِـبُ لِلذكـور

وَما لِبَني بَنـاتٍ مِـن تُـراثٍ ... مَعَ الأَعلامِ فـي وَرَقِ الزَبـور[3]

فالشاعر في هذه الأبيات التي ينتصر فيها للخلافة العباسية مادحاً قوة الرشيد في المعارك، وذامًّا الشيعة وواصفاً إذلال الرشيد لهم، وهو يشير إلى عفو الرشيد عن عبدالله بن يحيى، مدافعاً عن الرشيد ونسبه العريق، ومحذراً عدوه من الندامة على ما يصنع، ومن هنا نرى أن مثل هذه القضايا أصبحت غرضاً من أغراض الشعر؛ بحيث يتبادل الشاعر والخليفة المنفعة في هذه الأبيات، ونرى أن العلاقة التي تجمعهم علاقة طرديّة؛

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج7، ص267.

(2) المصدر نفسه، ج13، ص141.

(3) المصدر نفسه، ج13، ص141-143.

تزداد المكافآت كلما زادت جودة القصيدة؛ وهذا بدوره أدى إلى غرق الشاعر في خلافات سياسية وفقهية ينتصرون فيها لمن يُجزل العطايا؛ ومن هنا نرى أن الشاعر يُدخل نفسه في خلافات لا علاقة له بها؛ فقد تسوء علاقته مع أحد الخلفاء، وقد ينتهي به إلى القتل أحياناً، وقد تجاوز دور الشاعر الانتصار لمذهب معيّن مقابل مكافأة إلى أن يتدخل في شؤون الحكم؛ كالعفو عن قبيلة ما، أو تحسين صورة قوم ما؛ "فقد بالغ النمري بشعره أن استطاع بقصيدة واحدة أن يجعل الرشيد يرفع السيف عن قبيلة ربيعة، ويحسن إليهم"(1).

ونلاحظ من ذلك قوة الشعراء في التأثير على الخليفة بالعفو عن قبائلهم، والتقرب منه؛ لما كان لكلماتهم من تأثير عليه؛ فكانوا بذلك يتدخلون في الأحداث السياسية، ويشاركون فيها من خلال ألسنتهم، ولكن ذلك لا يمنع وجود شعراء موالين للأعداء سواء كانوا عملاء أم يتبعون مذهب الأعداء نفسه، فإذا اكتشف الخليفة ذلك أمر بقتلهم؛ "فقد تبين الرشيد أن النمري يمدح العلويين، ويميل إليهم، وبلغه شعره في ذلك، فهم بقتله لولا أن المنية سبقته إليه"(2).

ومن الشعراء الذين تأثروا بالسياسة أبان بن عبدالحميد اللاحقي الذي كان منقطعاً إلى البرامكة، وكان الحسد يملأ قلبه عندما رأى جوائز الرشيد إلى الشعراء، فأراد أن ينال مثلها، وقد ذكر الرواة أنه عاتب البرامكة في إعطاء الرشيد الأموال للشعراء، وفقره مع ذلك، مع خدمته لهم وموضعه منهم، فقال الفضل: إن سلكت مذهب مروان أوصلك شعرك، وبلغت إرادتك، قال والله ما استحل ذلك، فقال له الفضل: كلنا يفعل ما لا يحل، ولك بنا وبسائر الناس أسوة، فقال أبان:

نشدت بحق الله من كان مسلماً ... أعم بما قد قلته العجم والعرب
أعم رسول الله أقرب زلفةً ... لديه أم ابن العم في رتبة النسب
وأيهما أولى به وبعهده ... ومن ذا له حق التراث بما وجب
فإن كان عباس أحق بتلكم ... وكان علي بدا ذاك على سبب
فأبناء عباس هم يرثونه كما العم ... لابن العم في الإرث قد حجب (3)

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج13، ص202.
(2) المصدر نفسه، ج13، ص199.
(3) الصولي، الأوراق، قسم أخبار الشعراء، مطبعة الصاوي، القاهرة، ط1، 1934م، ص14.

فالشاعر في هذه الآبيات التي حاول بها الوصول إلى قلب الرشيد د؛ بمدح العباسيين، وذم العلويين، يشير إلى الجدل الذي قام حول ولاية الخلافة بعد الرسول r ، وأيهم أقرب إليه r ، وهو يوضح أن العباسين أولى بوراثة الخلافة، كما يرث ابن العم ابن العم، وهو بذلك يعلن ولاءه للعباسين طمعاً في نيل الجوائز والهدايا وفي سبيل تحقيقها يسعى هؤلاء الشعراء بطرق شتّى للحصول عليها، حتّى لو وقعوا في جدالٍ لا علم لهم به، كجدل الهمّ في ورثة النبي r ، ومن أطرف ذلك "أن الشعراء يدخلون في جدل حول من هم أحق بميراث النبي، وهم جميعاً منافقون كاذبون؛ لأن الأنبياء لا يورثون، وليست النبوة ملكاً فتورث، وحتى لـو تصورنا المستحيل، وكان هنا حكم يحتاج إلى من يليه فالولاية الطبيعية تكون عن طريق الشورى، واختيار جمهور المسلمين[1].

ويتبين من ذلك كله أن الشعر قد اختلط بالسياسة؛ فالشعراء تدخلوا في السياسة حتى وصل بهم الأمر في تبيين من هو أحق بوراثة الرسول محمد r؛ إما انتصاراً للشيعة أو العباسيين، وتعد هذه جناية كبيرة للسياسة على الشعر، وتأثيرها فيه، فقد أدى حب الشعراء لنيل الجوائز ورضى الخليفة، والتقرب منه إلى تذللهم والتنكر لمبادئهم؛ ليتحولوا إلى بوقٍ من أبواق السلطة طمعاً في جمع الأموال على حساب مبادئهم .ولعلَّ سلطة الخليفة أثرت في قول الشعر الذي يحترم الخليفة، ويمجده؛ لأن ما يخالف هذا الشعر مغضوبٌ عليه؛ ومن ذلك قول علي بن عيسى بن جعفر : "كنت صبيًّا في دار الرشيد فرأيتُ شيخاً ينشد والناس حوله:

لَيسَ لِلإِنسانِ إِلاّ ما رُزِق	أَستَعينُ اللَهَ بِاللَهِ أَثِق
عَلِقَ الهَمُّ بِقَلبي كُلِّه	وَإِذا ما عَلِقَ الهَمُّ عَلِق
بِأَبي مَن كانَ لي مِن قَلبِهِ	مَرَّةً وُدٌّ قَليلٌ فَسُرِق
يا بَني الإِسلامِ فيكُم مَلِكٌ	جامِعُ الإِسلامِ عَنهُ يَفتَرِق
لَنَدى هارونَ فيكُم وَلَهُ	فيكُمُ صَوبٌ هَطولٌ وَوَرِق
لَم يَزَل هارونُ خَيراً كُلِّه	قُتِلَ الشَرُّ بِهِ يَومَ خُلِق

---

(1) النجة، مصطفى، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 5، 1980م، ص47.

فقلت لبعض الهاشميين: أما ترى إعجاب الناس بشعر هذا الرجل، فقال يا بني : إن الأعناق لتقطع دون هذا الشعر، وكان هذا الشيخ أبا العتاهية"[1].

والشاهد في هذا الموقف هو ما أجاب به الهاشميين : أنّ من يقول خلاف هذه الأبيات فجزاؤه القتل، وفي ذلك إشارة إلى العلاقة بين الهاشميين والعباسين؛ فالشاعر في هذه الآبيات يمدح الرشيد والعباسيين، ولكن ذلك لم يكن يعجب الهاشميين ليبينوا أنهم مغلوبون على أمرهم، ومع هذا كله لا نستطيع أن نبرئ الشعراء من حيث إنّ سبب تدخلهم في السياسة، ونصرة طرف على آخر، هو الخوف من الخليفة، ولكني أضيف أن سبب تدخلهم في السياسة أيضاً هو حب المال، والسعي وراء كسب الجوائز والهدايا، كما قلنا سابقاً في موقف النمري، وأبان بن عبدالحميد، وهذا يشير إلى أن الشعر في هذه الفترة كان شعر تكسُّبٍ؛ فالشعراء يسعون إلى رضى الخليفة على حساب مبادئهم حباً في العطايا حتى وصل بهم الأمر إلى التدخل في وراثة الأنبياء، ومن يستحقها.

وعلى الرغم من كثرة الأخطاء التي كان يقع فيها الشعراء جرّاء خوضهم بقضايا سياسية لا يعرفون خفاياها، إلاّ أنهم قد يحققون نصراً سياسياً قد يصل إلى تولية ولي العهد، وتغييره؛ ومن ذلك أن سلم الخاسر قال شعراً لمحمد الأمين بن زبيدة عندما عقد له الرشيد البيعة:

غير أن السياسة كما أثرت في الشعر ووجهته وجهة معينة فقد أدى الشعر في بعض الأحيان إلى تولية العهد إلى أحد أبناء الخليفة فقد قال سلم الخاسر في الرشيد عندما عقد البيعة لابنه محمد الأمين:

قَد بايَعَ الثَقلانِ في مَهدِ الهُدى لِمُحَمَّدِ بنِ زُبَيدَةَ ابنَةِ جَعفَرِ
وَلَّيتَهُ عَهدَ الأَنامِ وَأَمرَهُم فَدَمَغتَ بِالمَعروفِ رَأسَ المُنكَرِ[2]

وقد دفع ذلك زبيدة إلى تكريم الشاعر؛ لأنها كانت تعلم مدى تأثير الشعر على الخليفة.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد؛ فقد يكون الشعر سبباً في خوض معارك طاحنة؛ فقد قال أحد الشعراء أبياتاً أوصلها إلى إحدى المغنيات لتغنيها؛ بحيث تكون مثلاً للرشيد كي يقود حرباً ضد البرامكة للفتك بهم، ومن هذه الأبيات، يقول عمر بن ربيعة:

لَيتَ هِنداً أَنجَزَتنا ما تَعِد وَشَفَت أَنفُسَنا مِمّا تَجِد

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص68.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص180.

وَاستَبـــــــدَّت مـــــــرَّةً واحِــــدَةً   إنَّمــــا العـــــاجِزُ مَــــن لا يَســـتَبِد [1]

ومن هنا ندرك أنه كان للشعر دورٌ كبيرٌ في السياسة وفي ذلك يقول ابن خلدون : "إن أعداء البرامكة من بطانة الرشيد كانوا يدسون للمغنين شعراً يغنون به الرشيد في تحريك لحفائظ الخليفة على البرامكة"[2].

ونستشف من كلام ابن خلدون أن الشعر أصبح أداةً للحرب يحرك الشعراء به الخليفة، وقد أدت الخلافات السياسية إلى تحفيز بعض الأطراف من بطانـــة الخليفـــة إلـــى حـــث الشعراء والمغنين على قول الشعر الذي يثير غضب الخليفة على بعض الأطراف؛ ومن ذلك يتبين الدور الذي يقوم به الشعر في تنشيط الخلافات السياسية.

وقد بلغ من بعض الشعراء أن يتعرض للرسول r ؛ فقد وصل عن صالح عبد القدوس أنه تعرض لرسول الله r ، فقال:

غَضب المِســـكينُ زَوجَـــ ـــته   فَجـــــرت عَيـــــــناهُ مــــــن دُرره

ما قَضى المِسكينُ من وَ طـــر   لا وَلا المعشـــــار مــــن وَطـــره

عُذت بِاللَـــهِ اللَطــ ـــيف بنـــا   أَن يَكـــونَ الجـــور مِـــن قَـــدرِه

فقال الرشيد: عليه لعنة الله إن كان قالها، فقال له الرشيد: أنت القائل هذه الأبيات:

قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أشركت بالله طرفة عين، ولا تســـفك دمـــي علـــى الشبهةحتى رق له وأمر بتخلية سبيله، فلما أراد أن يخرج قال : أنشدني قصيدتك حتى بلغ قوله:

وَالشَـــــيخُ لا يَتـــــرُك اخلاقـــــه   حَتّـــى يُـــواري فـــي ثَـــرى رمســـه

قال: يا شيخ هذا الكلام يشبه هذا الكلام، وهذا الشعر من نمط ذلك الشـــعر –يعنـــي الأبيات التي نسبت إليه- ثم أمر، فضربت عنقه وصُلب على الجسر[3].

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص180.

(2) ابن خلدون، أبي زيد عبدالرحمن بن محمد (ت808هـ)، المقدمـــة، دار الرائـــد العربـــي، بيروت، ط5، 1982م، ص17.

(3) البيهقي، إبراهيم بن محمد من علماء القرن الرابـــع الهجـــري، المحاســـن والمســـاوئ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979، ص373؛ ابن المعتز، طبقـــات الشـــعراء، ص90.

ويؤكّد هذا الخبر ما قلناه سابقاً من أن الشعراء يخوضون في قضايا لا يعلمون فيها شيئاً، وقد تؤدّي بهم إلى الهلاك بسبب عثرةٍ لا يعلمونها، وفي ظنّي أن هذا الخبر الذي تعرض فيه الشاعر على الرسول الكريم كان طمعاً في نيل رضى الرشيد؛ فقد ظن أنه بتعرضه لرسول الله r يتعرض للهاشميين، ولكن الرشيد فهم تعرضه لرسول r ، فأمر بقتله، وهكذا بلغ من تدخل الشعراء في السياسة أن يقعوا ضحيتها فيقتلون، ونستشف أيضاً من هذا الخبر الحس الفني عند الرشيد، وكان منصور النمري من الذين مدحوا الرشيد، فقال:

يا ابنَ الأَئِمَّةِ مِن بَعدِ النَبيِّ وَيا ابـ ـنَ الأَوصياءِ أَقَرَّ النـاس أَم دَفَعوا

لَولا عَديٌّ وَتَيمٌ لَم تَكُن وَصَلَت إِلى أُمَيَّةَ تَمـويها وَتَرتَضِعُ

إِنَّ الخِلافَةَ كانتَ إِرثَ والِدِكُم مِن دونِ تَيمٍ وَعَفـوُ اللَـهِ مُتَسِعُ

وَما لآلِ عَلِيٍّ فـي إِمـارَتِكُم حَقٌّ وَما لَهُمُ في إِرثِكُم طَمَـعُ

العَمُّ أَولى مِن ابـنِ العَمِّ فاستَمِعوا قَولَ النَصيحِ فَإِنَّ الحَقَّ يُستَمَعُ (1)

ونلاحظ أن الشاعر في هذه الآبيات يشير إلى الصراع السياسي في الحكم بين أبناء علي والعباسيين، و هو يؤكد أن الخلافة إرث العباسيين وهي حق لهم، وهذا الشاعر أغرق نفسه في قضايا لا علاقة له بها؛ بيّنت قلّة خبرته في هذا الصراع، وعدم معرفته بمكان هذا الموضع؛ حتى غاص في خلافات آل رسول الله مع العباسيين، وأظن أن الشاعر قال هذه القصيدة ليحصل على العطايا من الخليفة، ويتقرب إلى الله؛ ويمدح آل الرسول r ، ويعرض في شعره بالسلف، والرشيد لا يعلم حتى أبلغه العتابي؛ فدعا بأبي عصمة الشيعي، وهو من الزيدية من شيعة بني العباس، فقال له: اخرج من ساعتك هذه إلى الرقة فخذ منصوراً النمري، فسلّ لسانه من قفاه، واقطع يده ورجله، ثم اضرب عنقه واحمل إليّ رأسه، واصلب هناك بدنه؛ فخرج فلما صار بباب الرقة وهو يدخل المدينة إذا هو بجنازة النمري(2).

فقد كان بعض الشعراء يخفون ما في نفوسهم من أحقاد على الخليفة، متعصبين إلى فئةٍ من الفئات المعارضة له، ولكنهم كانوا في الوقت نفسه يمدحون الخليفة طمعاً في نيل أعطياته وجوائزه؛ ولكي يكونوا من المقربين إليه في مجلسه، ولكن شعرهم كان يظهر ما

(1) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص245.

(2) المصدر نفسه، ص245.

في نفوسهم أحياناً، ولكن خليفة مثل الرشيد على ثقافة عالية كان يعرف من شعرهم مـــا يخفونه في نفوسهم؛ فقد نال مروان بن أبي حفصة حتفه جراء خيانته للرشيد، ووقوفه مع أعدائه الذين يعارضون حكمه.

وهذا ضربٌ من تأثير السياسة في الشعر، وتأثير الشعر في السياسة حينما كان الأدب يتفاعل مع الحياة السياسية في الشعر؛ تحتضنه ويحتضنها، وتؤثر فيه ويؤثر فيها؛ فقد بدا واضحاً من خلال كل ما سبق تأثر الشعر بالسياسة؛ فقد عملت الخلافات السياسية علـــى نشوء طائفة من الشعراء يحسنون الخوض في السياسة؛ فينظمون القصائد متعصبين إلـــى الفئة التي ينتمون إليها، ويتقربون في الوقت نفسه من الخليفة بمدحه، ومناصرة حقه فـــي الخلافة، ويردون ما يدعيه غيره من ذلك، طمعاً في نيل الجوائز والهدايا.

ولقد كان الشعر مواكباً للأحداث الاجـ تماعية العامة والخاصة المتعلقة بشؤون الحكم، والأحداث السياسية، فكان لذلك الأثر الكبير في تداخل الشعر والسياســة، وقـد واكـب الشعراء جميع هذه الأحداث فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا قالوا فيها، وهذا يدل علـــى قدرة الشعراء العالية على قول الشعر ونظمه؛ ليكون مواكباً للأحداث في ذلك العصر.

الفصل الثالث

رُوَّاد المجالس عند الرشيد

تُعَدُّ مجالس الرشيد منارةً يَؤُمُّها الشعراء والعلماء والجواري والأعراب، ومن هنا تنوعت أبحاث تلك المجالس وفنونها، إلاَّ أن للشعر نصيب الأسد فيها، وقد يخالطها بعض النقد والمجادلات، والتفضيل بـ ين الشعراء وتفسير معاني غريب الشعر، وكلها كانت بصبغة أدبية كما يقول مصطفى السباعي "هذا عدا عن مجالس الطرب التي كانت الصبغة الأدبية غالبة عليها بما يثار فيها من حديث الشعر والشعراء وتفسير الكلمات التي يتغنى بها المغنون"[(1)].

وكان للجواري نصيب كبير في مجلس الـ رشيد كما أن الرشيد جعل لهنّ مكانة عالية في مجلسه وذلك لحبّه الغناء والطرب وخاصة من الجواري وتزيد محبة الرشيد لهنّ كلّما زاد حسن صوتهنّ في الغناء وقول الشعر وروايته وبديهتها بالتسرية عليه في المجلس وقد اهتم الرشيد في تعليمهن وتثقيفهن وتحفيز قرائحهن على قول الشعر وتحسين الصوت، فلذلك كان للجواري دورٌ كبير في إعطاء المجالس نكهة خاصة بإشاعة جوّ من النشاط فقد كنّ يشاركن برواية الشعر وإجازته ويتفوّقن على الشعراء في بعض الأحيان، أما عن بدايات الاهتمام بالجواري والقيان فتعود إلى العصر الجاهلي، حيث جاء في بعض كتب التـ راث "أن أول من اتخذ القيان من العرب أهل يثرب"[(2)].

وكانت سبباً رئيسياً بظهور جماعات الصعاليك بسبب سوء معاملة الآباء لأبناء الإماء وعدم الاعتراف بهم، وفي العصر الإسلامي كان للفتوحات الإسلامية دورٌ كبير في انتشار الجواري خارج الجزيرة العربية بسبب ما يسبيه الفاتحون من النساء

---

(1) السباعي، من روائع حضارتنا، مرجع سابق، ص234.

(2) ابن خرداذبه، اللهو والملاهي، تحقيق الأب أغناطوس عبده خليفة اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط2، 1969، ص21.

والبنات، ومما يجدر ذكره أن الرسول r قد تزوج بمارية القبطية ، وهـي جاريـة أهداها إليه المقوقس عظيم القبط، وهي أم ولده إبراهيم[1].

ثم انتشرت ظاهرة الزواج بالجواري واقتنائهن في العصرين الأموي والعباسي؛ لذلك نجد عددا من الخلفاء العباسيين أبناء إماء وجوار؛ فالمنصور أمـه بربريـة، وموسى وهارون أبناء الرشيد أمهما جُرَشِية، وكذلك المعتصم والواثـق والمتوكـل والمنتصر والمستعين وغيرهم[2].

وهذا بدوره أدى إلى ظهور طبقة الهجناء، وبروز بعض السياسات العنصرية في هذا المجتمع، كما أنه أدى إلى ظهور طبقة تحترف النخاسة، ويسمون النخاسين، "وهم الـذين يتاجرون بالجواري ويسافرون في طلبهن"[3].

وقد كانت تجارة الجواري تدر على أصحابها أموالا طائلة ؛ حيث يذكر الرواة أن أبـا دلامة مر بنخاس يبيع الرقيق، فانصرف مهموما ودخل على المهدي فأنشده:

إن كُنتَ تَبغي العَيشَ حُلـواً صـافياً فالشِّـعرُ أَعـزِ بِـهُ وكُـن نَخَّاسـاً
تَنَلِ الطَّرَائفَ مِـن ظِبـاءٍ وَافٍ نُهَّـدِ يُحـدِثنَ كُـلَّ عَشِـيَّةٍ أعراسـاً
دَارَت على الشُّـعراءِ حُرفَـةُ نَوبَـةٍ فَتَجَرَّعُوا مِـن بَعـدِ كَـأسٍ كاسـاً
وَتَسَربَلوا قُمـصَ الكَسـادِ فَحَـاوِلُوا بالنَّخسِ كَسـباً يُـذهِبُ الإفلاسـاً[4]

ومن ذلك ندرك أن النخاسة حرفة كان يحترفها الناس؛ بحيث ينتقلون من منطقة إلـى أخرى بحثاً عن التنويع في أجناسهنّ وألوانهنّ وثقافتهنّ، وكل هذا الانتشار لـم يكـن إلا بفعل الازدهار الحضاري، وميل الناس إلى الترف والنعيم.

---

(1) ابن حزم، محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ت(456هـ)، جمهرة أنسـاب العـرب، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط3 ،1971، ص15، 347.
(2) ابن حبيب، أبو جعفر محمد، ت (245هـ)، المحبر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن بالهند، 1942، ص45-46.
(3) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص426.
(4) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص312.

1.3 مجالس الرشيد مع الجواري:

وكان للجواري دورٌ كبيرٌ في منادمة الخليفة؛ ومن هنا اهــتمّ النخاســون بتثقــيفهن وتعليمهن؛ وذلك ليرتفع سعرها فتبلغ آلاف الدنانير، ومما يتعلمنه الفنون المختلفة؛ كالشعر والغناء والرقص والنحو والفلسفة، فعلم الجارية يتناسب طرديا مع ثمنها . "وترتفع أثمــان الجواري إذا أخذن الغناء عن مشاهير الفنانين"(1).

ومن ذلك أن أبا عيينة المهلبي كان قد هوى جارية يقال لها (أمان) فأغلى بها مولاها السوم ، فقال أبو عيينة:

قُلتُ لمّا رأيــتُ مولــى أمــانٍ ... قــد طَغــى ســومُهُ بهــا طُغيانــا

لا جَزى اللَه الموصِـلِيَّ أبــا إســحــاقَ عنّــا خَيــراً ولا إحسانــا

جاءَنا مرسَلاً بــوَحي مــنَ الشيــطانِ أغلــى بــه علَينــا القِيانــا

مِن غِنــاءٍ كأَنَّــهُ سكَــراتُ الــحُبِّ يُصــبي القلــوبَ والآذانــا(2)

ومن هنا ندرك أن النخاسة لم تعد عملية بيع وشراء فقط، وإنما هي فنٌّ قــائم بذاتــه؛ فهذا مولى أمان يرفع من سعرها؛ لأنه أدرك أن أبا عيينة كان سيدفع ما عنده للوصــول إليها.

وكان للجواري والقيان دورٌ مهم في تحريك شؤون الدولة وسياستها؛ ومن هنا كــان الخليفة يحدد شروط منادمته؛ فهذا الرشيد يستحضر قول أبي نواس في وصــفهن ليحــدد صفات الجارية، بحيث تكون "مليحة، فطنة، مقدودة، شكلة، حلوة، ظريفة، عالمة؛ لتسقيه الشراب، لأنه يطيب من يد مثلها، حيث يقول:

مِن كَفِّ ســاقِيَةٍ ناهيــكَ ساقِــيَةً ... في حُسنِ قَدٍّ وَفي ظُــرفٍ وَفــي أَدَبِ

كانَت لِــرَبِّ قِــيانٍ ذي مُغــالَبَةٍ ... بِالكَشخِ مُحتَرِفٍ بِالكَشخِ مُكتَسِــبِ (3)

فَقَد رَأَت وَوَعَت عَــنهُنَّ وَاِختَلَفَــت ... ما بَينَهُنَّ وَمَن يَهــوَينَ بِالكُتُـــبِ

حَتّى إِذا ما غَلى ماءُ الشَــبابِ بِهــا ... وَأُفعِمَت في تَمامِ الجِســمِ وَالقَصَــبِ (4)

---

(1)عبدالنور، جبور، الجواري، سلسلة اقرأ، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت، ص73.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص156.

(3) المكتسب: الديوث، وهو دخيل من كلام العرب، ابن منظور، مصدر سابق، مادة كشخ.

(4) القصب: كل عظم مستدير أجوف، ابن منظور، مصدر سابق، مادة قصب.

وَجُمِّشَت بِخَفِيٍّ اللَحظِ فَانجَمَشَـــت [1]   وَجَرَّتِ الوَعدَ بَينَ الصِـــدقِ وَالكَـــذِبِ

فهذه الجارية التي يطلبها الرشيد أقرب ما تكون موسوعة أو دائـــرة معـــارف فهـــي ظريفة مؤدبة معلمة على يد ماهر فنان، متميزة بعد ذلك عن معلمها.

وبعد تثقيف الجواري يخضعن لامتحان شاق كبير، قد تتمكن فيه الجارية من الوصول إلى قلب الخليفة، وبعد ذلك يدفعون مبالغ طائلة لشراء هذا النوع مـــن الجـــواري؛ فهـــذا الرشيد يمتحن جارية فيعرض عليها بيتاً من الشعر، ويضعها تحـــت مجهـــر الامتحـــان، فتجيبه بشعر من وزن وقافية السؤال، حيث قال لها:

"مـــاذا تقـــولين فـــيمن شـــفه أرَقٌ   من أجل حبك حتـــى صـــار حيرانـــا

فقالت:

إذا رأينـــا محبـــاً قـــد أضـــر بـــه   أمـــر الصـــبابة أولينـــاه إحســـانا

فأعجبه جوابها واشتراها"[2].

فهي هنا نجحت في الاختبار ببيت يوازي السؤال في الوزن والقا فية بحكمـــة بارعـــة استطاعت الوصول إلى قلب الخليفة، فأولته إحسانها وعطفها، ولم يكن الرشيد الممـــتحن الوحيد فقد يوكل أمر الامتحان إلى العلماء والرواة في المجلس، كما كانت الجواري يَقدُمنَ إلى ذوي السلطان والجاه؛ لتصريف الحاجات، فقد أهدى الفضل بن ربيع للرشيد ثـــلاث جوارٍ، فغلبن على قلبه؛ هن سحر وضياء وخنث ذات الخال، وفيهن يقول الرشيد:

إِنَّ سِـــحْراً وضِـــياءً وخُنُـــثْ   هُـــنَّ سِـــحْرٌ وضِـــياءٌ وخُنُـــثْ

اَخَـــذَتْ سِـــحْرٌ ولا ذَنْـــبَ لَهـــا   ثُلُثَـــي قلبـــي وتِرْباهـــا الثُلُـــثْ [3]

وبعد هذه الدورات التثقيفية التي تخضع لها الجارية لتكون نابغة في الشـــعر واللغـــة والرواية، تحدّثنا كتب التراث عن نماذج من نبوغ الجواري وحضور بديهتهن؛ حيث يقول السيوطي: "ومن أبرع الجواري في قرض الشعر ونظمه في تلك الفترة - عنان جاريـــة

---

(1) الجمش: المغازلة، ابن منظور، لسان العرب، مادة جمش.

(2) ابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر بن محمـــد، (ت738هـــ)، ثمـــرات الأوراق فـــي المحاضرات، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتـــب العلميـــة، بيـــروت، ط 1، 1983، ص399-400.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص271.

الناطفي، كانت صفراء جميلة الوجه، حلوة، مليحة الأدب وا لشعر، سريعة البديهة، وكانت أول من اشتهر بقول الشعر في الدولة العباسية"[1].

فهذه الجارية تجمع بين الصفات الجسمية، والصفات المعنوية الحسنة؛ فهي القمر الذي افتقد في الليلة الظلماء، وهذا الرشيد يجلس ليلة مع سمّاره ، فيغنيه بعض من حضر بأبيات جرير؛ حيث يقول:

إِنَّ الَّـــذينَ غَـــدَوا بِلُبِّـــكَ غـــادَروا   وَشَـــلاً بِعَينِـــكَ مـــا يَـــزالُ مَعينـــا

فسأل سماره من يجيز له الأ بيات بمثلهن،وله هذه البدرة -بدرة من دنانير- فقالوا، فلم يصنعو شيئاً، فقال له خادم واقف على رأسه: أنا بها لك يا أمير المؤمنين، واحتمل البدرة، ثمتلّى الناطفي فقال له استأذن لي على عنان، فأذنت له، فدخل وأخبرها الخبر؛ فقالــت له: ويحك! وما الأبيات؟ فأنشدها إياها، فقالت له: اكتب:

هيّجــتَ بــالقول الــذي قــد قلتــه   داءً بقلبـــي مـــا يـــزالكمينـــا

قــد أينعــت ثمراتــه فــي حينهــا   وســقين مــن مــاء الهــوى فروينــا

كــذب الــذين تقولــوا يــا ســيدي   إن القلـــوب إذا هَـــوين هوينـــا

فرجعإلى هارون، فقال ويحك من قالها؟ فقال عنان جارية الناطفي، فقال : خلعــت الخلافة من عنقي إن باتت إلا عندي![2].

فهذا دليل على الحنكة لدى الجارية، ومعرفتها بمفاصل العلاقة بين الرجال والإناث.

وهذه جارية أخرى عُرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها، وقال لمولاها: خذ جاريتك؛ فلولا كلف بوجههاوخنس بأنفها لاشتريتها، فلما سمعتْ مقاله، قالت : يا أمير المــؤمنين: اسمع مني ما أقول، فقال: قولي، فأنشدت:

مــا سَــلِمَ الظبِــيُ علــى حُســنهِ   كـــلا ولا البـــدرُ الـــذي يوصَـــفُ

الظبـــيُ فيـــه خَنَـــــــسٌ بَـــيِّنٌ   والبـــدرُ فيـــه نُكـــــتَةٌ تُعـــــرَفُ

فأمر الرشيد بشرائها[3].

---

(1) السيوطي، المستظرف من أخبار الجواري، تحقيق أحمد عبدالفتاح تمام، شــركة الشــهاب، الجزائر، 1991م، ص38.

(2) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج6، ص57-58.

(3) الأبشيهي، شهاب الدين أبو الفتوح محمد بن أحمد، (ت850هــ)، المستظرف في كــل فــن مستظرف، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1986م، ج1، ص85.

فهذا نموذج من الإبداع والحنكة في البديهة والارتجال؛ جَمَعَت العيوب التي فيها وعالجتها بحكمة، ومن هنا كان للجواري أثر بالغ في نشر الشعر وبعض الفنون ؛ حيث أثّرت أثراً بارزاً في نمو الحركة الشعرية، وصناعة الغناء، وقد "عملن على نشر الشعور بالجمال الفني، وعلى إشعار الناس بالظرف، وضروب التفنن في المأكل والملبس والأزياء المختلفة"[(1)]، وبعد ذلك قال بعض جلساء الرشيد : "دخلت على الرشيد ، وعلى رأسه جوارٍ كالتماثيل، فرأيت عصابة منظمة بالدر والياقوت، مكتوبا عليها في صفائح الذهب:

ظلمتني في الحب يا ظالم   والله فيما بيننا الحاكم

وفي عصابة أخرى:

ما لي رميت فلم تصبك سهامي   ورميتني فأصبتني يا رامي"[(2)]

وبعد ذلك أصبحت كتابة الأشعار على ما يحيط بالإنسان من فنونٍ يُحقِّقوا بها ربحاً وخيراً وصناعةً، وفي ذلك يقول جورجي زيدان : فقد "نقشه الناس على جدران منازلهم وأنديتهم وعلى فصوص خواتمهم، وعلى القباب المستنظرات والأبواب، وطرّزوه على الستائر والكلل، والأسرة والوسائد، وعلى القناني والأقداح وعلى الطبول والمعازف والدفوف، وزينوا به الثياب فطرزوه على ذيول الأقمصة والأردية والأكمام، وزينوا به ظاهر أبدانهم، فكتبوا بالحناء على الجبين والخد والأقدام، فكنت حيثما توجهت رأيت الشعر منقوشاً أو مطرزاً أو مكتوباً أو منسوجا"[(3)].

وبعد أن أصبحت كتابة الشعر على الأواني فنّاً قائماً بذاته أصبح له عادات وتقاليد مختلفة منها التهادي بالمأكولات المرفقة بالأشعار، ومن ذلك أن الرّشيد قصد يوما فأرسلت إليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب ، مع وصيفة جميلة الوجه ، وغطته بمنديل مكتوب عليه:

فصدت عرقاً تبتغي صحة   ألبسك الله به العافية

فاشرب بهذا الكأس يا سيدي   واهنأ به من كف هذي الجارية

---

(1) فاخوري، حنا، الجاحظ، سلسلة نوابع الفكر العربي، دار المعارف، مصر، ط 6، 1980، ص10.

(2) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج6، ص424.

(3) زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط 2، 1978م، ج1، ص359.

واجعـــل لمـــن أنفـــذه خلـــوة   تحظـــى بهـــا فـــي الليلـــة الآتيـــة[1]

ونلاحظ الذوق الرفيع في اختيار النماذج الفذّة المشتملة على مضـامين مهمّـة هـي بالأساس ما يجمع المرأة بالرجل؛ فاختيار الجارية أبياتاً تجمع صوراً من الدقة والـدلال، "فقد جعلت كثرة معاشرتهن الرجال يعرفون كيف يتلطفون لقلوبهن، وكيف يسـتنزلونهن بالكلام الرقيق إلى ودهم، وكان لذلك أثره البالغ في الشعر والشعراء، فقد شاعت في كثير من معانيهم الرقة المفرطة، والإشارة الدالة، واللمحة المعبرة"[2].

وأثرت الجواري على نشر الشعر؛ ذلك أن الخليفة ينظم شعراً فـي جاريـة أثـارت عواطفه بمداعبتها وظرفها في مجلسه فقد اشترى الرشيد "ماردة بنت شبيب وهي أم ولده المعتصم، فعشقها عشقا مبرحا، وقال فيها:

وتنـــالُ منـــكَ بِحَـــدّ مُقْلَتـــها   مـــا لا يَنـــالُ بِحَـــدِّهِ النَّصـــلُ

شَـــغَلَتْكَ وهْـــيَ لِكُـــلِّ ذي بَصَـــرٍ   لاقـــى مَحاسِـــنَ وَجْهِهـــا شُـــغْلُ

فَلِقَلْبِهـــا حـــلِمٌ يُبـــاعِدُها   عـــن ذي الهَـــوى ولِطَرْفِهـــا جَهْـــلُ

وإذا نَظَـــرْتَ إلـــى مَحاسِـــنها   فَلِكُلِّ مَوْضـــعٍ نَظـــرَةٍ قَتْـــلُ [3]

ومن أثر الجواري في الشعر أن أصبحت الجارية في وضع المعشوقة في قصـر الخليفة؛ حيث وقع المأمون في حبّ جارية غلاميّة، فقال له الرشيد يومـاً: يـا عبـدالله، أتحبها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال هارون : هي لك، ثم قال : هل قلت في هذا الأمر شعراً، قال: نعم يا سيدي، ثم أنشد:

ظَبـــيٌ كنَيـــتُ بِطَرفـــي   عـــن الضَّـــميرِ إليـــهِ

قبّلتُـــهُ مِـــن بَعيـــدٍ   فاعتَـــلَّ مِـــن شَـــفَتَيهِ

ورد أحســـن رد   بالكســـر مـــن حاجبيـــه

فمـــا بَرِحـــتُ مكـــاني   حتَّـــى قَـــدِرتُ عليـــهِ"[4]

---

(1) الأبشيهي، المستظرف في كل فن مستظرف، ج2، ص191.

(2) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط9، 1986م، ص63.

(3) ابن الجراح، الورقة، ص19.

(4) القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، (ت356هـ) الأمالي في لغـة العـرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ج1، ص229.

ونلاحظ أن الجارية ملكت عقل المأمون، وأحد اسيسه كلها إلى أن أهداها الخليفة للمأمون ليطفئ النار المشتعلة في صدره.

أما عن أثر الجواري في الشعراء، ومساجلتهن لهم فهو كثير لا مجال لحصره، ونذكر منه أن أبا دلف دخل يوما على المأمون وعنده جارية، فغمز المأمون الجارية عليه، فقالت: شبت أبا دلف، إنا لله وإنا إليه راجعون، لا عليك! فأخذت الحمية أبا دلف فأجابها قائلا:

تَهزأت أن رأت شيْبي فقلتُ لها لا تَهْزَئي مَن يطل عُمرٌ به يَشبِ

شَيْبُ الرِّجال لهم زينٌ ومَكْرُمة وَشَيْبُكُن لَكُنّ الوَيلُ فاكتئبي

فِينا لَكُنّ، وإنَّ شيْبٌ بدا، أرَبٌ وليس فيكُن بعد الشَيب من أرب [1]

ومن هنا ندرك حنكة الجارية في اختيار الموضوع الذي يدور حوله السجال؛ فقد ضربت على وترٍ خطير عند أبي دلف؛ مما دفع حميّته، فأجابها مرتجلاً أن الشيب للرجال مكرمة وزينة، أما الشيب عند النساء فهو ويل واكتئاب.

ومن هذه الأخبار ندرك أن للجواري دوراً كبيراً في مجلس الخلفاء، وهنّ بظرفهن وحسن بداعتهنّ يحاولن السيطرة على بعض الخلفاء إلى أن بلغ فيهنّ الأمر التدخل في شؤون السياسة؛ فقد كانت قصور كثير من الخلفاء تكتظ بالجواري اللائي استولين على قلوبهم بجمالهن وظرفهن وما يتقنّه من شعر ورقص وغناء ؛ فقد "كان في دار الرشيد من الجواري وخدمهن ، وخدم زوجاته وأخواته أربعة آلاف جارية"[2]، وقد بلغ الأمر بالمهدي أن وصف الجارية بأنها الآمر الناهي في البلاد، حيث يقول:

---

(1) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص52.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص220.

فـــــــلا والله مــــــا المهـــــــد ي أولـــــــى منـــــــك بــــــالمنبر
فــــإن شـــــئت ففــــي كفيـــ ـــــــك خلــع ابــن أبـــي جعفــر[1]

وهذا يبين سطوة الجواري في ذلك الوقت ؛ فقد جعل الخلافة والسلطان كله في يد جارية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد سيطرن على الرشيد ذي السلطة والقوة؛ فهو ليس بأفضل حالاً من المهدي، وهو القائل:

مَلَــكَ الـثَلاثُ الآنِســاتُ عِنــاني وَحَلَلــنَ مِــن قَلبــي بِكُــلِّ مَكــانِ
مـا لــي تُطـاوِعُني البَرِيَّـةُ كُلُّهـا وَأُطـيعُهُنَّ وَهُــنَّ فــي عِصــياني
مـا ذاكَ إِلّـا أَنَّ سُـلطانَ الهَـوى وَبِهِ عـززنَ أَعَـزُّ مِـن سُـلطاني[2]

وبعد أن ملكن العنان؛ وحللن بكل مكان، ندرك القوة التي بلغنها عند الخليفة، وندرك أيضاً حال الرّعيّة؛ فإذا كان الرشيد يخلع أمر الخلافة من عنقه بجارية فإننا نعرف كم كان دورهن عظيماً في تسيير المجتمع، وهذه القوة التي تتمتع بها الجواري في عصر الرشيد كانت محدودة بالنسبة لخلافة أبنائه؛ ففي "هذه الحقبة الممتدة بين خلافة المأمون والمعتضد، نلاحظ تدخل القيان من مسمعات ومغنيات وشواعر في أمور الدولة، ونلاحظ عظيم سطوتهن عند الخلفاء ...، فكن يستشفعن ويقربن ويولين ويبعدن، وإن كان بعض هذا قد حدث في زمن الرشيد أيضاً"[3].

وبعد أن صار شأنهنّ عظيماً في قصور الخلفاء حاولن استغلال ذلك ، كما فعلت ذات الخال، التي تدخلت في شؤون الحكم، فطلبت من الرشيد -بعد أن حلف ألا تسأله في يومه ذلك شيئا إلا أعطاها، ولا حاجة إلا قضاها أن يولي أحد محبيها ، وهو (حمويه) الوصيف الحرب والخراج بفارس سبع سنين، ففعل الرشيد ذلك، وكتب له عهده به، وشرط على ولي العهد بعده أن يتمها له إن لم تتم في حياته[4].

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص170.

(2) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، (ت255هـ)، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج3، 184.

(3) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج6، ص46.

(4) المنجد، صلاح الدين، بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 195م، ص10.

وقد أدّت سيطرة الجواري على زمام الحكم إلى التصدي والمواجهة بين الجواري والقيان من ناحية وحرائر القصور من ناحية أخرى، فقد حاولت أم جعفر زوج الرشيد إبعاد عنان الناطفية، وقد دسّت إلى أبي نواس ليحتال في أمرها قبل أن تحتال في أمر أم جعفر، فقال يهجوها:

إن عنان الناطفِ جاريةٌ أصبح حِرُّها لنيك ميداناً
"فما يشتريها إلا ابن زانية أو قُلتبان يكون من كانا "[1]

فبلغ ذلك هارون الرشيد، وكان يقول : لعن الله أبا نواس، وقبّحه، فلقد أفسد عليَّ أمري في عنان، بما قال فيها، ومنعني من شرائها . ويمكن أن نستشف من هذا الخبر الصراع العميق بين الحرائر والجواري في محاولة السيطرة على الخليفة والأمراء، فكلٌّ منهما يريد أن يظهر حنكته، وإبراز مقدرته في السيطرة عليهم من خلال الضرب على أوتار حاجاتهم، وذلك يعني حدوث معارك أدبية وصراعات وتجاذبات، كلٌّ يُخرج ما يختلج في صدره من لواعج وينظمها بتفنُّن ليصل إلى قلب الخليفة بقوة وسرعة، ولكن الصراع بينهما محتوم بانتصار الحرّة على الجارية، وهذا بدوره يدفع بالجارية إلى أن تضع كل أوراقها في هذه اللعبة لتأكل الكتف من مكانها المناسب، وهذا الصراع يدفع بالأدب إلى الإمام،وذلك أن الرشيد قعد يوما عند زبيدة ، وعندها جواريها، فنظر إلى جارية واقفة عند رأسها فأشار عليها أن تقبله ، فاعتلت بشفتيها ، فدعا بداوة وقرطاس، فوقع فيه:

قبّلتُهُ مِن بَعيدٍ فاعتَلَّ مِن شَفَتَيهِ

ثم ناولها القرطاس، فوقعت فيه:

فما بَرِحتُ مكاني حتَّى وثبت عليهِ

فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له[2].

وقد غدا الشعر الماجن الخليع سمة من سمات الشعر والأدب في العصر العباسي؛ ولذلك لم تخلُ قصور الخلفاء من العلاقات الغرامية بين الجواري والغلمان، فقد كانوا يتبادلون رسائل الغرام، ويضمنوها مواعيد لقائهم، وما يختلج في صدورهم من لواعج حارة يعبرون فيها عن حبهم، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

"ِي المحو في الكتاب ومحّه ِيق اللسان لا بالبنان

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج16، ص316.

(2) المصدر نفسه، ج22، ص581.

وأمـــرّي الختـــام فـــوق ثنايـــا ك العـــذاب المفلجـــات الحســـان

إنّنـــي كلّمـــا مـــررت بحـــر فٍ فيـــه محـــوٌ لطـــعته بلســـانـــي

فأراهـــا تقبيلـــة مـــن بعيـــدٍ أهديت لي ومـــا برحـــت مكـــاني "[1]

وفي النهاية يمكن أن نصل إلى نتيجة؛ هي أن للمرأة فضلاً كبيراً على الأدب، ومن يتملى شريط الحياة من الجاهلية لعصرنا هذا، يُدرك أن المرأة هي ميراث الشعر والنقد، وأنها هي التي تبرز معالمهما، وطبيعة الأدب وأهميته بمشاركتها الفعلية أو الضمنية، وفي ذلك يقول ابن القيم الجوزية: "إن للمرأة في كل أمة، وفي كل عصر فضلا على الأدب من ناحيتين؛ الأولى: ما تثيره في نفوس الرجال من عاطفة قوية تجيش في صدورهم، فتخرج على ألسنتهم شعراً رقيقاً وأدباً ممتعاً، والثانية: مشاركة المرأة الرجل في إخراج القطع الفنية والأدبية في المواضيع التي تمس شعورهن، وهن عليها أقدر"[2].

وللرشيد مواقف مع عدد من الجواري في مجلسه؛ حيث ظهرت حنكة كبيرة عند الجواري في السيطرة على الخليفة، وأظهر الخليفة سعة اطلاعه وثقافته وإلمامه في علوم كثيرة.

ولم يقتصر المجلس على الجارية والخليفة فقط، بل تجاوزه إلى معالجة بعض القضايا التي يعجز عن حلِّها أحياناً؛ ففي مجلس الرشيد مع جعفر البرمكي دار بينهما حوار حول جارية معيّنة اشتراها جعفر، ويريدها الرشيد لحسن جمالها وإعجابه بها، فاختلفا في بيعها؛ حيث رفض البرمكي بيعها، أو وهْبها للرشيد؛ فحلف الرشيد على طلاق زبيدة منه إن لم يبعها أو يهبها، وحلف البرمكي على طلاق زوجته إن باعها للرشيد، وعندما علما بأنهما وقعا في أمر عظيم احتاجا إلى القاضي أبي يوسف في منتصف الليل "فلما دخل على الرشيد قام له وأجلسه على سريره بجانبه وقال: ما طلبناك إلا لأمر مهم، وهو كذا وكذا. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا من أسهل ما يكون. يا جعفر! بع الأمير نصفها وهبه نصفها تبرآ من يمينيكما"[3].

ومن هذا الخبر يمكن أن نستشفّ عدداً من القضايا:

---

(1) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج6، ص409.

(2) ابن القيم الجوزية، أخبار النساء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1982، ص183.

(3) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، د.ت، ج4، ص98.

أولاً:تبادل الجو اري بين الخليفة والأمراء؛ حيث يَظهر هذا الخبر على أنه جزء من العادات والتقاليد في بيع الجواري أو وهبهنّ.

ثانياً:مجلس الرشيد كان يضم عدداً من المجالسين؛ أبرزهم : الأمراء والمنادمون والجواري والقيان والقضاة والخدم، ولكلّ من هؤلاء دور يقدمه.

ثالثاً: حنكة القاضي في الخروج من مزالق خلافات الخليفة والأمـراء، وتبريرهـا تبريراً شرعياً ينهي من خلاله هذه الخلافات.

وبعد ذلك أُعجب الرشيد إعجاباً شديداً بحنكة القاضي وحُسن تصريفه للأمور، ولـم يقف دور القاضي هنا، وإنما تجاوزه إلى تزويج الجارية من أحد العبيد، وتطليقه إياها قبل الدخول فيها؛ ليحل وطؤها دون استبراء، ولكن العبد رفض تطليقهـا فأشـار القاضـي بترغيبه في المال، ولكنه أيضاً رفض، فصرّفها القاضي بأن أعتق الجارية، وطلّقها منه، وفسخ عقد النكاح بينهما؛ فأعجب الرشيد بهذا الحل، "فقام أمير المؤمنين على قدميه وقال: مثلك من يكونقاضيا في زماني . واستدعى بأطباق فأفرغت بين يديـه ذهبـا، فأخـذها وانصرف. فلما أصبح قال لخلانه: انظروا إلى من تعلم العلم"[(1)].

ويظهر هذا الخبر استيعاب الرشيد لمجالسـيه، وقدرتـه علـى تصـريف الأمـور المطروحة في المجلس.

وفي خبر آخر يظهر الرشيد وهو يمتحن إحدى الجواري بعد أن أعجب بفصـاحتها وبلاغتها؛ حيث مرّ الرشيد بإحدى الجواري وهنّ يستقين الماء، وبرفقته جعفر البرمكي، وإذا بإحداهنّ تقول:

"قـولي لطيفـك ينثنـي عـن مضـجعي وقـت المنـام
كـي أسـتريح وتنطفـي نـار تـأجَّجُ فـي العظـام
دنـف تقلبـه الأكـف علـى بسـاط مـن سـقام
أمـا أنـا فكمـا علمـت، فهل لوصـلك مـن دوام؟ [(2)]

(1) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص135.

(2) المصدر نفسه، ص137.

فشغف الرشيد بهذا الشعر؛ لجودته وإتقانه وفصاحته، فظنّ أن الشعر مسروق، فحاول أن يمتحنها بأن تُعيد المعنى نفسه بقافية أخرى، فقال لها: قولي، فأنشدت:

"قـــولي لطيفـــك ينثنـــي   عـــن مضـــجعي وقـــت الوســـن
كـــي أســـتريح وتنطفـــي   نـــار تـــأجّجُ فـــي البـــدن
دنـــف تقلّبـــه الأكـــف   علـــى بســـاط مـــن شـــجن
أمـــا أنـــا فكمـــا علـــم   ت، فهـــل لوصـــلك مـــن ثمـــن؟

فأصرّ الرشيد على أن الشعر مسروق، وأصرّت الجارية على أن الشعر لها، فحاول الرشيد التوثق بإعادة الامتحان مرّة أخرى، فطلب أن تُعيد مضمون هذه الأبيـات بقافيـة أخرى، فقالت:

"قـــولي لطيفـــك ينثنـــي   عـــن مضـــجعي وقـــت الوســـن
كـــي أســـتريح وتنطفـــي   نـــار تـــأجّجُ فـــي البـــدن
دنـــف تقلّبـــه الأكـــف   علـــى بســـاط مـــن شـــجن
أمـــا أنـــا فكمـــا علمـــ   ت، فهـــل لوصـــلك مـــن ثمـــن؟

ولشدة إعجاب الرشيد بهذه الأبيات أصرّ على موقفه، بأن الشعر مسروق على الرغم من المحاولات السابقة في تغيير ر القافية مع الإمساك بالمضمون الرئيس؛ ليختبرها مـرّة أخرى في الامتحان نفسه، ولكنها لم تُبدِ أي اعتراض فأنشدت:

قّـــولي لطيفـــك ينثنـــي   عـــن مضـــجعي وقـــت الهجـــوع
كـــي أســـتريح وتنطفـــي   نـــار تـــأجّجُ فـــي الضـــلوع
دنـــف تقلّبـــه الأكـــف   علـــى بســـاط مـــن دمـــوع
أمـــا أنـــا فكمـــا علـــم   ت، فهل لوصـــلك مـــن رجـــوع؟[1]

وبعد ثلاث محاولات أيقن الرشيد أن الشعر للجارية بعد أن نجحت بتفوّق في هذه الاختبارات، وأظهرت خلالها مقدرة فائقة على التصرّف بأمر اللغة، والإمساك بزمام الألفاظ ومفاصلها، وحسن التصرّف بها؛ بحيث أدهش الرشيد بها، مما حدا به إلى أن يقول للبرمكي: لا بد من أخذها. فتوجه جعفر إلى أبيها، وقال له: أمير المؤمنين يريد ابنتك. فقال: حباً وكرامة، تهدى جارية إلى أمير المؤمنين مولانا. ثم جهزها وحملها إليه

(1) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص138.

فتزوجها، ودخل بها فكانت عنده من أعز نسائه، ونستشف من ذلك أيضاً الحس الفني عند الرشيد[1].

وفي خبر آخر تظهر فيه الجارية سبباً في منافسة بين الشعراء؛ حيث دخل الرشيد على جارية اسمها الخيزران قُبيل الظهر في مقصورتها -على غفلة منها- فوجدها تغتسل فعندما رأته دفعها حياؤها إلى أن تجلّلت بشعرها حتى غطّت جسدها كاملاً، ولم ير منها شيئاً مما حدا بالرشيد إلى أن يخجل من فعلته، ويعود إلى مجلسه ويطلب من مجالسيه أن يصفوا ما في نفسه، فأنشأ بشار يقول:

تحبّبتــُكم، والقلب صــار إليكمــو ... بنفســي ذاك المنـــزِل المتحبـــب
إذا ذكروا الهجران، لا عن ملالــة ... وذكــراهم، ينمــي إلـيّ، محبــب
وقالوا تجنّبـــنْا، ولا قــرب بيننــا ... فكيــف وأنــتم حــاجتي تتجنبــوا
على أنهم أحلى من الشــهد عنــدنا ... وأعذب من ماء الحيــاة وأطيــب "[2]

فاستحسن الرشيد الشعر، ولكنه لم يصب ما في قلب الخليفة، فاستغل أبو نواس هـذا الإخفاق ليقول:

نضّت عنها القميص لصــب مـا ء ... فــورَّد خـــدها فـــرط الحيـــاء
وقابلــت الهواء، وقد تعـ ــرت ... بمــعتـــدلٍ أرق مـــن الهـــواء
ومــدت راحــة، كالمـ ــاء منـــها ... إلــى مـــاء معـــدٍّ فــي إنـــاء
فلمـا أن قضت وطــراً وهمـ ــت ... على عجــل إلــى أخـ ـذ الــرداء
رأت شخص الرقيب علــى التـداني ... فأســبلت الظــلام علــى الضــياء
فغاب الصبح منه لـتحـت ليـلٍ ... وظل المــاء يقطــر فــ ـوق مــ ـاء
فســبحان الإلـــه وقـــد براهــا ... كأحســن مَنْيكــون مــن النســاء "[2]

فأعجب به الرشيد إعجاباً شديداً؛ فكأن أبا نواس كان مرافقاً له يصف المشهد كما هو بحذافيره، وكأنه تسلّل إلى قلب الخليفة وعقله، ليستقرئ ما فيهما، وينظمه شعراً مصــفى بالحكم والأمثال والتشبيهات القوية، كما في البيت قبل الأخير، ثم ليجمل القضية الأساسية في بيته الأخير.

---

(1) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس،، ص138.
(2) المصدر نفسه، ص139.

وفي خبر آخر تكون الجارية تحت سؤال الخليفة، ووضعها تحت المجهر؛ من خلال طرح سؤال عليها ممثلاً ببيت من الشعر، للإجابة عنه بردٍّ جميل يوازي السؤال بالقافية والوزن؛ حيث أرق الرشيد ليلة فقام يتمشى في قصره، فرأى جارية من جواريه نائمة فأعجبته، فداس على رجليها فانتبهت فرأت أمير المؤمنين، فاستحيت منه وقالت: يا أمين الله ما هذا الخبر؟

فأجابها بقوله:

قلت ضيف طارق في أرضكم هل تضيفوه إلى وقت السحر

فأجابته بقولها:

بسرور وهناء سيدي أخدم الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها إلى الصباح، فسأل أمير المؤمنين من بالباب من الشعراء؟ فقيل له: أبو نواس فأمر به فدخل عليه. فقال: علي، يا أمين الله ما هذا الخبر، فأنشأ أبو نواس يقول:

طال ليلي حين وافاني السهر فتفكرت فأحسنت الفكر

قمت أمشي في المجالي ساعة ثم أجري في مقاصير الحجر

فإذا وجهٌ جميلٌ مشرقٌ زانه الرحمن من بين البشر

فلمست الرجلَ منه موطئاً فدنت مني ومدت للبصر

وأشارت لي بقول مفصح يا أمين الله ما هذا الخبر؟

قلت ضيف طارق في أرضكم هل تضيفوه إلى وقت السحر

فأجابت بسرور سيدي أخدم الضيف بسمعي والبصر

قال: فتعجب أمير المؤمنين من ذلك، وأمر له بصلة[1].

ونلاحظ أن الشاعر أتى بقصيدة كاملة توازي الأبيات السابقة بالوزن والقافية، أما من حيث مضمون القصيدة، فقد دخل الشاعر إلى قلب الخليفة وصاغ ما يدور فيه شعراً؛ ليقصَّ القصة كاملة، ويعرض موقف كل من الجارية والخليفة، ومجريات أخرى لم يشهدها؛ مما دفع الخليفة إلى أن يجزل عطاءه.

(1) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، 140.

وفي مجلس آخر، يسأل الرشيد الفضل عن خبره مع الجواري، فقال : نعم يـا أميـر المؤمنين، وسرد عليه القصة، وقال : "كنت استلقيت على ظهري، وعندي جاريتان مكيـة ومدنية، وهما يغمزاني فتناومت عليها، فضحك الرشيد وقال: هل تصفح عنهما؟ فقال: هما وسيدهما فداء نعل أمير المؤمنين، وأمر بإحضارهما وتسليمهما له"[1].

ويبدو من هذا اهتمام الرشيد بأخبار الجواري واستنشادهن أجمل مـا عنـدهنّ مـن أشعار، وحرصه على التقرّب منهن، فلهنّ من قلبه موقعٌ كبيـرٌ يملكنـه مـن الـداخل، فعلاقتهما تكامليّة يكمّل بعضهم بعضاً؛ حيث يقول الرشيد في جوارٍ له ليحيى بن خالد:

"ملك الثلاثُ الآنسـات عِنـان وحللن مـن قلبـي بكـل مكـانِ
ما لي تطاوعني البرية كلهـا وأطيعهن، وهـنَّ فـي عصـيانِ
ما ذاك إلا أن سلطان الهـوى وبه عززن أعزُّ من سـلطاني"[2]

ومن هذا الخبر نُدرك أهميّة الجواري في قصر الخليفة، وأهميّة الخليفة للجـواري؛ حيث ملكنَ قلبه وحلَلْنَ فيه بكل مكان، ويطاوعهنّ حتّى لو كنّ في عصـيانهٍ، ثـمّ يحـدّد السبب الرئيس لهذا، وهو سلطان الهوى.

وقال فيهنّ أيضاً:

إن سـحراً وضـياءً وخنـث هـن سـحر وضـياء وخنـث
أخـذت ولا ذنـب لهـا ثلثـي قلبـي وترباهـا الثلـث[3]

فلقد كان الرشيد في هذين البيتين أكثر دقّة في وصف الجواري ؛ فهـنّ اسـمٌ علـى مسمّى، وحدّد حجم ما للجواري في قلبه في العجز الثاني.

وهناك جارية أخرى عشقها الرشيد عشقاً مبرحاً، وأفصح عمّا يختلج في صدره مـن لواعج، حيث يقول:

وتنال إذا نظرت إليـك بطرفهـا مـا لا ينـال بحـره النصـلُ
شغلتك، وهي لكـل ذي بصـر لاقـى محاسـن وجههـا شُـغ لُ

---

(1) النيسابوري، أبو منصور عبدالملك بن محمد النيسابوري الثعالبي، لطائف اللطـف، تحقيـق عمر الأسد، دار المسيرة، بيروت، ص 99-100؛ ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريـد، ج 7، ص99.

(2) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص140.

(3) ابن الجراح، الورقة، ص17.

ولقلبـــــها حلـــم تصـــد بـــه   عن ذي الهـــوى ولطرفهـــا جهـــــلُ

وإذا نظرت إلى محاسن وجهها   فلكـــــل موضّـــــعِ نظـــــرةٍ قتـــــلُ [1]

ومن هذه الأبيات ندرك كيف هام الرشيد بهذه الجارية، وكيف ملكت قلبـــه، وكيـــف ينظر إليها، وهي أبيات يظهر فيها الرشيد ضعيفاً رقيق القلب لهذه الجارية.

وكما أن الرشيد يعشق الجواري كان يعشق بعض الأصوات؛ كما في أخبـــاره مـــع دنانير؛ حيث كانت لرجل من أهل المدينة، وهي مغنّية محبّة للشعر القديم إلى جانب كونها خادمةً مليحةً صفراء اللون، وقع في حبّها البرمكي فاشتراها، وكان الرشيد يتردد علـــى بيته حتّى ألفها وأعجب بها، وأجزل لها الأعطيات "حيث وهب لها في ليلةِ عيدٍ عقداً قيمتُه ثلاثون ألف دينار، فردَّ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك، وعلمت أم جعفر خبره فشكته إلى عمومته، فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه، فقال : ما لي في هذه الجاريـــة مـــن أرب فـــي نفسها، وإنما أرب في غنائها فاسمعوها، فإن استحقت أن نألف غناءَها، وإلا فقولـــوا مـــا شئتم، فأقاموا عنده، ثم نقلهم إلى يحيى، حتى سمعوها عنده فأعـــذروه، وعـــادوا إلـــى أم جعفر، فأشاروا عليها أن لا تلح في أمرها، فقبلت ذلك، وأهدت إلى الرشيد عشر جـــوارٍ ، منهن ماردة أم المعتصم، ومراجِل أم المأمون، وفاردة أم صالح[2].

ولكن، بعد أن قُتِلَ البرمكي في إحدى المعارك، أمر الرشيد دنانير أن تُغنّي فرفضت أن تغني لغير سيدها، وبعد أن أمر بصفعها بكت بكاءً شديداً فغنت:

"يـــا دار ســـلمى بنـــازح الســـند   بـــين الثنايـــا ومســـقط اللبـــد

لما رأيت الـــديار التـــي درســـت   أيقنـــت أن النعـــيم لـــم يعـــد

فرقَّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها، فانصرفت، ثم التفت إلى إبراهيم بن المهدي فقال له : كيف رأيتها؟ قال: رأيتها تختله برفق، وتقهره بحذق"[3].

فهذا الرشيد القائد العسكري يحنّ ويرقّ قلبه لصوت جاريةٍ تنوح على أهلها وسيّدها.

أما عن الرشيد الأب الحاني على رفاقه المُنفقِ على المحتاج، فيدل عليه موقفه حـــين خرج مرّة، وفي هذا يحدّثنا محمد بن يزيد عن أبيه "قال: لما خرجنا مع الرشيد إلى طوس

---

(1) ابن الجراح، الورقة، ص18.

(2) المصدر نفسه، ص17.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص67-68.

نسايره، فاستسقينا ماء من منزل نزلناه يقال له سحنة، فخرجت إلينا جارية كأنهـا ظبيـة فسقتني ماء، فقلت هذا الشعر:

غـزال يرتعـي جنبـات واد بسـحنة قـد تمكـن فـي فـؤادي

سـقاني شـربة كانـت شـفاء لعلـة حـائم حـران صـادي

فقال لي: أتحب أن أزوجكها، فقلت: نعم والله يا سيدي، قال: فأخطبها، والمهر علي ما يصلحها فخطبتها"(1).

ولكن الموضوع المغنى أحياناً قد لا يحبه الرشيد، فعندما سمع الرشيد جاريـة تُغنّـي بشعره غضب غضباً شديداً وفي ذلك يُخبرنا محمد بن العباس اليزيدي بأن قينة اعترضت الرشيد فغنّته:

مـانقمـوا مـن بنـي أميـة إلا أنهـم يحلمـون إن غضـبوا

فلما ابتدأت به تغير وجه الرشيد، وعلمت أنها قد غلطت، وأنها إن مرَّت بـه قُتلـت، فغنت:

ما نقموا مـن بنـي أمـيـة إلا أنهـم يحملـون إن غضـبوا

وأنهـم معـدنُ الملـوك ولا تصـلح إلا علـيهم العـربُ

فبعد أن أخطأت القينة، وأدركت خطأها انتقلت لتجبر كسرها، وتقوّمه ليعفـو عنهـا الرشيد، وعندها التفت الرشيد إلى يحيى بن خالد وقال: اصمت يا أبا علي، فقال: يا أمير المؤمنين؛ تبتاع وتسنّ لها جائزة، ويعجل لها الإذن ليسكن قلبها، قال: ذلك جزاؤها، قومي فأنت مني بحيث تحبين، قال: فأُغمي على الجارية، فقال يحيى بن خالد:

جزيت أمير المؤمنين بأمنهـا من الله جنـات تفـوز بعـدنها (2)

ونرى أن يحيى بن خالد أراد أن يصحّح الخطأ، ويبرر للرشيد عفوه عن القينـة؛ بأن العفو من القوي.

أما عن صورة الرشيد، ومجلسه في أسرته الخاصة، فقد هجر الرشيد أم المعتصم وهـي ماردة، وكلا منهما يعشق الآخر لكنهما مختلفان فيمن يصلح الآخر أولاً، فتكبّر الرشيد أن يبدأها الصلح، وتكبّرت هي أيضاً، فأخبر الرشيد العباس بن الأحنف بالقصة فقال فيهـا،

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص422.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص85-86.

"وعاد الرشيد، وكان وزيره الفضل بن الربيع، فأحضر العباس بــن الأحنــف، وعرَّفــه القصة، وقال: قل في ذلك شيئاً، فقال:

العاشــقان كلاهمــا متجنِّــبُ وكلاهمــا متعتِّــبٌ متغضــبُ
صدت مهاجرةًوصدّ مهــاجراً وكلاهما ممــا يعــالج مُ تْعَــبُ
إن التجانب إن تطاول منهمــا بـد السلو لـــه فعــزَّ المطلــبُ

فبعث إليه الفضل بالأبيات، فسُرَّ بها سروراً، ولم يستتمَّ الرشيد قراءتها حتـــى قـــال العباس أيضاً بيتين في ذلك، وهما:

لا بـــد للعــــاشق مـــن وقفـــةٍ تكـــون بـــين الوصـــل والصــــرم
حتـــى إذا الهجـــر تمـــــادى بـــه راجـــع مـــن يهـــوى علـــى الـــرغم

فاستحسن الرشيد إصابته حالهما (حال الرشيد وحال زوجه مادره وهمــا غاضــبان، وقال: والله لأصالحنها كما قال.

وفي خبرٍ آخر طويل يُوردُهُ صاحب العقد عن قينة تُغنّي في الكوفة، تصادف غناؤها مع مرور الرشيد، وهو يتفقّد الرّعية هناك، ومعه إسماعيل بن صبيح، وبعض الخدم، فأمر الرشيد أحد الخدم بأن يدنو من الباب ليعرف ما هو الصوت، فرأى نسوة يغزلن بيتاً برنّة وأناة وزفرة، وحفظ الخادم من شعرها هذه الأبيات:

هل" أرى وجه حبيــب شــفني بعـــد فقدانيـــه، إفـــراط الجـــزع
قد برى شوقي إليــه أعظمــي وبلـــى قلبـــي هـــواه وفـــزع
ليت دهراً مــرّ، وا لقلــب بــه جــذل، والعــيش حلــو قــد رجــع
وعفـــت آثـــاره منـــه فيـــا ليت شعري، ما بـــه الـــدهر صـــنع؟
قد تمسكت علـــى وجـــدي بـــه بجميل الصـــبر، لـــو كـــان نفـــع "[(1)]

فأمر الرشيد الخادم بأن يعرف المكان جيّداً، ورجعوا إلى البصرة وقضــيا ليلتهمــا هناك وصلّوا الفجر، وفرغوا من التسبيح، وبعث الرشيد الخادم إلى المنطقة نفسها ليــأتوا برجلٍ منها ولم يجدوا، وذهبا إلى مسجد المنطقة وجلبوا معهم أربعة رجالٍ فلبّــوا نــداء الرشيد فقربهم الرشيد وأدناهم وأكرمهم، وأبلغهم القصة كاملة فقالوا : "يا أمير المــؤمنين، هذه البارعة بنت عوف بن سهم كان أبوها زوَّجها ابن عـ م لها، يقال له سليمان بن همــام

---

(1) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج7، ص10.

على عشرة آلاف درهم، فهلك أبواهما من قبل أن يجتمعا، فاكتتب زوجها مع عاملك إلى اليمن لقلة ذات يده، وخرج منذ خمس سنين، فحزنت عليه، وطال شوقها إليه، فهي تنشد الأشعار فيه، وتستريح إلى ذكره"[1].

2.3 موقف الرشيد من الأعراب:

سبق أن قلنا: إنّ للجواري حضوراً كبيراً في مجلس الرشيد، وتأثيراً في سياسة الدولة، كذلك كان للأعراب موقعهم وتأثيرهم؛ فهم يمثّلون التاريخ والأصالة، ومن خلالهم يتذكّر الرشيد العصر الإسلامي والأموي، ليتذكّر أيام الخلافة الرّاشدية ويستذكر بهم شعر الصحراء القوي المتين، لي ستذكر ذا الرّمة؛ فعندما بُويع الرشيد بالخلافة جاءه أعرابي برسالة رآها في منامه، فاستسمح الرشيد، وقال :أتاني آت في منامي فقال : ائتِ أمير المؤمنين فأبلغه هذه الأبيات:

توارثت الخلافة في قريشٍ	تزف إليكما أبداً عروساً
إلى هارون تُهدى بعد موسى	تميسُ وما لها أن لا تميسا

فأعطاه الرشيد عطاءً جزيلاً وصرفه"[2].

وقد حاول الشاعر تذكير الخليفة بخلافة قريش، والفتوحات الإسلامية في بدايات العهد لتوسيع الدولة، وتعزيزها وبيان فضل قريش على العرب.

وفي خبر طويل أورده الإتليدي عن أعرابي زاحم الرشيد في مكّة المكرمة؛ حيث دخل الرشيد مكة، وبدأ يطوف حول الكعبة ويردد الأذكار، وإذا بأعرابي يزاحم الرشيد ويحاول التقدّم عليه؛ فغضب الرشيد والتفت إلى حاجبه فأنكر هذا العمل، وأمر الحاجبُ الأعرابي بأن يتخلّى عن الطواف حتّى يُنهي الخليفة؛ فقال الأعرابي: "إن الله قد ساوى بين الإمام والرَّعيَّة في هذا المقام، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ[3]﴾[4].

فلما سمع الرشيد من الأعرابي ذلك راعه أمره فأمر حاجبه بالكفّ عنه، ثم جاء الرشيد إلى الحجر الأسود ليستلمه فسبقه الأعرابي فاستلمه، ثم أتى الرشيد إلى المقام

(1) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج7، ص10.

(2) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص147.

(3) سورة الحج، آية 25.

(4) الإتليدي، المصدر السابق، ص162.

ليصلي، فسبقه الأعرابي فصلَّى فيه، فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه : ائتني بهذا الأعرابي، فأتاه الحاجب، فقال :أجب أمير المؤمنين . فقال: "ما لي إليه من حاجة، إن كان له حاجة فهو أحقّ بالقيام إليّ والسعي، فاند هش الرشيد من ردّ الأعرابي، وأمره بالكف عنه فمضوا إلى الحجر الأسود ليقبّله أمير المؤمنين، فزاحمه الأعرابي وتقدّم عليه، وكذلك فعله عند القيام إلى الصلاة فلما، فرغ الرشيد من صلاته أمر الحاجب بأن يأتي له بالأعرابي، فقام الأعرابي، فقام الرشيد حتى وقف بإزاء الأعرابي، وسلَّم عليه، فردَّ عليه السلام، فقال له الرشيد : يا أخا العرب اجلس هنا بأمرك، فقال الأعرابي: ليس البيت بيتي، ولا الحرم حرمي، وكلّنا فيه سواء، فإن شئت تجلس، وإن شئت تتصرف "[1]. حتى قال له الرشيد: أخبرني عمّا افترض الله عليك؟ فقال له: تسألني عن أيّ فَرض، عن فرض واحد، أم عن خمسة أم عن سبعة عشر، أم عن أربعة وثلاثين، أم عن خمسة وثمانين، أم عن واحدة في طول العمر، أم عن واحدة من أربعين، أم عن خمسة من مائتين، قال : فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به، ثم قال له : سألتك عن فرضك فأتيتني بحساب الدهر؟ قال: يا هارون، لولا أن الدين بالحساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2]"[3].

فغضب الرشيد غضباً شديدا حتى أقمرت عيناه، وسأله عن الأرقام التي سردها له، وإلا ضرب عنقه بين الصفا والمروة، حتى كاد يضربه وقال: "فهال الرشيد ما سمعه منه، وهانت نفسه عليه، ثم قال الأعرابي : أما سؤالك عمّا افترض الله عليّ، فهو دين الإسلام، وأما قولي لك عن خمسة: فهي الصلوات؛ وأما قولي لك عن سبع عشرة: فهي سبعة عشر ركعة؛ وأما قولي لك عن أربعة وثلاثين : فهي السجدات؛ وأما قولي لك عن خمسة وثمانين: فهي التكبيرات؛ وأما قولي لك عن واحدة في طول العمر : فهي حجة الإسلام، وأما قولي لك واحدة من أربعين : فهي زكاة الشياه، شاة من أربعين، وأما قولي لك خمس من مائتين، فهي زكاة الورق".

---

(1) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص163.

(2) سورة الأنبياء، آية47.

(3) الإتليدي، المصدر السابق، ص163.

عندها فرح الرشيد وسرّ في تفسير هذه الألغاز، فقال الأعرابي : سألتني فأجبتك، وأنا أريد أن أسألك فأجبني.

قال: قلْ.

فقال الأعرابي: ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في وقت صلاة الفجر، فكانت عليه محرَّمَةٌ، فلما كان وقتُ الظهر حلَّت له، فلما كان وقت العصرِ حُرِّمَت عليه، فلما كان وقت المغرب حلَّت له، فلما كان وقت العشاء حُرِّمت عليه، فلما كان الصبح حلَّت له، فلما كان وقت الظهر حرِّمت عليه، فلما كان وقت العصر حلَّت له، فلما كان وقت المغرب حرِّمت عليه، فلما كان وقت العشاء حلَّت له.

فقال: والله يا أخا العرب لقد أوقعتني في بحر لا يخلِّصني منه غيرك".

فدُهش الرشيد وظنّ أنه في كابوس، وقال ما هذا الأعرابي الذي يتلاعب بي، وكأني نقود في كفّه، فعندما طلب منه الإجابة عن السؤال، ردّ عليه الأعرابي : حبَّاً وكرامةً، ولكن على شرط أن تجبر الكسير، وترحم الفقير، ولا تزدري الحقير.

فقال:حبَّاً وكرامةً، ثم قال : إن قولي لك عن رجل نظر إلى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراماً فهو رجل نظر إلى أمة غيره وقت الفجر فهي حرام عليه، فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلَّت له، فلما كان وقت العصر أ عتقها، فحرمت عليه، فلما كان وقت الغروب تزوّجها فحلّت له، فلما كان وقت العِشاء طلَّقها فحرمت عليه، فلما كان وقت الفجر راجَعَها فحلَّت له، فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرّمت عليه، فلما كان وقت العصر أعتق عنها، فحلَّت له، فلما كان وقت المغرب ارتدَّ عن الإسلا م، فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء تاب ورجع إلى الإسلام فحلّت له(1).

فاغتاظ الرشيد من هذا الأعرابي، واشتدّ إعجابه به وأمر له بعشرة آلاف درهم، ولكن الأعرابي أراد أن يكمل الفصل الأخير من المواجهة؛ ليقول لا حاجة لي بها فردها إلى أصحابها، فقال له: أريد أن أجري لك جراية تكفيك مدة حياتك؟ فأنشده:

هب الدنيا توافينا سنينا — فتكدر ساعة وتلذ حينا
فما أبغي لشيء ليس يبقى — وأتركه غدا للوارثينا
كأني بالتراب علي يحثى — وبالإخوان حولي نادبينا
ويوم تزفر النيران فيه — وتقسم جهرة للسامعينا

(1) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص164.

وعزة خـــالقي وجـــلال ربـــي لأنـــتقمن مـــنهم أجمعينـــا

وقد شاب الصغير بغيـــر ذنـــب فكيف تكون حـــال المجرمينـــا

عندها تأوه الرشيد، وسأل عن أهل بلاده فأخبروه بأنه موسى الرضا بن جعفر الصادق بن محمد بن باقر بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه كان زاهداً فقام إليه الرشـــيد، وقبّل ما بين عينيه[1].

وهذا خبرٌ طويلٌ ارتأيت أن أعرضه لما له من أهميّة في هذه الدّراسة، كونَه يكشـــف عن جانب مهم من حياة الرشيد، وموقفه من جزء لا يتجزّأ من مجلسه، وهم الأعـــراب؛ حيث كشف لنا هذا الخبر عمّا يلي:

أولاً: موقف الرشيد من الأعراب، فهم في رأي الرشيد الأصالة، وهم رمزٌ للعروبـــة الصافية، وعلى ألسنتهم تجري اللغة الفصيحة.

ثانياً: على الرغم مما تعرّض له الرشيد من مضايقات من الأعرابي، إلا أنه كان توّاقاً للمعرفة، محبّاً لها؛ فصبر الرشيد، وأظهر حلمه وعطفه على هذا الأعرابي.

ثالثاً: الثقافة العالية التي يتمتع بها الأعرابي، وثقته بنفسه والشدة في المعاملة.

أما عن صورة الأعرابي في مجلس الرشيد فقد كان الأعراب يلبسون لباســـاً خاصـــاً يعبّرون فيه عن أصالتهم؛ كونَ هذا اللباس يدلّ على العروبة الخالصة، ومثـــل ذلـــك أن أعرابيّاً قدم على الرشيدمن باهلة، وعليه جبة حبر ورداء يمانيّ، قد شده على وسطه ثم ثناه على عاتقه، وعمامة قد عصبها على خديه، وأرخى لها عذبة من خلفه؛ فقعد بين يدي الرشيد فقال له سعيد: يا أعرابي خذ في شرف أمير المؤمنين، فاندفع في شعره، فقال لـــه الرشيد: أعرابي أسمعك محسناً، وأذكرك فهماً، فقل لنا بيتين في هذين . يعنـــي محمـــد الأمين وعبد الله المأمون ابنيه، وهما حوله . فقال: يا أمير المؤمنين: أطلعتني على الوعر القردد، ولزحتني عن السهل الجدجد ، روعة الخلافة وبهر الدرجة ونفـــور القـــوافي عـــن البديهة[2].

ويمكن أن نستشفّ من هذا الخبر مكانة الأعرابي عند الرشيد، وكذلك قـــدرة الرشـــيد على مجالسة الأعراب، وامتحانهم على الرغم من خشونة الأعرابي، واستخدامه ألفاظـــاً وتعبيرات غريبة، وغير واضحة.

---

(1) الإتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، 164-165.

(2) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج1، ص215.

3.3 مجالس الرشيد مع العلماء

كما كان للجواري والأعراب موقعهم في مجلس الرشيد كان للعلماء مجلسهم أيضاً؛ فكانوا شعراء، وزهّاداً، ووعّاظاً، وعبّاداً، وقرّاءً، ومفسّرين، وأهل لغة ورواية، وكان الرشيد يجالسهم جميعاً ويُبدي تفوّقه بينهم ؛ فهو صاحب ثقافة كبيرة وأدبٍ رفيعٍ وذوق ممتاز، كيف لا وقد تعلّم على يد المفضل الضبي وقرأ القرآن على يد حمزة الزيّات ، وعلّمه الكسائي النّحو والعربية وأيام العرب والفقه ، وجالس الأصمعي وتعلّم منه طرائف العرب وحذقهم، ولقنه دروساً كثيرة، والعلماء لا يغيبون عن مجلس الرشيد ، ولكنهم كانوا يأتون لأغراض تختلف عن غيرهم كما يقول سامي الصقار : "وكان بعض العلماء يزورون الخلفاء لا لغرض دنيوي ،وإنما ليعظوهم ويواصلوهم بالنصيحة، ويتطرقوا في تلك المجالس إلى نقد أعوان الخليفة بكل صراحة"[(1)].

ومن ذلك أنه مرّ الرشيد بالمفضل الضبي ، والمأمون عن يمينه، ومحمد الأمين عن يساره، قال المفضل: فسلمت، فأومأ إلي بالجلوس فجلست، فقال لي: يا مفضل، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال : كم من الأسماء في (فسيكفيكهم) الله! فقلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين، قال وما هي؟ قلت : الياء الله عز وجل، والكاف الثانية لرسول الله r ، والهاء والميم والواو للكفار، قال: صدقت[(2)].

فهذا الخبر يظهر فيه الرشيد نحوياً يوجّه الأسئلة إلى علماء النحو؛ ليختبرهم في أدق تفصيلات اللغة، ولم يكتفِ الرشيد بتوجيه الأسئلة، وإنما أراد منها تعليم ابنه المأمون، والتفت إليه وقال: "فهمت؛ قال: نعم ، قال: أعد المسألة، فأعادها كما قال المفضل"[(3)].

وبعد ذلك طرب الرشيد للمجلس فأراد أن يبحث عمّا فضل من علم المفضل الضبي فقال: "يا مفضل هل عندك مسألة ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قول الفرزدق:

أَخَذنا بِآفاقِ السَماءِ عَلَيكُمُ لَنا قَمَراها وَالنُجومُ الطَوالِعُ

---

(1) الصقار، سامي، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية عند العلماء حتى القرن الخامس الهجري، منير الدين أحمد، ترجمة وتعليق سامي الصقار، دار المريخ، الرياض، 1981م، ص114-115.

(2) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص362.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص62.

قال الرشيد: هيهات قد أخذنا هذا قبلك، فقد أخبرنا الشيخ -يعني الكسائي - أن لنا قمريها، يعني الشمس والقمر، كما قالوا سنة العمرين، يريدون أبا بكر وعمر ؛ وذلك أنه إذا اجتمع اسمان من جنس واحد، وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلّبوه، فسموا الأخير باسمه؛ فلما كانت أيام عمر أكثر من أيام أبي بكر وفتوحه أكثر، غلبّوه، وسموا أبا بكر باسمه، وقد قال الله عز وجل : ﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[1]، وهو المشرق والمغرب"[2]. وهذا يدل على سعة اطلاع الرشيد على أدق تفصيلات العربية وفقهها، والرشيد القائد العالم كان يعد ابنه لخلافته، وأدرك الرشيد أن الخلافة تحتاج إلى تأديب، فقد بعث الرشيد ابنه الأمين إلى خلف الأحمر ليؤدّبه، وفي هذا يقول خلف الأحمر : بعث إليّ الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين، فلما دخلت عليه قال: يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيِّرْ يدك عليه مبسوطة، وطاعتك عليه واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الآثار، وروّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره مواقع الكلام، و أبدأه وامنعه الضحك، إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرّنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم منها فائدة تفيده إياها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباها فعليك بالشدة والغلظة[3].

ومن هنا أعدّ الرشيد عدّته لخلافة الأمين، وأراد تأديبه أحسن تأديب، وأراد أن يصنع منه رجلاً غليظاً كما جاء في وصيّته لخلف الأحمر، وقد ركّز الرشيد على مجالسة العلماء، وكان يميل إليهم كما يقول الخطيب البغدادي "وكان الرشيد يحب الفقه والفقهاء ويميل إلى العلماء"[4].

وكان الرشيد يستمع لنقاش العلماء ومناظرتهم كما في المناظرة بين الفقيه أبي يوسف والكسائي "عندما سأل الفقيه أبو يوسف النحوي الكسائي : ماذا تقول فيمن سها في سجود

(1) سورة الزخرف، آية38.

(2) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، 63.

(3) المصدر نفسه، ص364.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص7.

السهو، هل يسجد مرة أخرى، فقال الكسائي :لا، فسأله محمد :لماذا؟، فأجاب الكسائي : لان النحاة تقول يصغر"[1].

وكان الرشيد محبّاً للعلم وحريصاً عليه، فقد رحل إلى العلماء ليسمع منهم، وفي ذلك يقول القاضي الفاضل : ما أعلم لملك رحلة في طلب العلم إلا الرشيد، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك -رحمه الله-، وكانت أصول الموطأ بسماع الرشيد في خزانة المصريين، ثم رحل بسماعة السلطان صلاح الدين ابن أيوب إلى الإسكندرية، فسمعه علي بن طاهر بن عوف، ولا أعلم لهما ثالثاً[2].

وفي مجلس جمع الرشيد مع الأصمعي؛ قال الأصمعي : سمعت الرشيد يقول: قلب العاشق عليه مع معشوقه، فقلت له : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري لعفراء:

وإِنّي لَتَعْروني لِذِكْراكِ رِعْدَةٌ لها بين جسمي والعِظامِ دَبيبُ
وما هُوَ إِلاّ أَنْ أَراها فُجاءَةً فَأُبْهَتُ حتى ما أَكادُ أُجيبُ
وَأُصرَفُ عن رَأْيِيالّذي كُنْتُ أَرْتَئي وأَنسى الّذي حُدِّثْتُ ثُمَّ تَغيبُ
وَيُظْهِرُ قَلْبي عُذْرَها ويُعينها عَلَيَّ فما لي في الفُؤادِ نصيب

فقال الرشيد: من قال هذا وهماً فيما أقوله علما، ولله درك يا أصمعي! فإني أجد عندك ما تضل عنه العلماء[3].

فالرشيد هنا قد أبرز ما يختلج في صدره من حبّه للعلماء ومجالستهم.

وكان الرشيد موسوعةً في الشعر ينتقي أطايب الشعر، ومختاراته، ويسأل العلماء عنها، ومن ذلك سؤاله إسحاق الموصلي : ما أحسن ما قيل في رياضة النفس على الفراق؟ قلت: قول الأعرابي:

وإني لأسْتَحْيِي عيوناً، وأتَّقي كثيراً، وأسْتَبْقي المودَّة بالهجْرِ
فأُنذِرُ بالهجران نفسي أرُوضها لأعلم عند الهَجْر هل ليَ من صَبْر

فقال الرشيد: هذا مليح ، ولكني استملح قول أعرابي آخر:

---

(1) اليافعي، مرآة الجنان، ص328.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص294.

(3) المرتضي، الشريف علي بن طاهر، (ت436هـ)، أمالي المرتضي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، مصر، 1966م، ص252.

وما كان هجراني لها عــن ملالــة ولكنني جربت نفســي بالصــبر [1]

ولم يكن موسوعة في الشعر فقط، وإنما موسوعة في الحديث الشريف ورجاله أيضاً، كما في سؤاله لمطرف بن حازم قاضي اليمن؛ حيث قال له : من عبدالرزاق ابــن همــام الصنعاني؟ فقلت رجل من أهل الحديث سليم الحديث ثقة، فقال : إن صاحب خبرنا باليمن كتب يذكر أنه كتب ثقلاء اليمن، فقلت صدق يا أمير المؤمنين فـ كتبني فيهم، قال : ولــم أكتبك فيهم؟ إنك لحسن الحديث خفيف المجلس، فما استثقل منك؟، فقلت عظيم قلنســوتي، وطول عنق بغلتي، فضحك هارون، فما خرجت من عنده حتى أمر لي بكسوة وحملين[2].

وقد كان الرشيد يجل العلماء ويكرمهم ، ويتواضع لهم اعترافا منه بفضلهم وتعظيمــا لعلمهم؛ فلقد استدعى إليه أبا معاوية الضرير محمد بن حازم يسمع منه الحديث، قال أبــو معاوية، ما ذكرت عنده حديثا إلا قال صلى الله وسلم على سيدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى، وأكلت عنده يوما ثم قمت لأغسل يدي فصب الماء علــي، وأنــا لا أراه ثم قال يا أبا معاوية ثم دعوت له فقال: إنما أردت تعظيم العلم [3]. وقــد بلــغ مــن تواضع الخليفة الرشيد أن صب الماء على يدي أستاذه الخليفة اعترافا منه بفضله عليــه، ويرى الرشيد أن دولته تحسن بضمها علماء من أمثال الأصمعي حين يقول له : "إن أردت دولتي تحسن ببقائك فيها"[4].

وكان الرشيد على ثقافة عالية ؛ فقد "دخلت امرأة على الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين ! أقرّ الله عينك وفرحك بما آتاك، وأتــم ســعدك، لقــد حكمت فقسطت، فقال لها : من تكونين أيتها المرأة؟ فقالت: من آل برمــك، ممــن قتلــت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم، فقال : أما الرجال فقد مضى أمر الله، ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردود إليك، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال : أتــدرون مــا

(1) الحصري، ابن إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم، (ت453هـ)، زهرة الأدب وثمر الألبــاب، نشره زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط4، د.ت، ص982.

(2) ابن عبدالبر، أبو عمرو بن يوسف بن عبدالله (ت463هـ)، بهجت المجالس وأنس المجالس وشحذ الخواطر والهاجس، تحقيق : محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1984م، ص743.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص215.

(4) المرتضي، أمالي المرتضي، ج1، ص463.

قالت المرأة؟ قالوا : نراها قالت خيرا، قال ما أظنكم فهمتم ذلك ، أما قولها: أقر الله عينك، فتعنيبهأسكنن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت، وأما قولها : وفرحك بما آتاك، فأخذته من قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾[1]، وأما قولها وأتــم الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

ترقب زوالا إذا قيــل، تــم إذا تـــم أمــــرٌ بــــدا نقصــــه

وأما قولهلها: حكمت فقسطت، فأخذته من قوله تعــالى : ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾[2]. فتعجبوا من ذلك[3].

فهكذا كان الرشيد يغرف من بحر العلم ما لا يعرفه العلماء، وهو صـــاحب الثقافــة العالية في الشعر وفي القرآن وفي اللغة؛ قد أحكمها ودرسها على يد كبار العلماء حتّــى استوى على الجودي، وانطلق يغرف من الكبار علماً، ويكنّ لأهل العلم المودّة والأخلاق، وهذه المودّة لا تمنعه من أن يردّ شيخه في القرآن.

وقال الكسائيصليت يوما بالرشيد فأعجبته قراءتي، فغلطت غلطة ، فأغلطها حبــي، أردت أن أقول لّعلهم يرجعون فقلت : "لعلهم ترجعين" فما تجاسر الرشيد أن يردها، فلمـــا سلمت قال: أي لغة هذه؟ فقلت: إن الجواد قد يعثر، فقال الرشيد: ما هذا...[4].

وعلى الرغم من هذا الانشغال بالعلم والتعلم، إلا أن الرشيد لم يكن يغفل عن أمتــه؛ فكان شديد الخشية عليهم؛ لأنه علم ما هي الخلافة، وما عقوبتها، وفهم الأمانة، والحساب؛ فعندما لقي الفضل بن عياض قال له الفضل : يا حسن الوجه، أنت مسئول عن هذه الأمة، حدثنا ليث عن مجاهد: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[5] قال الوصل التي كانت بينهم في الدنيا، قال: فجعل هارون يبكي ويشهق[6].

---

(1) المرتضي، أمالي المرتضي، ج1، ص463.

(2) سورة الأنعام، آية44.

(3) الأبشيهي، المستظرف في كل فن مستظرف، ج2، ص203.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص8.

(5) سورة البقرة، آية166.

(6) الأبشيهي، المصدر السابق، ج2، ص203.

والرشيد على ثقافة عالية بالسنة، ومجريات الأحداث في السيرة النبويّة، حتّى أنه يعرف وقت تقليم الأظافر، حتى قال ابن قتيبة: سمعت الأصمعي يقول: دخلت على الرشيد وهو يقلم أظفاره يوم الجمعة، فقلت له من ذلك، فقال: أخذ الأظفار يوم الخميس من السنة، وبلغني أن أخذها يوم الجمعة ينفي الفقر، فقلت يا أمير المؤمنين، أو تخشى الفقر؟ فقال: يا أصمعي، وهل أحد أخشى للفقر مني(1).

وكان شديد الخشية من الله، إذ يروي الفضل بن عياض أنه قال له: حساب الخلق كلهم عليك، فبكى الرشيد وشهق، ثم بكى الفضيل حتى جاء الخدم فحملوهما(2).

وفي المجلس أيضاً دخل سهم بن هارون على الرشيد يضحك وقال: اللهم زدهم من الخير، وابسط لهم من البركات حتى يكون في كل يوم من أيامه قريبا على أمسه، مقصر عن غده. فقال له الرشيد: يا سهل من روى من الشعر أحسنه، وأرصنه ومن الحديث أفصحه وأوضحه، إذا راح أن يقول لم يعجزه القول.

فقال سهل بن هارون: يا أمير المؤمنين، ما ظننت أن أحدا تقدمه إلى هذا المعنى، بل أكثر حمدان؛ حيث يقول:

رأيتك أمْسِ خَيْرَ بني لؤيّ وأنْتَ اليوم خيرٌ منك أمسِ

وأنْتَ غداً تزيد الخَيْرَ ضعْفاً كذاك تزيد سادة عَبْدِ شمسِ

وكان الرشيد يكن للوعاظ مكانة خاصة، وكان يرحل من أجلهم ويجلس مجالسهم، ومن الوعّاظ ابن السماك حيث دخل عليه الرشيد فلما وقف بين يديه قال له: عظني يا ابن السماك وأوجز، قال: كفى بالقرآن واعظا يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(3). هذا يا أمير المؤمنين لمن طفف في الكيل، فما ظنك بمن أخذه كله! وقال له مرة: عظني. وأتى بماء ليشربه فقال: يا أمير المؤمنين، لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك؟ قال: نعم! قال: فما خير ملك لا يساوي شربة ولا بولة! قال: يا ابن السماك ما أحسن ما بلغني عنك؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن لي عيوبا

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص202.

(2) المصدر نفسه، ج10، ص202.

(3) سورة المطففين، الآيات1-5.

لو اطلع الناس منها على عيب واحد ما ثبتت لي في قلب أحد مودة ؛ وإني لخـــائف فـــي الكلام الفتنة، وفي السر الغرة، واني لخائف على نفسي من قلة خوفي عليها(1).

وفي نهاية هذا الفصل نقول : إننا حاولنا جمـــع روّاد مجلـــس الرشـــيد، وتصـــنيفهم، فوجدناهم علماء وشعراء وجواريٍ وقياناً، ولاحظنا من خلال الأخبار التي ذكرناها قـــدرة الرشيد على مجالسة العلماء من كل الطبقات، والتفوق عليهم أحياناً، وهذه ا لمجالس علـــى تنوّع موضوعاتها كانت ت جمعها الصبغة الأدبية، وكل هذا النقد والبحـــث عـــن الغريـــب وتفسير بعض المصطلحات، وتفضيل الشعراء، والغنـــاء والطـــرب ومجـــالس الوعـــاظ والعلماء، كان يجمعها خيط الأدب.

ومن الملاحظ أن المؤرّخين اهتموا بمجالس الجواري والقيان؛ لذلك توسّعنا فيها ولـــم ندخل في مناقشتها، ومدى صحّتها، لأنها ليست مجال بحثنا، فلذلك أقول قد يبدو من خلال هذا الفصل بعض التناقضات في الأخبار؛ فالرشيد الذي يجالس العلماء ويبدي تفوّقه عليهم قد يناقض الرشيد الذي يلهث وراء الجواري والقيان، ولا نريد الخوض في أسباب الوضع ودوافعه، وتركنا للمجالس تعطي صورة الرشيد مع روّاده.

---

(1) الأبشيهي، المستظرف في كل فن مستظرف، ج2، ص203.

الفصل الرابع

مجالس الغناء والطرب وأثرها في بعث الشعر

بدأ الغناء والطرب في العصر العباسي بدايةً خجلةً على استحياء؛ حيث كان الخلفاء يُنكرون الغناء، وبانقضاء عصر المنصور بدأت الحركة تشتد وقوي ساعدها؛ ومن ذلك ما بلغه من أن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير يأتي المغنية "بصيص" ويستمع إليها، فأنكر عليه ذلك إنكاراً شديداً، ثم قال: "لكن الذي يعجبني أن يحدو بي الخاوي الليلة بشعر طريف العنبري، فهو آلف في سمعي من غناء بصيص، وأحرى أن يختاره أهل العقل"[1].

وبانقضاء عصر المنصور انتقلت الدولة العباسية نقلة أخرى؛ حيث مال الناس إلى الترف والنعيم، وتسابقوا إلى الأخذ بحظهم من اللهو "بلغ الغناء في العصر العباسي من المنزلة ما جعل الخلفاء يـ تعلمون أصوله وقواعده ويلحنون الشعر، ويتغنى به المغنون والقيان"[2].

وأول من تعاطى الغناء من خلفاء بني العباس الواثق، وفي ذلك يقول الأصفهاني: "وممن دونت صنعته من خلفاء بني العباس الواثق بالله، ولم نعلمه حكي ذلك عن أحد منهم قبله"[3].

ويرى ابن خلدون أن صناعة الغناء قد كملت أيام بني العباس عند إبراهيم ابن المهدي، وإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وابنه حماد، وكان ذلك في دولتهم ببغداد، واتبعه الحديث بعده به وبمجالسه لهذا العهد، وأمعنوا في اللهو واللعب[4].

وقد تعددت ضروب الغناء في هذا العصر؛ فكان منها الغناء العادي، وكان منها الغناء المصحوب بأنواع من الآلات الموسيقية مما نستطيع أن نسميه جوقة، وكان منها الغناء

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص75-77.

(2) فراج، عبدالستار أحمد، نديم الخلفاء (سلسلة اقرأ)دار المعارف، مصر، ط 3، د.ت، ص27.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص267.

(4) ابن خلدون، المقدمة، ص427-428.

المصحوب بأنواع من الرقص [1]. وسنقتصر فقط على مجالس الغناء عند الرشيد؛ لأنه لا يكاد يوجد خليفة عباسي يخلو قصره من الغناء، أو لا يكون له دور في الغناء.

وكان لهارون الـ رشيد جماعة من المغنين؛ منهم إبراهيم الموصلي، وابن جامع السهمي، ومخارق، وطبقة أخرى دونهم، منهم زلزل، وعمرو الغزال، وعلوية، وكان له زامر يقال له برصوما، وكان إبراهيم أشدهم تصرفاً في الغناء، وابن جامع أحلاهم نغمة.

فقال الرشيد يوماً لبرصوما: ما تقول في ابن جامع؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وما أقول في العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيب؟ قال :فإبراهيم الموصلي؟ قال : هو بستان منه جميع الثمار والرياحين. قال: فعمرو الغزال؟ قال: هو حسن الوجه يا أمير المؤمنين[2].

1.4 تأثر الرشيد بالغناء:

وكان الرشيد يتأثر بالغناء ويكافئ الـ مغنين بجوائز قيمة، وخاصة إذا كان الشعر قوياً مؤثراً؛ فلقد دخل ابن جامع على الرشيد "فقال: يا ابن جامع رُدَّ على أمير المؤمنين هذا الصوت، فرددته وتزيدت فيه، فقال له جعفر يا سيدي، أما تراه كيف يتزيد في الغناء ! هذا خلاف ما سمعناه أولاً، وإن كان الأمر في اللحن واحداً، قال: فرفع الرشيد رأسه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألف دينار"[3].

ومعنى ذلك أن الرشيد كان يطلب من الشاعر أن يرد على صوت؛ فإذا استحسنه طلب من الشاعر أن يعيده مرةً أخرى، ويجزل له العطاء في كل مرة ويجعله من المقربين إليه.

وغنى ابن جامع للرشيد في مجلسه، "فقال:

خَلِيفَةٌ لا يَخيبُ سائِلُهُ عَلَيهِ تاجُ الوقارِ مُعتَدِلُ

وهوَّم ابن جامع سكراً ونعاساً، فلما دار الغناء على أصحابه وصارت النوبة إليه حركه من بجنبه فانتبه وهو يغني:

---

(1) ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط 4، 1986م، ص59.

(2) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج7، ص28.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج6، ص288.

اسلَم وَحُيِّيتَ أَيُّهـا الطَلَلُ   وَإِن عَفَتكَ الرِياحُ وَالسَبَلُ

فعجب أهل المجلس من ذكائه وفهمه وأعجب ذلك الرشيد"[1].

فلقد كان الرشيد يعجب من فهم الشعراء والمغنين في مجلسه، ويتأثر بقولهم ويجزل لهم العطاء؛ فالشاعر في هذه الأبيات التي غنى بها الرشيد على الرغم من أنه كان سكرانَ، إلا أنه كان يعرف ما يدور في هذا المجلس، وكان شديد الذكاء والفهم.

وقد بلغ من تأثر الرشيد بالغناء أنه كان يرقص، ويستخفّ الطرب بالضرب بيديه ورجليه، فلقد دخل عليه إسماعيل بن الهربذ، وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفليح وغيرهم والرشيد يومئذ خاثر [2] وبه خُمار شديد، فغنى ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق، فما حركه أحد منهم ولا أطربه، فاندفع ابن الهربذ يغني:

يا راكب العيس التي   وفدت من البلد الحرام

قُل للإمام ابن الإما   م أخي الإمام أبي الإمام

زين البرية إذ بدا   فيهم كمصباح الظلام

جعل الإله الهرب   ذي فداك من بين الأنام

فكاد الرشيد يرقص، واستخفه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم[3].

ويتبدّى من ذلك مدى تأثر الرشيد بغناء إسماعيل بن الهربذ أنه كان يرقص من شدة إعجابه بهذه الأبيات التي أثرت فيه، فكان يضرب بيديه ورجليه، ولقد أجزله العطاء، وأمر له بعشرة آلاف درهم؛ لأن الرشيد كان يجزل العطاء للشاعر فيحفزه على قول الشعر وغنائه. وذلك على الرغم مما قاله بعض الباحثين والدارسين عن الرشيد من أنه كان يملك نفسه عن الطرب؛ كقول محمد أحمد حنفي في كتابه إسحاق الموصلي "وكان الرشيد يلتزم أبهته ووقاره؛ فإذا تملكه الطرب تحرك في اعتدال"[4].

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج6، ص289.

(2) أي خاثر النفس إذ لم تكن طيبه، ابن منظور، لسان العرب، مادة خثر.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج7، ص104.

(4) الحنفي، محمد أحمد، إسحاق الموصلي الموسيقار والنديم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.ت، ص169. ولقد وافق هذا الرأي علي محمد هاشم، الأندية الأدبية في العصر العباسي، ص78.

وليس مجالنا في هذا البحث أن نتحقق من هذه الأخبار حتّى نورد عليها بعض النقد أحياناً، فذلك يحتاج إلى بحث مستقلٍ في ذلك.

وكان الرشيد يسأل المغنين عن سبب قول هذه الأبيات التي يغنونها؛ فلقد دخل عليه إسحاق الموصلي فقال:

أضاعونِي وأيّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثَغْرِ

فقال له: ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجي، فأخبره بخبره من أوله إلى أن مات، فرأيته يتغيظ كلما مر منه شيء أتبعه بحديث مقتل ابني هشام؛ فجعل وجهه يُسفر، وغيظه يسكن، فلما انقضى الحديث قال لي: يا إسحاقُ، والله لولا ما حدّثتني به من فعل الوليد لما تركتُ أحداً من أماثل بني مخزوم إلا قتلته بالعرجي[1].

ويتبين من ذلك مدى تأثر الرشيد بالشعر؛ حيث كان يسأل عن سببه، وكان يشعر مع قائله، وذلك كموقفه من قول العرجي السابق؛ إذ غضب على بني مخزوم وأراد قتلهم لولا فعل الوليد.

وكان الرشيد من الخلفاء العباسيين الذين تأثروا بالغناء والطرب تأثراً شديداً، حيث كان للطرب دورٌ في الراحة والخفة عند سماعه، ولم يختلف الرشيد كثيراً عن الخلفاء العباسيين حيث كان يتفاعل مع الغناء عند سماعه"سواء في تأثرهم بالغناء، أو استفزاز الطرب لهم، ولكنهم كانوا يتفاوتون في سيطرتهم على أعصابهم ومدى تحكمهم في ضبط مشاعرهم"[2].

وكان الخليفة إذا أعجبه صوت المغني يطلب منه أن يعيده أكثر من مرة، وحق الصوت الحسن أن يعاد أربع مرات؛ الأولى بديهة، والثانية تفهم والثالثة للشراب، والرابعة للشبع [3].

وهكذا كان الخليفة هارون الرشيد يطلب من المغني إعادة الصوت أكثر من مرة؛ ومن ذلك قول أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال: أرسل إلي هارون الرشيد فدخلت إليه وهو جالس على كرسي بتلك الدار فقال: يا يحيى، غنِّ:

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص432.

(2) الحنفي، إسحاق الموصلي الموسيقار والنديم، ص169.

(3) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الفضل، (ت502هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج1، ص717.

تصعدت من وادٍ هبطن إلـــى واد   متى تلتقي الأُلاف والعيس كلمـــا

فلم أزل أغنيه إياه، ويتناول قدحاً إلى أن أمسى، فأعدتُ عشر مـــرات اســـتعاد فيهـــا الصوت، وشرب عشرة أقداح، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم.

فالرشيد يطلب من يحيى المكي أن يعيد الصوت عشر مرات إعجاباً بغنائه ويأمر له بعشرة آلاف درهم تحفيزاً له على الغناء وصوته الحسن(1).

بيد أن تأثير الغناء في الرشيد كان مزدوجاً، فمرة يطرب للمغني ويجزل له العطـــاء ويكرمه ويجعله من المقربين، ومرة يغضب عليه ويكون جزاؤه شر الجزاء ومن ذلك أن عَلُّويةَ(2) غنى يوماً للرشيد:

وأرى الغواني لا يواصِلنَ امرأً   فقد الشبابَ وقـــد يصـــلن الأمـــردا

فدعاه الرشيد وقال له يا عاض بَظرِ أمهِ، تغنِّي في مدح المُرْد، وذم الشَّيب، وستارتي منصوبةٌ، وقد شبت ! كأنك إنما عرضت بي ثم دعا بمسرور فأمر أن يأخذ بيده فيخرجـــه فيضربه ثلاثين درة، ولا يرده إلى مجلسه، ففعل ذلك ولم ينتفع الرشيد يومئذ بنفســـه، ولا انتفعنا به بقية يومنا، وجفا علوية شهراً فلم يأذن له حتى سألناه فأذن له(3).

فقد كان الرشيد عارفاً بمواضيع الغناء، وناقداً جيداً يردّ على الشعراء، فلم يعجبه قول علوية بذم الشيب؛ لأن الرشيد قد شاب، ومن مدحه الأمرد، فأمر بجلده ثلاثين جلدة جزاءً له على عدم فطنته لمعنى الشعر.

ودخل إبراهيم الموصلي على الرشيد فغناه

أَتـــاني يُـــؤامِرُني فـــي الصـــبو   ح لَـــيلاً فَقُلْـــتُ لَـــهُ غادِهـــا

فقال له: لمن هذا اللحن يا إبراهيم؟ فأمسك عن الجواب، وخشي أن يكذبه فينمي الخير إليه من غيره، وخاف من جدي أن يصدقه، فقال له: مالك لا تجيبني، فقال: لا يمكنني يا أمير المؤمنين؛ فاستراب بالقصة ثم قال: والله وتربة المهدي لئن لم تصـــدقني لأعاقبنـــك

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج6، ص185.

(2) عَلُّوية:علي بن عبدالله بن سيف، هو علوية المغني، صفدي مولى لبني أمية، وكان ضـــارباً باليسار، طيب الصورة، له حكاية حسنة، وإشادة لطيفة، كثير الروايـــة، ويلهـــي بالصـــوت ويضحك بحكاياته، وكان ترب مخارق ورفيقه منذ أيام الرشيد؛ الصفدي، الوافي بالوافيـــات، ج6، ص215.

(3) المصدر نفسه، ج11، ص339.

عقوبة موجعة، وتوهم أنه لعُليَّة أو بعض حرمه، فاستطار غضباً؛ فلما رأى إبراهيم من صدقه فيما بينه وبيَّنه سراً[1].

فلقد غضب الرشيد على إبراهيم الموصلي غضباً شديداً لما سمع منه الغناء، وسأله لمن هذا الغناء حتى أخبره أنه سمعه من إحدى الجواري، وهكذا فإن الرشيد كما كان يجزل العطاء للشعراء ويكافئهم كان يغضب عليهم، ومقاييسه في ذلك جودة الغناء، وحسن الصوت، ومعنى الشعر.

وفي بعض الأحيان لا يجد الرشيد ما يسكن غضبه إلا سماع الغناء؛ فيطلب من الشعراء أن يغنوه لحناً حسناً؛ ومن ذلك أن أبا سعيد بن أبي سنة مولى بني أمية دخل على الرشيد بعد مجيئه من الحج، فقال له الرشيد: أنشدني قصيدتك:

تقول أُمامة لما رأت

فاندفع فغناه -قبل أن يُنشده الشعر- لحنه في أبيات، أولها:

أفاض المدامع قتلى كدى

وكان الرشيد غاضباً فسكن غضبه وطرب فقال : أنشدني القصيدة، فقال: يا أمير المؤمنين: كان القوم موالي وأنعموا علي فرثيتهم ولم أهجُ أحداً، فتركه[2].

فالرشيد إذن يتأثر بالغناء، ويحب سماعه ليسكن غضبه في بعض الأحيان، ويطرب لسماعه أيضاً.

وكان من إعجاب هارون الرشيد بالغناء وتأثره به أنه كان يقضي حوائج المغنين وقائلي الشعر الذي يتغنى به، وكان المغنون والشعراء يفطنون إلى هذه الناحية الحساسة من نفس الخليفة، وعندما يعجب الرشيد بالشعر المغنى يسأل عن قائله ويأمر بقضاء حوائج الشعراء.

ومن ذلك أن الرشيد غني بشعر يحيى بن طالب:

ألا هل إلى ريح الخُزامى ونظرةٍ إلى قرقَرى قبل الممات سبيلُ

فيا أثلاث القاع من بطن توضح حنيني إلى أطلالكن طويلُ

فأطربه، فسأله عن قائل الشعر، فذكره له، وأعلمه أنه حي وأنه هرب من دين عليه، وأنشده قوله:

---

(1) المصدر نفسه، ج19، ص247-248.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص341.

أريد رجوعا نحـــوكم فيصــــدني إذا رمتـــه ديـــن علـــي ثقيـــل

فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامل الري بقضاء دينه، وإعطائه نفقة، وإنفاذه إليه علـــى البريد(1).

وهذا يدل على مدى تحفيز الرشيد على قول الشعر وغنائه وتأثره بالغناء، لدرجة أنـــه يأمر بقضاء حوائج الشعراء والمغنين كقضاء ديونهم، ومكافأتهم أيضاً.

وكان الرشيد يستمع في مجلس إلى عدد من المغنين؛ فمن المغنين مَنْ لا ينشط لغنائهم ولا يطرب لقولهم، ومنهم من يفلح في تحريك طرب الخليفة وتنشيط سماعه؛ ومن ذلك أنا أبا صدقة دخل على الرشيدفلما جلس قال له : يا أبا صدقه قد أضجرتي بكثرة مســائلك، وأنا في يو م ضجر، وقد أحببت أن تفرج وأفرح، ولست آمناً أن تنغص علـــي مجلســـي بسألتك"(2)؛ فالرشيد لا يحب مجلس أبي صدقه، ولا يفرح لقوله الشعر والغنـــاء؛ وذلـــك لكثرة حاجته وأسئلته.

وقد اجتمع الرشيد في منزل إبراهيم الموصلي بإحدى الجواري؛ فطرب لغنائها فقال له إبراهيم الموصلي: أؤغنيك يا سيدي أم يغنينك إماؤك فقال: بل الجواري؛ فخرجت جواري إبراهيم فأخذن صدر الإيوان وجانبيه، فقال : أيضربنكلهن أم واحدة واحدة، فقال : بـــل تضرب اثنتان اثنتان، وتغني واحدة واحدة ففعلن ذلك حتى مر صدر الإيوان واحد جانبيه، والرشيد يسمع ولا ينشط لشيء في غنائهم(3).

فالرشيد يستمع إلى عدد كبير من الجواري يغنينه، ولا يطرب لواحدة منهن، ولا يتأثر بغنائهن، ولا ينشط لقولهن إلى أن غنتة صبية من الجواري:

يا مُورِيَ الزَندِ قَد أَعيَـــت قَوادِحُـــهُ اِقبِس إِذا شِـــئتَ مِـــن قَلبِـــي بِمِقبـــاسِ

ما أقبحَ الناسَ في عيني وأســـمجَهم إذا نظرتُ فلم أبصـــركفـــي النـــاسِ

فطرب لغنائها واستعاد الصوت مراراً وشرب أرطالاً"(4).

فالرشيد يطرب لغناء هذه الصبية من الجواري، ويتأثر لقولها ويميزهـــا علـــى ســـائر المغنيات من الجواري في المجلس، ويشرب على غنائها أرطالاً.

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج23، ص340-341.

(2) المصدر نفسه، ج19، ص301.

(3) المصدر نفسه، ج10، ص236.

(4) المصدر نفسه، ج10، ص237.

وكان الرشيد يحب سماع الأهزاج من المغنين، ويكرمهم ويكافئهم؛ فدخل سُليم على الرشيد فغناه ثلاثة أصوات من الهزج

أولها: مُت على من غبت عنه أسفا.

والثاني: أسرفت في الإعراض والهجر.

والثالث: أصبح قلبي به ندوب .

فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم(1).

فالرشيد يشجع على قول الأهزاج، ويأمر الشعراء أ ن يحسنوا هذه الأهزاج، ويطرب لها.

وقد يكون الغناء سبباً في التأثير في الخليفة لفك الأسر، والخلاص من الحبس؛ فقد حبس الرشيد إبراهيم الموصلي وهو بالرقة؛ "ثم جلس للشراب يوماً في مجلس قد زينه وحسنه، فقال لعيسى بن جعفر: هل لمجلسنا عيب؟ قال: نعم، غيبة إبراهيم الموصلي عنه، فأمر بإحضاري فأحضرت في قيودي، ففكت عني بين يديه، وأمرهم فناولوني عودا، وقال: غنِّ يا إبراهيم فغنيته:

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت به زينب في نسوة خفرات

فاستعاده وشرب وطرب وأمر لي بمائتي ألف درهم"(2).

فالرشيد إذن يطلق سراح إبراهيم الموصلي ويكرمه، ويعوضه مائتي ألف درهم؛ لحسن غنائه وقوله الشعر، وهذا يدل على شدة تأثر الرشيد بالغناء وحبه لسماعه.

ولقد حبس الرشيدُ منصور زلزل؛ لشيء بلغه عنه فحبسه عشر سنين، فقال يوماً لحاجبه:من في المجلس من الشعراء، فقال : إبراهيم الموصلي، فجعل إبراهيم الموصلي يغني صوتاً صنعه في شعرٍ كان قاله في حبس زلزل، وهو:

هل دهرنا بك راجعٌ يا زلزل أيام يبغينا العدو المبطلُ
ايام أنت من المكاره آمن والخير متسع علينا مقبل
يا بؤس من فقد الأمام وقربه ماذا به من ذلة لو يعقل

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج6، ص165.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص13.

ودخل الرشيد وهو في ذلك، فجلس في مجلسه، ثم قال: يا إبراهيم أيُّ شيء كنت تقول؟ فقال: خيراً يا سيدي، فقال هات، فتلكأ، فغضب الرشيد وقال: هات فلا مكروه عليك، فرد الغناء فقال: أتحب أن تراه فقال: هاتوا زلزل، وأطلقه[1].

فكان لغناء إبراهيم الموصلي في زلزل أثر بالغ على الرشيد، فأطلقه على الرغم من الحُكْمِ عليه بالحبس عشرة سنين، وذلك لتأثير الغناء فيه.

ويتبين مما سبق أن الرشيد يتأثر بسماع الغناء، ويكافئ المغنين، ويحفزهم على قول الشعر، وغنائه ويقربهم من مجلسه، ويجعل لهم مكانة عالية عنده، ويعقد مجالس يجتمع فيها المغنون، ويميز بينهم ويكرمهم ويكافئهم على مقدار جودة الشعر والغناء، وكان يتفاعل مع الغناء في المجلس بالشراب والرقص في بعض الأحيان، ويختبر المغنين بسؤال عن أصحاب اللحن الذي يغنونه، وكان الرشيد ناقداً جيداً لما يقوله الشعراء والمغنون؛ فمرةً يطرب لسماع قولهم، ومرة يغضب عليهم ويأمر بطردهم، ويرد عليهم في مواقع خلفهم، وكان يقضي حوائج المغنين.

وذكر فيما سبق أن الرشيد كان يشرب الخمر أو النبيذ عند سماعه إلى الغناء لتأثره بقول المغنين، ولكن نجد ابن خلدون في مقدمته ينفي عن الرشيد شرب الخمر، فيقول:

"وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق، وفتاويهم فيها معروفة، وأما الخمر الصرف فلا سبيل إلى اتهامه بها، ولا تقليد الأخبار الواهية فيها؛ فلم يكن الرجل بحيث يوقع محرما من أكبر الكبائر عند أهل الملة"[2].

فابن خلدون ينفي أن يكون الرشيد كان يشرب الخمر الصرف المحرمة، ولكن ما كان يشربه هو نبيذ التمر وهو المعروف بعدم الحرمة على مذاهب أهل العراق.

بينما نجد ابن حزم يقول إن الرشيد "كان يشرب الخمر"[3] وكذلك الجاحظ أن الرشيد "كان يشرب في كل جمعة مرتين، وربما يشرب قدُامها وآخرها"[4].

---

(1)أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص201.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص18.

(3) ابن شاكر الكتبي، صلاح الدين محمد، (ت764هـ)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1974، ج4، ص227.

(4) الجاحظ، ابن عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، (ت255هـ)، التاج في أخلاق الملوك، دار الفكر ودار البحار، بيروت، 1955م، ص256-260.

وأستطيع أن أشارك ابن خلدون في رأيه أن الرشيد كان يشرب نبيذ التمر، وربما كان النبيذ يخلو مـ ن المسكرات، فليس من المعقول أن خليفة مثل الرشيد يتعاطى الخمر، وقد كان يحج سنة ويغزو سنة "وكان يصلي كل يوم مائة ركعة، إلى أن فارق الدنيا إلا أن تعرض به علة، وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم بعد زكاته، وكان إذا حجَّ حج معه ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة"[(1)].

ولكن الرشيد كان يعقد المجالس للشعراء والمغنين للسماع لهم، والتعليق على أقوالهم حباً منه للشعر والشعراء، حتى قيل : "إنه لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الـ رشيد"[(2)] وهذا يؤكد أن مجلس الرشيد كان يضم جميع أهل العلم على طبقاتهم، وكان يتعامل مع كُلٍ منهم، وهذا يدل على سعة ثقافة الرشيد.

وبلغ من تأثر الرشيد بالغناء أن يُحرّر قائله من العتق، وخاصة الجواري، فلقد حدث حماد بن إسحاق عن أبيه قال أنه كان لزلزل جارية قد ر باها وعلمها الضرب، وكانت مطبوعة حاذقة؛ فلما مات بلغني أنها تعرض في ميراثهم للبيع، فغنت:

أقفر من أوتاره العودُ ... فالعودُ للأوتار معمودُ

وأوحش المزمار من صوته ... فما له بعدك تغريدُ

فدخلت على الرشيد فحدثته بها؛ فأحضرها وأمرها بغناء ما سمعه إبراهيم الموصلي ؛ فرقّ الرشيد لها وتغرغرت عيناه، وقال لها: أتحبي أن أشتريك، فقالت: ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيدي، فأمر أن تباع وتعتق [(3)] فالرشيد إذن تأثر بغناء هذه الجارية، وحزن لقولها وأمر بعتقها.

2.4 مكانة المغنين عند هارون الرشيد:

لقد أبدى الرشيد اهتماماً بالغاً بالمغنين من خلال عقد المجالس للشعر والغناء، وتأثر الرشيد بالغناء، ومكافأته المغنين، وتلبية حاجاتهم، مما جعل للمجالس دوراً كبيراً في

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص500.

(2) ابن الطقطقي، صفي الدين محمد بن علي بن طباطبا، (ت709هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة عز للتوريدات، مكتبة قومنسيون، مصر، د .ت، ص159.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص227-228.

تحفيز قرائح الشعراء، وتنشيطها لقول الشعر وغنائه، وقد كان للشعراء مكانةٌ كبيرة عند الرشيد؛ فكان يذهب إلى زيارة الشعراء؛ فقد "ركب الرشيد حمَّاراً ودخل إلـــى إبـــراهيم يعوده، وهو في الأبزن جالس فقال له: كيف أنت يا إبراهيم؟ فقال: أنا والله يا سيدي كمـــا قال الشاعر:

ســـقيم مـــلّ منـــه أقربـــوه وأسلمه المداوي والحمـــيم

فقال الرشيد: إنا لله، وخرج فلم يبعد حتى سمع الواعية عليه"(1).

فلقد كان لإبرا هيم الموصلي مكانةٌ كبيرةٌ عند الرشيد، وكان من الشـــعراء والمغنـــين المقربين إليه في مجلسه؛ فعندما سمع بمرضه ذهب لزيارته والاطمئنان عليه، وقد بلغ من تكريم الرشيد لإبراهيم الموصلي ومكانته العالية أن يذهب إليه ليلاً شوقاً إليه "هب الرشيد ليلةً من نومه، فدعا بحمّا ر أسود في القصر كان يرغبه، وهو قريب من الأرض؛ فركبـــه وخرج في دراعة وشيء، متلثماً بعمامة وشيء، ملتحفاً بإزار وبين يديه أربعمائة خـــادم أبيض سوى الفراشين، وكان مسرور الفرغاني جريئاً عليه لمكانه عنده، فلما خرج مـــن باب القصر قال أين تريد في هذه الساعة؟ قال أردت ا لموصلي، قال مسرور: ومضـــى، ونحن معه، وبين يديه حتى انتهى إلى منزل الموصلي، فخرج فتلقاه وقبل حافر حمّـــاره، وقال له: يا أمير المؤمنين أفي هذه الساعة تظهر؟ قال: إنما شوقٌ طرق لك بي..."(2).

فهذه الحادثة تدلّ على شوق الرشيد للموصلي، وتعظيمه له، لما له من مكانة عال يـــة رفيعة؛ فقد كان الموصلي من أقرب الناس إليه في مجلسه؛ لذلك حصل على هذه المكانة.

وكان لغناء الجواري وقعٌ خاص ومكانة عالية؛ فقد أمر الرشيد إحدى الجـــواري أن تغني:

"تحبـــــــب فـــإن الحـــب داعيـــه فلـــــو...

فعلمت أنه قد وقف على القصة، فغنته فلما أتت عليه قال لها: غنِّ فقالت:

تحبـــــب فـــإن الحـــــب داعيةُ الحـــــب

فدخلت ثم غنته: فقام وقبل رأسها وقال: يا سيدتي هذا عندك ولا أعلم"(3).

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص253.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص198.

(3) المصدر نفسه، ج10، ص236.

فالرشيد جعل للجارية مكانة عالية من خلال تقبيل رأسها، وقوله لها : يا سيدتي؛ وذلك لأثر الغناء فيه.

ويتبين مما سبق أن الرشيد كان يكرم المغنين من خلال جعله لهم مكانةً مرموقة في مجلسه، وجعلهم من المقربين إليه متودّداً إليهم بالهدايا والمكافآت وداعياً إياهم لمجلسه، وأحيانا يذهب إليهم لسماع غنائهم، مثلما فعل مع إبراهيم الموصلي حين ذهب إليه في الليل في حاشية كبيرة من أجل السماع إليه، وهذا يدل على المكانة العالية للمغنين عنده.

3.4 دور المجالس الغنائية في تنمية النشاط الأدبي:

يتبيّن لنا مما سبق أن الشعر المغنّى قد تعرّض إلى تجويدٍ وتحسينٍ كبير؛ وذلك لأنه يُعرض على الملأ بصوتٍ عالٍ، ومجوَّدٍ، وكما أنه يحتاج إلى تجويد وتحسين، كان يُوسع نشاط النقد في المجلس، ويعرض هذا الشعر إلى المعارضة، ويؤدي إلى مناقشة آراء تخصّ اللغة، ويحكم بين المغنين، أما عن دور الرشيد فقد كان له دورٌ بارزٌ في تنمية الشعر المغنى، وتبيين مكان خطأ الشاعر، ومن ذلك أنّ إبراهيم الموصلي دخل عليه، فغناه:

رأيتُ الدين والدنيا مقيمين بشبداز
أقاما بينَ حَجَّاجٍ وغازٍ أيما غازِ

فأمر له بألف دينار، ولم يستحسن الشعر، وقال له : يا إبراهيم صنعتك فيه أحسن من شعرك، فخجل وقال: يا سيدي شغل خاطري الغناء(1).

فالرشيد هنا يجعل من المجلس مكاناً للنقد والملحوظات، والرشيد يستحسن الصنعة على الشعر؛ بسبب ضعف الشعر وقوة الصنعة، وقد عرف الشاعر خطأه فخجل واعتذر.

وتثير الأشعار المغناة في المجلس الشعراء والمغنين؛ فيدور النقاش والجدل والحسد فيما بينهم، ويكون الخليفة هو الحكم، ومن ذلك أن "الرشيد قال يوماً لجعفر ابن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الأمر فيها، فهلم أقاسمك إياها وأخايرك، فاقتسما المغنين على أنه جعل بإزاء كل رجل نظيره، وكان ابن جامع في حيز الرشيد وإبراهيم في حيز جعفر بن يحيى، وحضر الندماء لمحنة المغنين وأمر الرشيد ابن جامع فغنى صوتاً أحسن فيه كل الإحسان، وطرب الرشيد غاية الطرب، فلما قطعه "قال الرشيد

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص169.

لإبراهيم: هذا الصوت فغنيه، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أعرفه، وظهر الانكسار فيه، فقال الرشيد لجعفر: هذا واحد، ثم قال لإسماعيل بن جامع: غنّ يا إسماعيل فغنى صوتاً ثانياً أحسن من الأول، وأرضى في كل حال فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم: هات يا إبراهيم فقال: لا أعرف هذا، فقال جعفر أخزيتنا أخزاك الله، قال: وأتم ابن جامع يومه، والرشيد مسرور به وأجازه بجوائز كثيرة، ولم يزل إبراهيم منكسراً حتى انصرف"[1].

فالرشيد بهذا يجري مناظرة بين المغنين ليميز أحدهما عن الآخر من خلال طلبه من كل واحد أن يغني الصوت الذي يعرضه عليه، ويحضر المجلس عدد من الندماء ليشهدوا ذلك، ويكون للفائز جوائز قيمة، ويحظى بقربه من الرشيد ومن الحاضرين، وتثري هذه المجالس النشاط الأدبي من خلال تنافس الشعراء وتحاسدهم في المجلس، وتؤدي بعض المناقشات في المجلس إلى غضب بعض الشعراء، يقول إبراهيم المهدي في هذا: "كنا في مجلس الرشيد وقد غلب النبيذ على ابن جامع، فغنى صوتاً فأخطأ في أقسامه: فالتفت إلي إبراهيم الموصلي فقال: قد خزي أستاذك فيه: وفهمت صدقه فيما قال، قال: فقلت له: انتبه أيها الشيخ وأعد الصوت ففطن وأعاد وتحفظ فيه وأصاب فغضب إبراهيم وأقبل علي فقال:

أعلمهُ الرمايةَ كل يومٍ فلما اشتد ساعدهُ رماني

وتنكر، وحلف ألا يكلمني"[2].

فالشعراء في المجالس ينتقد بعضهم بعضاً ويشير إلى خطئه، وكان الشاعر يتبع أستاذه فيما يقوله له، وأحيانا يغضب الأستاذ على طالبه كما غضب إبراهيم المهدي على ابن جامع لتنكره لتعليمه له؟

وكان للخليفة الدور الأكبر في مجلسه من حيثُ نقد الشعراء، وتبين خطئهم مما يدفع المغنين إلى الإجادة والإبداع في شعرهم، ويذعن المغنون لحكمه؛ ومما يدلّ على ذلك أن مخارق غنّى الرشيد صوتاً فأخطأ في قسمته، وكان الخطأ خفيفاً، فقال إسحاق الموصلي للرشيد: يا سيدي، قد أخطأ فيه، فقال لإبراهيم بن المهدي: ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ فقلت: ليس الأمر كما قال، ولا ها هنا خطأ؛ فقلت له: أترضى بأبي؟ قال إي والله، وكان

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص189.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص183.

أبي من بقايا علّةٍ، فأمر الرشيد بإحضاره وهو محموم، فجيء به في محفة، فقال لمخارق: أعد الصوت فأعاده، فقالما:عندك يا إبراهيم في هذا الصوت، فقال : أخطأت فيه، فقال له: هكذا قال ابنك إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح.

فنظر إلي ثم قال: هاتوا دواة، فأتي بها وكتب شيئا لم يقف عليه أحد، ثم قطعه ووضعه بين يدي الرشيد، وقال لـ ي: اكتب بذكر الموضع الفاسد من قسمة هذا الصــوت، فكتبتــه وألقيته فقرأه وسُرَّ(1).

فالرشيد يحكم لإسحاق؛ لمعرفته خطأ مخارق، وهذا الحكم نابع من معرفــة الرشــيد بالشعر وكيفية غنائه، فلم يحكم على الشعر إلا بعد عرضه على المجلس، وقال كلٌّ منهم رأيه، فحكم بحكمه، وكان حكمه الصواب، فقال إسحاق "فإذا الذي قلنــاه جميعــاً متفــق، فضحك وعجب، ولم يبق أحد في المجلس إلا فرط وأثنى ووصف، ولا أحــد خــالف إلا خجل وذل وأذعن"(2).

فمعارضة الشعراء بعضهم بعضاً تحتاج إلى ناقد على ثقافة عالية؛ للفصل بينهم وتبيين الخطأ لهم، فإسحاق يشيد بحكم الرشيد بينه وبين مخارق، وهذا الحكم متفق عليه.

والرشيد يجعل من مجلسه مكاناً لتنمية الغناء؛ فيعرض على المغنين الشعر، ويطلــب منهم الغناء.

ومما رُوي من ذلك أن رسول الرشيد خرج إلى المغنين فقال غنُّوا:

يا خليلي قــد مللــت ثــوائي بالمصلى وقــد ســئمت البقيعــا

بلِّغاني ديــار هنــدٍ وســعدى وارجعاني فقد هويتُ الرجوعــا

فغناه ابن جامع، فلما فرغ منه طرب الرشيدُ وشرب، فقال له إبراهيم الموصلي قال: يا سيدي، فأسمعه من نبيطيك، فغناه فجعل ابن جامع يزحف من أول البيت إلــى آخــره، وطرب هارون فقال: ارفعوا الستارة، فقال له ابن جامع: مني والله أخذَه يا أمير المؤمنين، فأقبل على إبراهيم فقال : بحياتي صدق(3)؛ فالرشيد يطرب لما سمع من المغنين من حسن غناء الأبيات ورونقها، وبذلك يكرم المغنين ويقربهم ويحفزهم على الغنــاء حتــى يبقــى مجلسه مكاناً للمغنين، يعرض عليهم الشعر ويطلب منهم غناءَه.

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص190.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص191.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص226.

4.4 تنافس المغنين وتحاسدهم في مجلس الرشيد:

لقد كان المغنون يتنافسون فيما بينهم؛ ليحظوا بمكان عند الرشيد؛ فكُل واحد منهم يريد أن يُظهر أنه أفضل من الآخر في قول الشعر وغنائه وإذا أعطى الرشيد أحدا منهم جائزة يحسدونه عليهاومما يوضح هذا التنافس قول أبي إسحق أخبرني محمد بن مزيد عـــ ن حماد بن إسحق، عن أبيه قال: غنيت الرشيد، وقلت:

همـــا فتاتـــان لمـــا تعرفـــا خُلُقـــي وبالشـــباب علـــى شـــيبي تُـــدِلاّنِ

رأيت عِرســـيَّ لمّـــا ضـــمّني كبـــرى وَشِختُ زأمعتا صـــرمى وهِ جرانـــي

كـــل الفعـــال الـــذي يفعلنـــه حســـنٌ يصبي فؤادي ويبدي ســـر أشـــجاني

بل احذرا صولةً من صـــول شـــيخكما مهلا على الشيخ مهـــلا يـــا فتـــاتـــانِ

فطرب وأمر لي بظبية كانت ملقاة بين يديه، فيها ألف دينار مسيفة، وكان ابن جـــامع حاضراً فقال: اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء، ودع غناء المجانين، وكان أشد خلـــق الله حسداً. فغناه:

ولقـــــد قلـــــت لأتـــــرابٍ لهـــــا كالمهـــا يلعـــبن فـــي حجرتهـــا

خـــذن عنـــي الظـــلَّ ولا تبعنـــي ومضـــــى ســـــعياً إلـــــى قبهـــا

فطرب وشرب، وأمر له بألف وخمسمائة دينار(1).

فالمغنون يحسدون أنفسهم، وقد يحدث خصام بينهم، ويغضب كل منهم على الآخـــر، ويكون الفاصل بينهم الخليفة، ويحسد بعضهم بعضاً؛ كقول ابن جامع السابق : اسمع غناء العقلاء، ودع غناء المجانين، فابن جامع يتهم أبي إسحاق بالجنون.

وبلغ من حسد المغنين بعضهم بعضاً أن يتهموا بعضهم بانتحال الشعر؛ كما حصل مع حماد وأبيه؛ حيث قال: "كان المغنون يحسدونني مذ كنتُ غلاماً، فلما مات أبي صنعت هذا الصوت، فهو أول صوت صنعته بعد وفاته، وهو:

أَمِـــن آلِ لَيلـــى عَرَفـــتَ الطُلـــولا بِـــذي حُـــرُضٍ مـــاثِلاتٍ مُثـــولا

فقالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه فقد انتحله، فقال لي الرشيد في ذلك، فقلـــت هـــذا ومائة بعده خير منه"(2).

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص250.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص223.

وهذا يدل على مدى التنافس والتحاسد بين الشعراء؛ ولكن الرشيد بحكمته كان يحـل هذه المسائل، فما كان منه إلا أن قال لحماد: "اصنع في شعر الأخطل:

أعـاذلتي اليـوم، ويحكمـا مهـلاً وكُفَّا الأذى عني، ولا تُكثرا العـذلا

فصنعت فيه كما أمرني، فلما سمعوا بذلك وما جاء بعده أذعنوا، وزال من قلب الرشيد ما كان ظنه بي"[1].

فالرشيد يفصل بين المغنين من خلال اختبارهم في الغناء؛ بأن يعطي الشاعر بيتاً من الشعر ويغنيه، فيعرف مدى قدرته على الغناء، وبراعته، ويشهد من في المجلس ذلك.

وقال حمّاد عن أبيه : كنتُ عند الرشيد يوماً، وعنده ندماؤه وخاصته، وفيهم إبراهيم بن المهدي، فقال لي الرشيد: يا إسحاق تغنَّ:

شـربتُ مدامـةً وسـقيت أخـرى وراحَ المنتشـون ومـا انتشـيتُ

فغنيته، فأقبل إبراهيم بن المهدي فقال لي ما: أصبت يا إسحاق، ولا أحسنت، فقلـت : ليس هذا مما تحسنه ولا تعرفه، وإن شئت فغنه، فإن لم أجد إلا أنك تخطـئ فيـه منـذ ابتداءتك إلى انتهاءتك فدمي حلالٌ، ثم أقبلت على الرشيد، فقلت : يا أمير المؤمنين، هـذه صناعتي وصناعة أبي[2].

وتبدو المنافسة هنا واضحة بين إسحاق الموصلي وإبراهيم المهدي؛ فإبراهيم يحسد ابن إسحاق لما لقيه من حظوة عند الرشيد في قوله ما أصبت ولا أحسنت.

ويبدو أن الخلاف بين إسحاق الموصلي وأبيه وإبراهيم المهدي دائمٌ، ويعود الخـلاف إلى طريقة الغناء؛ إذ كانا يمثلان "مدرستين: القديمة ورئيسها إبراهيم الموصلي ومن بعده ابنه إسحاق، وترمي إلى المحافظة على التراث القديم في الغناء وإبقائه على ما هو عليه، والمحافظة على قواعده، والمدرسة الحديثة ويترأسها إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد، الذي كان قد نبغ في هذا الفن، وهدف مدرسته التجديد، وإدخال ما يأتلف والتطور على الـنغم الأصيل"[3].

فالاختلاف إذن اختلاف جوهري بين طريقة الغناء التي يسير عليها الموصلي، وهـي التي تدعو إلى القديم، وإبراهيم المهدي الذي يدعو إلى التغيير والتطوير في الغناء؛ وقـد

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص223.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص297.

(3) الجومردي، عبدالجبار، هارون الرشيد، ج1، ص310.

شكلت هذه الخلافات في مجلس الرشيد جوهر نقد الشعراء بعضهم بعضاً، ويكون الحكم عند الرشيد، وقد أدى هذا الجدل إلى إشعال نار العداوة والحسد بين المغنين؛ على إثر تنافسهم أيهم أحسن غناءً وأروع ضرباً.

5.4 علاقة الشعر بمجالس الغناء والطرب

لقد كانت مجالس الغناء مشتركة بين الشعراء والمغنين؛ فالشعر مادة الغناء، ومهمة الشاعر أن يقول الشعر، ومهمة المغني أن يغنيه، ويمكن القول إن العلاقة متبادلة؛ فالغناء وسيلة لترويج الشعر؛ فقد كان الخليفة يسأل المغني عن الشاعر، كما يطلب من المغنين أن يغنوا لشعر شاعر معين يحب شعره؛ وبذلك يكسب المغني ود الخليفة، وعلاقة الشعر بالغناء علاقة أساسية؛ فلا غناء دون الشعر؛ وبذلك يقول أحمد ضيف: "أما مجالس الغناء واللهو فقد غصت بها المحافل، وشغلت أكثر أوقات الشعراء وفتقت أنفسهم. بقول الشعر الجميل، وفتحت عليهم أبوابا من الخيال، وزاد في الإقبال عليها ميل الخلفاء والأمراء، وأهل الظرف والأدب"[1].

فعلاقة الشعراء بالمغنين علاقة قوية تحفز الشعراء لقول الشعر الجميل الذي يسهل غناؤه، ويطرب الخلفاء لسماعه ويقرب أصحابه من الخليفة.

وعلاقة الشعر بالغناء قديمة، وكان له دور في تصحيح بعض عيوب الشعراء وأخطائهم؛ ومن أمثلة ذلك قول النابغة الذبياني حينما قدم يثرب:

أَمِن آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَو مُغتَدِ   عَجلانَ ذا زادٍ وَغَيرَ مُزَوَّدِ
زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحلَتَنا غَداً   وَبِذاكَ خَبَّرَنا الغُراب الأَسوَدُ

فوقع في الإقواء؛ وهو تغير حركة الروي في البيت الأخير؛ فأتوا له بقينة فغنته؛ فعرف عيبه وانصرف قائلاً "قدمتُ الحجاز وفي شعري صنعة، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس[2].

ولكن كان هذا الأمر بسيطاً في العصر الجاهلي، وقد تطور وبلغ ذروته في العصر العباسي ليصبح صنعةً يحترفها الشعراء فينظمون الشعر خصيصاً لغرض الغناء خاصة؛ فها هو الحسين بن الضحاك يعاشر الأمراء والخلفاء، وينشىء لهم الشعر ليتغنى به المغنون، وقد أكثر من ذلك حتى أثر في شعره، وأصبح شعره كله موسيقا، وقلَّ أن تجد

---

(1) ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، مطبعة مصر، ط1، 1924م، ص20.

(2) المرزباني، الموشح، ص45-46.

له شعراً لا يصلح للغناء، لا لجودة لفظه ومعناه فحسب، بل لهما ولهذا التنسيق الموسيقي الذي لا نكاد نجده عند غيره؛ ومن هنا آثر القصار من بحور الشعر، ومن هنا أيضاً اجتهد في أن يضيف إلى هذه الأوزان الشعرية العروضية أوزانا أخرى موسيقية[1].

وبذلك أصبح الشعراء يصنعون الشعر لكي يكون صالحاً للغناء في المجالس، ويلقى رواجاً من المغنين، ولكن الرشيد كان يقول شعراً ويطلب من المغنين غناءه، ويختار الصوت الأحسن.

وقال الرشيد لمجموعة من المغنين لتحفيزهم على قول الشعر : "باكروني غداً، وليكن كل واحد قد قال شعراً، إن كان يقدر أن يقوله، وغنى فيه لحناً وإن لم يكن شاعراً غنى في شعر غيره"[2].

فالرشيد يطلب من المغنين أن يقولوا الشعر و يغنوه، وهذا يدل على عمق العلاقة بين الغناء والشعر؛ فلا غناء من غير شعر؛ ولذلك كان المغنون يحاولون أن ينظموا الشعر، وإن لم يقدروا حاولوا أن يغنوا شعر غيرهم.

وكان الرشيد يحب شعر ذي الرمة، ويطلب من الشعراء غناءه؛ لما كان يراه في شعره من حسنٍ وجمالٍ، فقال جعفر بن يحيى : إن أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبا ويعجبه ويؤثره، فإذا سمع فيه غناء أطربه أكثر مما يطربه غيره مما لا يحفظ شعره [3].

فالرشيد يحبُ سماع شعر ذي الرمة على لسان المغنين، وكان الرشيد إذا سمع شعراً جميلاً أحضر المغنين، وطلب منهم غناءه؛ فقال لإبراهيم الموصلي: إن هذه الصبية تقول الشعر؛ فقلت: يا حبيبة، أتقولين الشعر؟ فقالت نعم ؛ فقلت أنشديني بعض ما قلت، فقالت:

تقول لأتراب لها وهي تمتري ... دموعاً على الخدين من شدة الوجد
أكلُ فتاةٍ لا محالة نازلُ ... بها مثلُ ما بي أم بُليتُ به وحدي
براني له حبُ تنشب في الحشى ... فلم يبق من جسمي سوى العظم والجلد
وجدت الهوى حُلوا لذيذاً بديئه ... وآخره مر لصاحبه مُردي

---

(1) حسين، طه،تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1924م، ج2، ص279.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص196.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص238.

فقال إسحاق: والله لا تبرح يا أمير المؤمنين أو نصنع في هذه الأبيات لحناً أنا وأبي وجميع من حضر، فما برحت حتى صنعت فيه لحناً، وتغنيت به وهي حاضرة تسمع... فأمر لها الرشيد بجائزة، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، فوهبت لها شطرها(1).

ويتبين من ذلك قدرة المغنين وسرعتهم في صناعة الغناء من الشعر، وهي مقدرة عالية تبين خبرتهم وسرعة موهبتهم وبديهتهم؛ ويلاحظ أن مكافأة الرشيد للمغني أكبر منها لقائل الشعر؛ فللفتاة التي قالت الشعر جائزة بينما للمغني عشرة آلاف درهم.

وكان للرشيد دور كبير في مجلسه يتمثل بدعم العلاقة بين الشعر والغناء، فقد قال مرّة لأبي العتاهية : انظم شعراً لكي يغني به الملاحون، وكان الرشيد يحب غناء الملاحين كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات إذا ركب بها، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يغنونه فقيل له : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس، قال : فوجه إلي الرشيد قل شعراً حتى أسمعه منه، ولم يأمر بإطلاقي؛ فغاضني ذلك فقلت: والله لأقولن شعراً يحزنه ولا يسرّ به، فقال:

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموح
لدواعي الخير والشر دنو ونزوح
هل المطلوب بذنبٍ توبةٌ منه تصوح
كيف إصلاح قلوبٍ إنما هنّ فروخ
أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوح
فإذا المسور منا بين ثوبيه تضوح
كم رأينا من عزيزٍ طويت عنه الكشوح

فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينحب، وكان الرشيد من أفضل الناس دموعاً في وقت الموعظة(2).

ولو أنه قال شعراً جيداً لفتح باباً جديداً من الغناء الشعبي، ولكنه رفض بسبب غضبه من الرشيد.

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص250.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص104-105.

ويتبين من ذلك كله أن الغناء كان له تأثيرٌ على الشعر؛ حيث أصبح الشعراء يبتعدون عن القصيدة الطويلة، ولا ينظمون إلا أبياتاً قليلة؛ لكي تتلاءم مع الغناء وقدرة المغنين؛ فاستخدم الشعراء الأوزان القصيرة والبحور المجزوءة، وابتعدوا عن الأوزان الطويلة؛ فيقول يوسف خليف: أصبح الشاعر "حريصاً على أن تكون قصائده قصيرة؛ حتى تكون صالحة للإعادة والتكرار اللذين تقتضيهما طبيعة الغناء؛ فظهرت المقطوعة وأصبحت هي الوحدة الأساسية في هذا الشعر الغنائي، وبدأت القصيدة تختفي منه محتفظة بمكانها الرسمي في الشعر التقليدي"(1).

أي أن القصيدة نحت في عصر الرشيد إلى الاختفاء، بينما ظهرت الأبيات القصيرة على شكل مقطوعات لتتناسب مع الغناء؛ وبذلك أصبح الشاعر مضطراً لقول القصائد القصيرة وربما لا تصل إلى القصائد القصيرة؛ لأنها على شكل أبيات من الشعر؛ وذلك كي تلقى رواجاً بين المغنين، ورواجاً عند الخليفة، ويسهل على المغنين حفظها.

يقول في هذا طه حسين: "أصبح الشعر مضطراً إلى أن يلائم بين نفسه وبين الموسيقى، فكان الشعر يصنع ليغنى به، وكان الصوت يصنع لتغنى فيه هذه القطعة بعينها من الشعر، وكان المغنون والشاعر، أو الشاعر والمغنية يتفقان على أن تضع أبيات الشعر لتغنى على هذا اللحن، وفي هذا الصوت"(2).

وبدا هذا الأ مر واضحاً في ضوء حديثي عن علاقة الشعر بالغناء؛ من حيث قول الشاعر للشعر على نحو يتلاءم مع الغناء، ويمكن القول إن أغلب الشعر على لوني المدح والغزل اللذين يلقيا رواجاً عند الخليفة، وقد أكد طه حسين بقوله السابق العلاقة القوية بين الشعر والغناء، حتى أصبح الشعر يصنع لكي يغنى، وأشار إلى أن هناك اتفاقاً بين الشاعر والمغني على أن يصنع الشاعر أبياتاً لكي تغنى، ويقود ذلك كله الشعراء إلى أن تكون ألفاظ الشعر ومعانيه سهلة، وأدى ذلك أيضاً إلى تغير بناء القصيدة الداخلي والخارجي كما يقول يوسف خليف: "تغّير بناء القصيدة الخار جي والداخلي؛ فقد أصبح الشاعر حريصاً على أن ينظم شعره في أوزان قصيرة؛ حتى يكون صالحاً للغناء، كما أصبح

---

(1) خليف، يوسف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، ص604.

(2) حسين، طه، من تاريخ الأدب العربي، ص52-53.

حريصاً على أن تكون ألفاظه ومعانيه سهلةً خفيفة قريبة من نفوس الناس؛ حتـــى يســـهل دوران شعره على ألسنتهم وشيوعه بينهم"[1].

وأخيراً يمكن القول إن الشعر صار أداةً طيِّعةً في أيدي المغنّين؛ فالمغنون يفصـــلون القصيدة، والشعراء يفرغون فيها كلماتهم.

(1) خليف، يوسف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ص603.

الفصل الخامس
القضايا الفنية والنقدية في المجالس الشعرية

كان الرشيد عالماً بالشعر[1] ذواقاً له يميز جيده من رديئه، ولقد كان حضور المجلس تبعاً لرأيه، وكان صحيح الذوق والتمييز[2]، ولم يكن أحدٌ من الخلفاء العباسين في الشعر أحسن منه[3].

وقد كان الرشيد واسع المشاركة في مجلسه "وكان لا يكتفي بالحضور والسماع والسؤال وإنما يشارك بنفسه وبعلمه؛ فيستنتج ويناقش ويفسر ويوضح، يعيش الموضوع بكل جارحةٍ من جوارحه كاشفًا اللغة لأن الأمر لا يقل خطورة عن شؤون السياسة أو أمور الحرب[4]، وبذلك كان الرشيد لأن المجلس يحتاج إلى ناقدٍ كبيرٍ يقوّم الشعراء، ويصحح أخطاءهم، وذلك يتطلب منه أن يكون على ثقافة واسعة لكي لا يخطىء في حكمه أمام المجلس؛ فقد كان شديد الحذر من عدم الخطأ، ويتبين ذلك من خلال موقفه من لأصمعي الذي دخل عليه بعد غيبةٍ كانت منه، فقال له الرشيد: "يا أصمعي كيف أنت بعدنا؟ فقال: ما لاقتني بعدك أرض، فتبسم الرشيد، فلما خرج الناس قال: يا أصمعي ما معنى قولك: ما لاقتني أرض؟ فقال: ما استقرت بي أرض، فقال: هذا أحسن، ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين يدي الناس إلا بما أفهمه، فإذا خلوت فعلمني، فإنه يقبح بالعالم ألا يفهم اللغات، لأنه لا يخلو إما أن أسكت أو أُجب؛ فإذا سكت فيعلم الناس أني لا أعلم إذا لم أجب، وإذا أجبت بغير الجواب فيُعلم من جوابي أني لم أفهم ما قلت"[5].

فالرشيد بذلك يبين صورة الناقد الفذ الجيد الخبير بتفسير معانِي الكلمات الصعبة الغامضة؛ فكان يطلب من الشعراء الكبار أمثال الأصمعي ألا يتحدثوا في المجلس بغريب

---

(1) الصولي، الأوراق، ص77.

(2) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص159.

(3) الجاحظ، أبو عمر بن عثمان بن بحر، (ت255هـ)، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1967م، ج4، ص382.

(4) هاشم، علي محمد، الأندية العربية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث للهجرة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982م، ص123.

(5) ابن الأنباري، عبدالرحمن بن محمد (ت845هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، بغداد، 1959م، ص119.

اللغة، ويشير إلى أن الناقد لا ينبغي أن يخطىء أمام الناس، فمن مقومات الناقد أن يكون عارفاً ومفسراً، ومعلقاً على ما يدور في المجلس، وكان الرشيد يـ حرص على فهم غريب الشعر، والمعاني الغامضة؛ فقد استدعى الكسائي، وقال له: "يا علي، ما زلت ساهراً مفكراً في معاني أبيات قد خفيت علي "[1] فهو يحرص على معرفة المعاني الصعبة من العلماء؛ ليكون خبيراً بتلك المعاني.

وهكذا فإن الرشيد كان على معرفة بالشعر وضروبه، وسوف يتبين لنا ذلك من خلال المحاورات النقدية والفنية عبر ما كان يدور من فنون وأحاديث في مجلسه، وأبدأ بالقضايا الفنية، وأولها: فن الإجازة.

1.5 فن الإجازة الشعرية:

والإجازة في الشعر أن ينعم الشاعر على شعر غيره في معناه ما يكون به تمامه وكماله[2].

والإجازة كالارتجال تقال بديهة؛ ولكنّ بينهما فرقاً يكمن في أن الأولى يطلب من صاحبها أن يقولها في شيء لم يختر هو طريقة التعبير عنه، ولم يختر بحره ولا قافيته، وإنما عليه أن تيم ويكمل ما خطّه غيره معنى ومبنى ، وفي الثانية يكون الشاعر مخيراً؛ بحيث يختار لأفكاره وموضوعه من التعبير ما يقدر عليه، ولا شك في أن الإجازة والحالة هذه ، أصعبُ مراماً من الارتجال لذلك السبب[3].

والإجازة بناء الشاعر بيتاً أو قسيماً على ما قبله، وربما أجاز بيتاً أو قسيماً بأبيات كثيرة[4].

ومن ذلك ما أُجيز فيه قسيم ببيت ونصف؛ قال الرشيد للشعراء: أجيزوا "الملكُ للهِ وحدهْ.

---

(1) البيهقي، المحاسن والمساوىء، ص411-413.

(2) الأزدي، أبو الحسن علي بن ظافر، (ت613هـ)، بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م، ص61.

(3) شلبي، سعد إسماعيل، دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، دار نهضة مصر، القاهرة، 1973م، ص28.

(4) ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن القيرواني، (ت456هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1988م، ص710.

فقال الجماز:

وللخليفة بعده

وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده"(1).

ويتبين من ذلك سرعة الشاعر في الإجازة؛ حيثُ قال بيتاً ونصفاً بشكل متجانس مع الأبيات متلائماً مع فكرتها؛ ففي قول الرشيد: الملك لله وحده، فقال: الشاعر والخليفة بعده، ثم المحب، ولكن بشرط أن تكون حبيبته عنده؛ فنلاحظ أن الشاعر بهذه الإجازة وصل إلى قلب الرشيد فأعجبته إجازته..

ومن ذلك أن الرشيد جلس مع سماره فقال لهم أن ينشدوه أبيات جرير:

إِنَّ الذين غَدَوْا بُلُبــ ـكَ غــادَرُوا وَشَلاً بِعَيــْنِكَ مــَا يَــزَالُ مَعِيــنــَا

وعُجب بالأبيات؟ وقال لجلسائه : هل منكم أحد يجيز هذه الأبيات بمثلهن، وله هــذه البدرة، وبين يديه بدرة من دنانير، قال فلم يعنو شيئا، فقال الخادم على رأسه : أنا لك بها يا أمير المؤمنين، قال شأنك فاحتمل البدرة؛ ثم أتى الناطفي فقال له : أستأذنك على عنان فأذنت له، فخلا وأخبرها الخبر، فقالت : ويحك، وما الأبيات؟ فأنشدها إياها، فقالــت لـــه اكتب:

هيجت بالقول الذي قــد قلتـــه داءً بقلبـــي مـــا يـــزال كمينـــاً

قد أينعت ثمراتـــه فـــي حينـــه وسقين من مـــاء الهـــوى فروينـــا

كذب الذين تقولوا يـــا ســـيدي إن القلـــوب إذا هـــوين هوينـــا

فقالت له: دونك الأبيات، فدفع إليها البدرة، ورجع إلى هارون، فقال : ويحك، من قال هذه الأبيات؟ قال: عنان جارية الناطفي، فقال:

خلصت الخلافة من عنقي إن باتت إلا عندي(2).

فالرشيد طلب من الشعراء أن يجيزوا أبيات جرير، ولم يســتطيعوا وكانـــت عنـــان الناطفية شاعرة من شاعرات العصر العباسي ، وكانت شاعرة فَذّة. وأجازت الأبيات بثلاثة مثلها على قافية واحدة ومعنى واحد، فلقد كان للشعراء في عصر الرشيد قدرة على إجازة الأبيات بشكل سريع وبدهي دون الحاجة إلى تصنُّع ، وكان الرشيد يطلب من الشعراء أن يجيزوا مثل هذه الأبيات تحفيزا لهم على قول الشعر.

---

(1) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص712.

(2) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج7، ص56.

وطلب بكر بن حماد الباهلي من عنان الناطفية في مجلس الرشيد بعد أن قيل إنها أشعر الناس أن تجيز "لدى عنان أسلبت دمعها كالدر إذا يتسل من خيطه وكان الناطفي قد خربها فقالت:

فليت من يضربها ظالماً تجف يمناه على سوطه

وطلبت منه أن يجيز:

بديع حسن بديع صدٍ جعلت خدي له ملاذا

فقال:

فعاتبوه فعنفوه فأوعدوه فكان ماذا[1].

فكان الشعراء في مثل هذه المساجلات يقول كل واحد منهم بيتا يجيزه الآخر ، يجيزه على الوزن والقافية نفسيهما، وقد يسمى مثل هذا النوع من الإجازة التمليط، وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيما وهذا قسيما، فينظر أيهما يستطيع إجازته قبل صاحبه[2].

فتكون المطارحة الشعرية في المعنى نفسه، كما الأبيات السابقة؛ فكل واحد يطلب من الآخر إجازة بيت أو قسيم في المعنى.

وفي بعض الأحيان يطلب الخليفة من الشعراء أن يجيزوا أبياتاً من الشعر يطرحها عليهم في مجلس، فلم يستطع أحد أن يجيزها؛ فقد طلب الرشيد من الفضل بن ربيع أن يخرج على الشعراء برقعة فيها أبيات من الشعر، لكي يجيزوها، وهي:

أهدى الحبيبُ مع الجنوب سلامَهُ فارددُ عليهِ معَ الشِّمالِ سَلاما

واعْرِفْ بقلبِكَ ما تَضَمَّنَ قلبُهُ وتداولا بهواكما الأياما

فإذا بكيتَ له فأَيقِنْ أنَّه ستجود ادمعه عليك رهاما

فاحبسْ دموعَكَ رحمةً لدموعِهِ إن كنتَ تَحفظُ أو تَحوطُ ذماما

فلم يوجد من يجيزها، فأمر إبراهيم الموصلي فغنى فيها لحناً[3].

ويتبين من ذلك أن الإجازة تحتاج إلى شاعر كبير، وخبير قادر على أن يجيز هذه الأبيات بمجموعة مثلها، أو أقل منها تكون على قافيتها ومعناها.

---

(1) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج7، ص54-55.

(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص713.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص175.

وقد يكون التمليط بين عدد من الشعراء[1].

ومن ذلك أن عنان الناطفية بعثت إلى الرشيد رقعة فيها ثلاثة أبيات، فطلب الرشيد من الشعراء أن يجيزوا هذه الأبيات على المعنى الذي في نفسه فيقولوا فيها شعرا، وهذه الأبيات هي:

كنت في ظل نعمة بهواكا آمنا منك لا أخاف جفاكا

فسعى بيننا الوشاة فأقرر ت عيون الوشاة فهناكا

ولعمري لغير ذا كان أولى بك في الحق يا من جعلت فداكا

فقال أبو جعفر:

ليس ينسب السرور إليه لمحب ريحانة ذكراكا

وقال الأصمعي:

لم ينسلك الرجاء أن تستحضرين وتجامت أمنيتي عن سواكا

قال جرير:

كلما دارت الزجاجة والكأ سُ أعادته صبوة فبكاكا

فقال الرشيد أنا أَشعركم؛ حيث أقول:

قد تمنيت أن يغشيني الله نعاساً لعل عيني تراكا [2]

فنلاحظ أن جميع هذه الأبيات على قافية واحدة، وعلى معنى واحد، وهذا المعنى هو وقع أمر عنان الناطفية في قلب الرشيد؛ فكان للشعراء دور كبير في إجازة ما في نفسه، وهذا أمر يدل على مدى قدرة الشعراء وتمكنهم في هذا الفن على البديهة دون تصنع، وقد أحسن كل الشعراء في إجازة ما في نفسه، وقد كان الرشيد يحفز الشعراء على قول الشعر من خلال طرح الشعر عليهم والطلب منهم إجازته فأيهم يجيزه فله مكافأة كبيرة، وذلك لتحفيزهم على ذلك.

ونتبين من ذلك كله شيوع هذا الفن عند الشعراء في مجلس الرشيد؛ فكان الرشيد يطلب من الشعراء إجازة أبيات من الشعر بأبيات مثلها، أو شبيهةٍ بها من حيث الوزن

---

(1) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص212.

(2) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 7، ص55؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 14، ص10.

والقافية، وكان الشعراء في عصر الرشيد ذوي قدرة عالية على إجازة الأبيات، وهذا يدل على خبرتهم القوية، وسرعة ارتجالهم الشعر، ونظمه، وقد كان للرشيد الدور الأكبر في قبول إجازة الشعراء، وتقديم العطاء لهم تحفيزاً لهم على قول الشعر.

وقد كان للخليفة الدور الأبرز في الحكم على الشعراء، وإجازتهم؛ فقد اجتمع الشعراء على باب الرشيد فأذن لهم فدخلوا، وأنشدوا فأنشده أبو العتاهية:

يا مَن تَبَغّى زَمَناً صالِحاً صَلاحُ هارونَ صَلاحُ الزَمَن
كُلُّ لِسانٍ هُوَ في مُلكِهِ بِالشُكرِ في إِحسانِهِ مُرتَهَن

فاهتز له الرشيد، وقال : أحسنت والله، وما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بصلة غيره[1].

فالرشيد لم يجز أحداً من الشعراء سوى أبي العتاهية؛ لحسن قوله وإجادته في مدحه؛ فقد نجح أبو العتاهية في استمالة قلب الرشيد إليه؛ فقد بدأ الأبيات بقوله : يا من، وهو استهلال بارع يخاطب المنادى لقربه منه.

وأجرى هارون الرشيد سباقاً على الخيل؛ فجاء فرسٌ يقال له المثمر سابقاً، وكان الرشيد معجباً بذلك الفرس، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه شعراً، فقال أبو العتاهية:

جاءَ المُشَمِّرُ وَالأَفراسُ يَقدُمُها هَوناً عَلى رِسلِهِ مِنها وَما اِنبَهَرا
وَخَلَّفَ الريحَ حَسرى وَهيَ جاهِدَةٌ وَمَرَّ يَختَطِفُ الأَبصارَ وَالنَظَرا

فأجزل صلته وأجازه[2].

فالرشيد بهذا يختبر الشعراء في وصف هذا الفرس ليجيز أحدهم ويفضله على الآخرين، وكان أبو العتاهية شاعراً مجيداً سريع البديهة، فسبق الشعراء، فأحسن في وصف الفرس فأجازه الرشيد وكافأه.

فقد شاع هذا الفن (الإجازة) في عصر الرشيد، وكان للرشيد الدور الأكبر في إجازة الشعراء، وعقد المجلس للمناظرة بينهم؛ ليتنافسوا ويجيز كلٌ منهم بيت الآخر، ويكون الرشيد حكماً عليهم.

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص42.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص43.

2.5 فن الرسالة الشعرية:

لقد كانت الرسائل بين الخليفة والشعراء؛ تدور في نسقٍ واحد؛ حـول الـدعوة إلـى المجالس، أو الشكر والاستعطاف ولقد كان الدافع لنظم الرسالة الشعرية أغراضٌ كثيـرةٌ منها: "عقد المجالس الشعرية، والعلاقة الحميمة بين الشعراء والملوك، وبـين الشـعراء أنفسهم"(1)، وسوف تقتصر هذه الدراسة على الكشف عن فن الرسالة الشـعرية المتعلقـة بمجالس الرشيد الشعرية، والتي تتضمن عدداً من الأغراض تدور حولها الرسائل، ويمكن الكشف عنها من خلال الرسائل المتبادلة بين الشعراء والخليفة، وكانت هذه الرسائل أشبه بالبرقيات في العصر الحديث من حيث المعنى أو المغزى.

ويمكن القول إن هذه الرسائل تنطوي على خصائص بنائية ومعنوية، وسوف يتبـين ذلك من خلال هذه الدراسة؛ والخصائص المعنوية هي نتاج للخصائص البنيوية ومترتبـة عليها؛ فالتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والوصل والفصل، والسر قة، يترتب عليهـا معانٍ تبعاً لهذا التأليف أو ذاك التركيب(2).

أما البناء الفنيّ لهذه الرسائل فيمكن القول إن هذه الرسائل الشعرية تخلو من المقدمات الطويلة؛ حيث يدخل الشاعر إلى الغرض الذي يريده دون تمهيد؛ فقد كتب الرشيد إلـى أبي العتاهية يطلب منه أن يقول شعراً ليغنيه المغنون في مجلسه، وكان الرشيد قد حبسه لرفضه قول الشعر في الغزل، ولسببٍ آخر سياسي يتعلق بالتفات الناس حوله، فكتب إلى الرشيد:

شُغِلَ المِسكينُ عَـن تِلـكَ المِحَـن ... فـارَقَ الـروحَ وَأَخلـى مِـن بَـدَن

وَلَقَـد كُلِّفـتُ أَمـراً عَجَبـاً ... أَسـأَلُ التَفـريحَ مِـن بَيـتِ الحَـزَن

فلما وصلت قال الرشيد: قد عرفتك، إنه لا يفعل(3).

---

(1) حسين، عبدالرزاق، الأدب العربي في جزر البليار، دار الجيل للنشر، عمان، ط 1، 1994م، ص78.

(2) الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد، (ت474هـ)، دلائـل الإعجـاز، تحقيـق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984م، ص100-101.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص73.

فمثل هذه الرسائل يُتحرى فيها الإيجاز الشديد، ونلاحظ أن رد أبي العتاهية بـــالرفض كان من خلال بيتين من الشعر على قافية واحدة؛ لوجوده في الحبس فأطلقه الرشيد مـــن الحبس، وكان الرشيد قد غضب على جارية فحلف ألا يدخل إليها أياماً، ثم ندم وقال:

صد عنـي إذ رآنــ ـــي مفتتـــــــن وأطـــال الصـــــد لمـــــا أن فطــــن

كان مملوكي فأضـــ ـحى مالكـــ ـــي إن هذا مـــ ـن أعاجيـــ ـب الزمـــ ـــن

فكلم الفضل الرشيد فيه، فرضي عنه وأرسل إليه الفضل يأمره بالشخوص و يذكر له أن أمير المؤمنين رضي عنه[1].

فالشاعر دخل إلى الغرض المطلوب مباشرة دون مقدمات؛ وربما يعود ذلك لكونهـــا مقطوعة صغيرة يُتحرى فيها الإيجاز، ولأنها أيضاً ليست هي الغرض المقصـــود لذاتـــه وإنما هي وسيلة إلى غاية مرجوة منه، وهي فك أسره.

ومن ذلك أيضاً أن أبا العتاهية بعث إلى الرشيد برقعةٍ عند ما مرض الرشيد، وأصيب بالحمى، فقال فيها:

خليفـــة الله أنـــت تـــرجح بالنـــاس إذا مـــا وزنـــت أنـــت وهـــم

قد علم النـــاس أن وجهـــك يســـــ ــــتغني إذا مـــا رآه معـــدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد فأمر بإحضار أبي العتاهية ، فما زال يسامره ويحدثه إلى أن برئ ووصل إليه بذلك السبب مالٌ جليل[2].

فطلب من يزيد على هذين البيتين، فقالوا له : ليس غير أبي العتاهيـــة، فبعـــث إليـــه فأجابه:

عـــــزة الحـــــب أرتـــــه ذلتـــــي في هـــواه ولـــه وجـــه حســـن

ولهـــــذا صـــــرت مملوكـــــا لـــــه ولهـــذا شـــاع مـــا بـــي وعلـــن

قال: أحسنت والله، أصبتَ ما في نفسي وأضعف حيلته[3].

فنلاحظ قدرة أبي العتاهية في الرد على رسالتي الرشيد في نظم مـــن الشـــعر علـــى الغرض نفسه في صياغة لفظية رقيقةٍ عذبة أصابت ما في قلب الرشيد، واختيار الشاعر لهذه الأبيات نابع عن إحساس حاذق متبادل بين المتراسلين، وخاصة في مثل هذه الرسائل

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص76.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص15-16.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص74.

بين الخليفة والـ شعوءا فالشاعر التزم في أبياته المكمـ لة بالغرض نفسه، والوزن والقافيـة نفسيهما.

وبعث أبو العتاهية إلى الرشيد برسالةٍ يتعطفه فيها، فقال:

أجفـوتني فـيمن جفـاني وجعلـت شـأنك غيـر شـأني

ولطالمـا أمّنتنـي ممـا أرى كـل الأمـان

فالشاعر في هذه الأبيات التي يبدؤ ها بقوله خليفةُ الله، وهو استهلال مقصود يخاطب فيه الخليفة لعظم منزلته، وسمو مكانته، ويمدح الخليفة بقربه من العامة، وحبهم له، وأنهم لا يستغنون عنه، فالشاعر يختار الألفاظ الملائمة لمعاني المدح، وهذه الألفاظ سهلة تزول بها الهموم، ولفظية (ترجح بالناس) المراد بين المجد والرفعة والسمو؛ لماله مـن مكانـةٍ عاليةٍ رفيعة عند شعبه.

وفي أحيانٍ كثيرة يتبادل الخليفة مع الشعراء الرسائل الشعرية، فيبعث كلٌّ منهم إلـى الآخر، ويرد عليه؛ ومن ذلك أن أبا العتاهية بعث إلى الرشيد رقعةً يقول فيها:

أنـا اليـوم لـي والحمـد لله أشـهرُ يـروح علـيّ الهـم مـنكم ويبكـر

تـذكر أمـين الله حقـي وحرمتـي ومـا كنـت تـوليني لعلـك تـذكر

ليالي تُدنى منك بـالقرب مجلسـي ووجهـك من مـاء البشـاشة يقطـر

فمن لي بالعين التـي كنـت مـرة إلى بها فـي سـالف الـدهر تنظـر

قال: فلما قرأ الرشيد الأبيات قال: قولوا له:

لا بأس عليك؛ فكتب إليه:

أرقتُ وقد طار عن يميني النعاس ونام السامرون ولـم يواسـوا

أمـينَ الله أمنَـك خيـرُ أمـنٍ عليك من التقـى فيـه لبـاسِ

تسـاسُ مـن السـماء بكـل بـرٍ وأنت به تسوس كمـا تسـاس

كـأن الخلـق رُكـب فيـه روح له جسـدٌ وأنـت عليـه رأس

أمـين الله إن الحـبس بـأس وقد أرسلتـلَيس عليك بـأسُ [1]

ويلاحظ من هذه الأبيات أنّ بناء الرسالة الشعرية من ألفاظٍ رقيقة عذبة يسيرة تنبع من إحساس صاد ق؛ فالشاعر يطلب من الخليفة أن يطلق سراحه، فذكّره بمكانته عنده

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص63.

وأيام كان في مجلسه، وفي المقطوعة الثانية نلاحظ أن الشاعر بدأ الأبيات بق وله: (أمين الله) وهو استهلال تظهر فيه براعة الشاعر لقرب المخاطب منه؛ فقد حذف الشاعر أداة النداء لما للخليفة من مكانةٍ عالية، ووصفه بأنه أمين الله في الدنيا، فالشاعر يذكره بأنه آمن قويٌّ متين، فكان يقول له: لا يهزُّك واحدٌ مثل أبي العتاهية، والشاعر ألزمه الحجة، لرده عى رسالته الأولى، فرد الخليفة كان لا بأس عليك، فراح الشاعر يقول : لا باس عليك والسجن نفسه باس، وهذا يساوي إخراجي من السجن . هكذا اتخذ الشعر شكل المراسلة القائمة على الحجة والذكاء أيضاً في الرد على الخلفاء.

ويوضح بعد المقدمة البسيطة التي يذكر فيها مـ حاسن الخليفة أنه أرسل إليه هذه الرسالة طمعاً في فك أسره والإفراج عنه.

وقد بعث أشجع السلمي رسالة إلى الرشيد يقول فيها:

أَبلِغ أَميرَ المُؤمِنينَ رِسالَةً لَها عَنَقٌ بَينَ الرُواةِ فَسيحُ
بِأَنَّ لِسانَ الشِعرِ يُنطِقُهُ النَدى وَيُخرِسُهُ الإِبطاءُ وَهوَ فَصيحُ

فضحك الرشيد وقال له: لن يخرس لسان شعرك(1).

فنلاحظ أن الشاعر بدأ هذه الرسالة الشعرية بفعل الأمر (أبلغ)؛ لما فيه من دلالة على طلب السرعة في الوصول إلى المجلس، ثم يختار الشاعر لفظة (ندى)، والتعبير بهذه اللفظة فيه إيحاء شاعري رقيق، ويصف لسان شعره بأنه كالندى مستخدماً هذا العنصر الجمالي الطبيعي حين يغطي الأوراق عند انبلاج الصباح ويضفي منظراً بديعاً ووجهاً غضاً طرياً، ويقول إن ما يخرس لسانه هو الإبطاء في الوصول إلى الخليفة.

ويبدو أن الرسائل الشعرية في عصر الرشيد أخذت نسـ قاً واحداً، وهو مدح الخليفة وطلب العفو منه؛ فقد بعث يحيى بن خالد رسالةً إلى الرشيد بدأها بالنثر ثم ألحقها بالشعر " لأمير المؤمنين، وخليفة المهديين، وإمام المسلمين وخليفة رب العالمين من عبدٍ أسلمته الذنوب..."(2).

وبعد هذه المقدمة النثرية كتب إليه قصيدةً شعرية فقال:

قـل للخليفةِ ذي الصَّنيـ ـعةِ والعطايا الفاشَيةْ
وابن الخلائفِ من قريـْ ـشٍ والملوكِ العاليَةْ

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص155.

(2) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج5، ص297.

إنَّ البرامِكـــــــــــةَ الذيـــــــــــ ـــــــن رُمُـــــوا لــــديْك بداهَيــــةْ

صُـــــــفْرُ الوُجـــــوهِ علــــيهمُ خلَـــــــعُ المذَلـــــــة باديـــــــةُ

فكـــــــأنهم ممّـــــــا بهـــــــمْ أَعجـــــازُ نخــــــلٍ خاوِيــــــةْ

عَّمــــــتْهم لـــــــك سَـــــخْطَة لـــــم تُبْـــقِ مــــنهم باقيـــــة

بعــــد الإمـــــارةِ والــــوِزارة والأمــــــــورِ الســـــــامية

ومنـــــــازلٍ كانــــــت لهـــــمْ فـــــوق المنــــازلِ عاليــــــة

أضــــــحَوْا وجُـــــلُّ مُنـــــاهُمُ منــــــك الرِّضــــا والعافَيــــةْ

يـــا مـــن يَـــوَدُّ لـــيَ الـــردى يكفيــــك منــــي مــــا بَيــــه

يكفيـــك مــــا أبصــــرْتَ مــــن ذُلّـــــــــي وذُلّ مكانيـــــــــه

وبُكـــــاءُ فاطمــــــةَ الكئيبــــةِ والمــــــــــدامعُ جاريـــــــــةْ

ومقالهــــــــــا بتوَجُّــــــــــعٍ يـــــــا ســــــوْأَتى وشَـــــــقائيه

مـــن لـــي وقـــد غضَـــب الزَّمـــان علـــــى جميـــــع رجاليـــــه

يـــا لهْـــف نفســـي لهْفَهـــا مــــــا للزَّمــــــانِ وماليــــــه؟

يـــا عطفـــةَ المِلـــكِ الرِّضـــا عُـــــودي علينــــــا ثانيــــــة

فلم يكن له جواب من الرشيد(1).

فالشاعر في هذه الأبيات التي يمدح بها الخليفة، ويحذره من خطر البرامكة، ويطلب فيها العفو من الخليفة؛ ونلاحظ في الأبيات بعض الخصائص الفنية؛ مثل الاقتبــاس مــن القرآن الكريم في قوله : "أعجاز نخل خاوية" ولم تبقِ مذ هم باقية" فالشاعر يقتبس من القــرآن الكريم في تحذيره الخليفة من البرامكة، ونلاحظ أن الأبيات كانت على قافية واحدة، وقــد أكثر الشاعر من الجناس والسجع.

وفي ضوء ذلك كله نستطيع أن نبرز أهم الخصائص التي تميز بهــا عــن الجانــب البنائي في الرسائل الشعرية بين الرشيد والشعراء؛ ومنها:

أولاً: أنها ذات وحدة شعورية وعاطفية تهدف إلى معنى واحد، وهو توجه الشــعراء إلى الخليفة بالمدح والشكر، واستعطافه لنيل عطاياه، وفك أسرهم.

ثانياً: أن هذه الرسائل تتسم بالمشاعر النبيلة، والمعاني والألفاظ الرقيقة الصادقة.

---

(1) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج5، ص297.

ثالثاً: أن هذه الرسائل تحمل بـ عداً فنياً خاصاً بالشعراء يَظهر فيه الإبـــداع والمهـــارة الفنية العالية في صياغة هذه الرسائل الشعرية طالبين بها رضا الخليفة.

3.5 الملحوظات النقدية:

كان للنقد الأدبي صدى في مجالس الرشيد الشعرية؛ فقد كان مجلس الخليفة الرشـــيد مكاناً يجتمع فيه الأدباء والشعراء والـ لغويون والنحاة والرواة والمغنون؛ مما أدى إلى تنوع الفنون في المجلس، فكان المجلس مكاناً للحكم على الشعراء، فيـــه يتناشـــدون أشـــعارهم ويكون الخليفة والنقاد الحكام بينهم مبدين الملاحظات النقدية، ومبينين لهم الصواب في حل الاختلافات بينهم، ومفسرين الألفاظ الصعبة، ومـ علقين عليها ويكمن تصنيف مثـــل هـــذه الملاحظات على أنها محاولات نقدية؛ لأنه إذا كان "النقد في حقيقته تعبيراً عن موقف كلي متكامل في النظر إلى الفن عامة، أو إلى الشعر خاصة؛ يبدأ بالتذوق أي القـــدرة علـــى التمييز ويعبر منهما إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم خطوا ت لا تغني إحداهما عـــن الأخرى، وهي مترجمة على هذا النسق كي يتخذ الموقف نهجاً واضحاً مؤصـــلاً علـــى قواعد جزئية أو عامة مؤيداً بقوة الملكة بعد قوة التميز "(1) إذا كان النقد كذلك فإننا لا نجد هذه الصور في مجلس الخليفة هارون الرشيد؛ لأن "مثل هذا المنهج لا يمكن أن يتـ حقـــق حين يكون أكثر تراث الأمة شفوياً إذ الاتجاه الشفوي لا يمكّن من الفحص والتأمـــل، وإن سمح بقدر من التذوق والتأثير؛ ولهذا تأخر النقد المنظم حتى تأسست قواعد التأليف الذي يهيئ المجال للفحص والتقليب والنظر"(2).

ولقد كان أكثر العلماء والنقاد في مجالس الرشيد يعتـ مدون علـــى الحفـــظ والروايـــة الشفوية، وبذلك كان النقد في مجلس الرشيد مجرد محاولات نقدية غير معللة في معظـــم الأحيان، وإن كان معللاً فلا يتجاوز حدود النقد الانطباعي، وقد كان للمجلس دورٌ كبيـــر في تجويد أعمال الشعراء وإنتاجهم الأدبي، وكانت المجالس بمثابة لجّان حكم وا ختبـــار، وأعضاء النادي هم الفاحصون والنقاد الذين يتصيدون الأخطاء لكل وافد جديد، بل لكـــل

---

(1) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط4، ص14.

(2) عباس، إحسان، المرجع السابق، ص14.

واحد منهم، ومن ينجح في هذا الاختبار يطير صيته، وينضَمّ إلى قائمة أعضاء النادي"[1]، فقد كان لأعضاء المجلس من العلماء والنقاد دورٌ يوازي دور الرشيد في الحكم على الشعراء، وإبداء الملاحظات النقدية، وهو أمرٌ طبيعي؛ نظراً إلى أنَّ الحديث عن الشعر والشعراء كان يأتي عرضاً في سياق المباحث اللغوية المتعددة في مجلس الخليفة الرشيد، ولأن المجلس كان يشكل خليطاً من جميع الفنون وأنواع الأدب؛ فقد كانت هذه المجالس تمثل مجمعاً علمياً فيها يلتقي العلماء والشعراء والأدباء، فتدور بينهم مناقشات علمية وجدلية؛ ولذلك كان هذا النقد نقداً متشعباً ومتنوعاً يتناول اللفظ والمعنى والتعليق على بعض القصائد والأبيات الشعرية، وهو من النقد الفطري التأثري في الحكم على الشعراء؛ كقول الخليفة هذا أشعر بيت وأمدح بيت، وقول الشعراء: أنت أشعرنا، وما إلى ذلك من أحكام غير معللةٍ لا تتجاوز النقد الانطباعي، ولكن يمكن أن نستشف منه بعض التعليلات؛ وذلك بسبب امتداده عن النقد في العصر الجاهلي، وعهد النقد المنهجي الذي بلغ ذروته في القرن الرابع الهجري؛ فكان النقد في مجلس الخليفة يعتمد على السليقة والطبع من جهة، ويحاول أن يقترب من الموضوعية من جهة أخرى، وكان اتجاه النقاد يميل إلى القديم؛ لتعلم الخليفة والشعراء منذ صغرهم على أيدي الرواة والعلماء الذين كان ذوقهم محافظاً، فطبعوا به عقول الشعراء والخليفة بما روي من أشعار القدماء، أو ربما لميل الشعراء والندماء إلى حب الشعر القديم، وسوف نتعرض في هذا الفصل إلى بعضٍ من القضايا النقدية التي كانت تثار في مجالس الرشيد الشعرية، وسنبدأ بالنقد الانطباعي القائم على التذوق الذاتي، والذي يبتعد عن التحليل والتعليل، ومن ثم النقد المنهجي وخاصة في اعتماد محاولات التعليل على مسألة اللفظ والمعنى، وبعد ذلك سوف نتناول مسألة السرقات الشعرية، ومن ثم قضية البديهة والارتجال باعتبارها معياراً نقدياً.

فقد كانت الملاحظات النقدية تنصب على الشعر في أغلب الأحيان، ولم يحظ النثر بملاحظات نقدية؛ فنجد أن النقد يكون في التعليق على بيتٍ واحدٍ أو التمييز بين الشعراء والمفاضلة بينهم في الشاعرية، ويمكن القول إننا لم نجد نقداً موجهاً إلى النثر؛ ويرجع هذا إلى طغيان سلطان الشعر على العرب منذُ العصر الجاهلي؛ لذلك وجدت معظم الآراء النقدية على الشعر خاصة، وكان هذا النقد صادراً عن الخلفاء أو النحاة واللغويين، أو عن

---

(1) حسين، عبدالرزاق، الأدب العربي في جزر البليار، دار الجيل للنشر، عمان، ط 1، 1994م، ص37.

علماء النقد، وأما النقد في مجلس الخليفة الرشيد وهو موضوع الدراسة فلم يكن النقد نقداً علمياً منهجياً، ولكن الخليفة والنقاد تطرقوا في المجلس إلى تحليل الخصائص العامة للشعر وخصائص كل شاعر من الشعراء، ولم يكن النقدُ فطرياً ساذجاً كما كان في العصر الجاهلي، ولم يكن نقداً منهجياً خالصاً، وإن كان هنالك عدة محاولات للتعليل.

4.5 الملحوظات النقدية الانطباعية:

النقد في مجلس الرشيد قائمٌ على أساس الذوق في التعليق على بعض الأبيات الشعرية أو القصائد في بعض الأحيان، والمفاضلة بين الشعراء؛ ومثل ذلك ما كان يحدث في سوق عكاظ، وكانت الأحكام التي تصدر فيه على الأعمال الشعرية أحكاماً تدور في إطار النقد الذوقي التأثري(1).

فكثير ما كان يسأل الخليفة رواة الأشعار عن أمدح بيتٍ وما إلى ذلك "ولم يكن هذا السؤال على سذاجته وليد اعتقاد بأن البيت هو الوحدة الشعرية، وإنما كان وليد البيئة التي تعتمد على الحفظ وعلى الاستشهاد والتمثيل بالأبيات المفردة السائرة، وسيكون النظر إلى البيت المفرد السائر أو الأبيات المفردة السائرة حكماً على الجودة ما دام الحفظ لا يسمح بتصور القصيدة جميعها"(2).

فلقد كان ما يثار في مجلس الخليفة من مسائل وأشعار وأقوال يعتمد على الرواية الشفوية "والحق أننا في مضمار النقد الموضوعي السليم لا نستطيع أن نخص شاعراً بعينه من شعراء العربية بالتفوق ببيت في معنى معين على جميع الشعراء، فذلك مركب وعر في دنيا النقد، وإنما يمكن أن تتجمع مجموعات من الأبيات لعدد من الشعراء يمكن وصفها بالتفوق مع ذكر صفة التفوق في كل بيت، وعند كل شاعر، أما أن هناك أمدح بيت في الشعر العربي، أو أهجى بيت إلى آخر هذه القصة التي تتكرر كثيراً عند النقاد الأقدمين فذلك أمر يمكن الاستئناس به، ولكن لا يُعوّل عليه"(3).

---

(1) الدينوي، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، ص344؛ القالي، ذيل الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، ص74-75.

(2) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي، ص46.

(3) الشكعة، مصطفى، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1980، ص232.

ومن ذلك أنْ سأل الرشيد بعض جلسائه : أيُّ بيتٍ مُدح به الخلفاء من بني أمية أفخر؟ فقالوا وأكثروا، فقال الرشيد: أمدح بيت وأفخره قول ابن النصرانية في عبد الملك:

شمس العداوة حتى يستقاد لهـــم وأعظم الناس أحلاماً إذا قـــدروا [1]

ومثل هذه الأحكام التي كانت تصدر عن الخليفة لا يعو ل عليها؛ لأنه هنالك اختلاف في هذا الأمر، وهي أحكام غير معلله.

وأحياناً يطلق من في المجلس مثل هذه الأحكام، كأن يقول أحدهم : هذا أحدق بيـــت، ومثل هذه الأحكام غير المعللة هي أحكام عفوية يقولها الخليفة أو النقاد، فقد دخـــل أبـــو العتاهية على الرشيد وأنشده:

اللهُ هوَّنَ عندك الدُّنيا وبغَّضَهَا إلَيْـــــــكَ
فأبيتَ إلاّ أنْ تصغرَ كلِّ شيءٍ في يَدَيْكَـــا
ما هانت الدُّنيا على أحدٍ كما هانت عليكا

فقال الفضل بن ربيع: يا أمير المؤمنين، ما مدحت الخلفاء بأصدق من هذا المدح[2].

والفضل بن ربيع هو أحد النقاد في مجلس الرشيد يطلق حكماً نقدياً على هذه الأبيات، أنها أحدق ما مدح به خليفة، وهذا الحكم عفوي لاستحسانه هذه الأبيات.

ومن ذلك أن سهل بن هارون دخل على الرشيد، فقال له الرشيد : يا سهل مـــن روى من الشعر أحسنه وأجوده ومن الحديث أصحه وأبلغه، ومن البيان أفصحه وأوضـــحه إذا رام أن يقول لم يعجزه، قال سهل: يا أمير المؤمنين، ما ظننت أحداً تقدمني سبقني إلى هذا المعنى، فقال: بل أعشى همذان؛ حيث يقول:

وجـــدتك أمـــس خيـــر بنـــي لـــؤي وأنت اليـــوم خيـــرٌ منـــك أمـــس
وإن غـــداً تزيـــد الخيـــر ضـــعفاً كذاك تزيدُ سادة عبـــد شـــمس [3]

فالرشيد يسأل سهل بن هارون -وكان شاعراً وناقداً في مجلســـه- عمّـــن روى مـــن الشعر أحسنه وأجوده وأبلغه، فقال سهل : وهو بذلك يقول عن نفسه إنه أحسن من يـــروي الشعر، ولكن الرشيد يبين أنه أخطأ في حكمه لنفسه بذلك مؤكداً أن أعشى هـ مذان أفضـــل منه، وهذا الحكم هو حكمٌ عفوي الخاطر غير معلل.

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص61.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص66.

(3) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص11.

ومن ذلك أن الرشيد سأل ابن أبي حفصةٍ وكان شاعراً مجيداً فسأله عن الوليد ابن يزيد، فقال: "كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس"[(1)].

فالشعراء يطلقون أحكاماً نقدية؛ مثل قولهم أصبح الناس وأشعر الناس؛ وهذه الأحكام صادرةٌ عن ذوق الشعراء وإعجابهم ببعض الأبيات الشعرية، وهذه أحكامٌ مُعمِّمة خاطئة.

وقد يعبر الخليفة أو النقاد في تعليقهم على الشعراء عند سماعهم عن نقدهم الانطباعي؛ بإجراء عملي وانفعالي نفسي يظهر من خلال الارتياح لما يسمعونه؛ ومن ذلك أن الشعراء اجتمعوا على باب الرشيد فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا؛ فأنشد أبو العتاهية

يا مَن تَبَغّى زَمَناً صالِحاً صَلاحُ هارونَ صَلاحُ الزَمَن

كُلُّ لِسانٍ هُوَ في مُلكِهِ بِالشُكرِ في إِحسانِهِ مُرتَهَن

فاهتز الرشيد وقال : أحسنت والله، وما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بصلةٍ غيره[(2)].

والرشيد بهذا الموقف النقدي الانطباعي عبر بطريقة غير مباشرة عن موقف نقدي ألح عليه النقاد، وهو تأثير الشعر في النفوس وتحريكها، وقد اتخذه حازم القرطاجني مقياساً للجودة والرداءة؛ إذ المعول عليه من الشعر هو ما تتأثر به النفوس[(3)].

ودخل أشجع السلمي على الرشيد في مجلسه، فأنشد:

وَعَلى عَدُوِّكَ يا ابنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدانِ ضَوءُ الصُبحِ وَالإِظلامُ

فَإِذا تَنَبَّهَ رعتَهُ وَإِذا غَفا سَلَّت عَلَيهِ سُيوفكَ الأَحلامُ

وكان الرشيد متكئاً فاستوى جالساً، وقال: أحسن والله، هكذا تمدح الملوك"[(4)].

ويبدو واضحاً من قول الرشيد أن الملحوظات النقدية التي كان يطلقها الخليفة هي من النقد الانطباعي الذي يقوم على إحساس العفوي والشعور، ومثل هذا الاستحسان ليس ضرورياً أن يكون نابعاً من تذوق الشعر، ومعرفة مواطن الحسن والجمال، ولكنه قد

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج7، ص18.

(2) المصدر السابق، ج4، ص42.

(3) أبو الحسن، حازم القرطاجيمناهج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981م، ص365.

(4) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص146.

يكون بدافع كون الشعر مدحاً وثناءً عليه، ولكن الرشيد كان أيضاً ذواقاً للشعر عالماً بمواطن الحسن والجمال.

وقد يطلق بعض الشعراء ملحوظات نقدية تجري مجرى النقد الانطباعي يتم فيها تعليق أحد الشعراء عندما يسأله الخليفة أن يصف بعض الشعراء؛ ومن ذلك أن الرشيد قال يوماً لبرصوما: "ما تقول في ابن جامع؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وما أقول في العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيب؟ قال: فإبراهيم الموصلي؟ قال: هو بستان فيه جميع الثمار والريحان، قال: معمرو الغزال؟ قال: هما حسنُ الوجه يا أمير المؤمنين"[1].

فالشاعر يصدر أحكاماً نقدية في وصفه الشعراء؛ فهو يصف كلام ابن جامع بالعسل، ويقول عن إبراهيم الموصلي إنه مثل البستان الذي فيه جميع الثمار، وعن معمر والغزال أن كليهما حسن الوجه، ومثل هذه التعليقات النقدية الانطباعية هي عفو الخاطر، ومن باب الذوق.

وقد يطلق الخليفة أحكاماً نقدية تحدد مذاهب الشعراء، وتصدر أحكاماً على أشعارهم؛ فلقد دخل مسلم بن الوليد على الرشيد فأنشده:

هل العيش إلا أن أروح مع الصبا وأغدو صريع الراح والأعينِ النُّجلِ

فقال له: أنت صريع الغواني، فسمي بذلك حتى صار لا يعرف إلا به[2].

والرشيد بذلك يحدد مذاهب الشعراء؛ لأن هذا اللقب الذي أطلقه الرشيد على مسلم يعكس اتجاه الشعراء في معظم أشعارهم، وهم بذلك يميلون إلى الغزل واللهو؛ فقد كان مسلم يميل إلى الغزل وحب النساء.

ولقد كان الخليفة يبدي رضاه وامتنانه لما يسمع، ويطلق أحكاماً نقدية انطباعية؛ فقد قال العتابي للرشيد قصيدة النمري، فلما وصل إلى قوله:

مظلومة والإله ناصرها تُدير إجاء مُقلةٍ حافل

قال الرشيد يا عتابي، من قال هذا؟ قال: عدوك يا أمير المؤمنين الذي تظن أنه وليك، فقال: ويلي على ابن الفاعلة"[3].

(1) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج7، ص28.

(2) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص235.

(3) المصدر نفسه، ص243.

فالرشيد يعبر عن نقده لشاعر بإجراء انفعاليّ سلوكي يظهر التذمر لما سمعه من الشاعر من ذكر فاطمة عليها السلام.

وكان الشعراء في مجلس الرشيد يطلقون أحكاماً فنيةً مستمدةً من رواسب أسطورية قديمة؛ فقد قال مروان ابن أبي حفصة في عنان الناطفية "هي والله أشعر الجن والإنس"، ومن هذه الأحكام الانطباعية الممتدة من رواسب أسطورية أن لاحظ الشاعر ابن أبي حفصة قوة شعر عنان وذكا ءَها وسرعة خاطرها، وحضور البديهة فجعلها أشعر الجن والإنس.

وقد كان الشعراء والمتلقون القدماء يعتقدون أن لكل شاعر شيطاناً يوحي إليه بما يقول، ويرجعون الإبداع الشعري إلى قوى غيبية وخوارق أسطورية، بل إنهم جعلوا للشياطين والجن قبائل، كما كانوا هم قبائل وعشائر، وكانوا يتخيلون للجن أشكالاً مختلفة، وإنما ظهر الشياطين للشعراء، وأوحوا إليهم بالشعر من القفار والجبال، وقد نسب العرب كثيراً من الأعمال الشعرية إلى الجن، وقد شاعت مثل هذه الأساطير في الجاهلية، وأهمها أن أولئك الشياطين كانوا قادرين على قول الشعر[1].

وكان الدافع لهم إلى هذا الاعتقاد هو إيمانهم بأن ما يقوله الشعراء شيء لا يقدر عليه أي أحد من الناس [2]، وهذه الأحكام التي يطلقها الشعراء هي أحكام تعميمية قد تكون خاطئة في بعض الأحيان، وهي أحكام عفوية تكون نابعة من حب الشاعر وإعجابه بما سمع، فيطلق مثل هذه الأحكام معبراً عما يجول في نفسه وخاطره.

ولم يكن نقد الخليفة ينصب على التعليق على البيت أو البيتين، ولكن يمتد إلى القصائد أحياناً، فقد كان الخليفة أو من ضم مجلسه من النقاد يعلقون على القصائد مطلقين أحكاماً نقدية تدخل ضمن النقد الانطباعي؛ ومن ذلك أن الأصمعي وإسحاق الم وصلي دخلا يوماً على الرشيد في مجلس فأنشده إسحاق.

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فذلك شيءٌ ما إليه سبيلُ
أرى الناس خُلان الكرام ولا أرى ... بخيلاً له حتى الممات خليلُ
وإني رأيت البُخل يزري بأهله ... فأكرمتُ نفسي أن يقال بخيلُ

---

(1) حميدة، عبدالرزاق،شياطين الشعراء، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 55-56؛ أنور أبو سويلم، دراسات في الشعر الجاهلي، دار عمار، عمان، ط1، 1987، ص55-56.

(2) أبو سويلم، أنور، دراسات في الشعر الجاهلي، دار عمار، عمان، ط1، 1987، ص78.

من خير حالات الفتى لو علمتهُ إذا نال خيراً أن يكون يُنيل

فعالي فعالُ المكثرين تجملاً ومالي كما قد تعلمين قليلُ

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ووجه أمير المؤمنين جميلُ

فقال الرشيد: لا تخف إن شاء الله، ثم قال: لله در أبياتٍ تأتينا بها؛ ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها، وأمر له بخمسين ألف درهم(1).

والرشيد يحاول التعليل في استحسانه وإعجابه بالأبيات؛ لحسن صياغتها وجودة معانيها وحسن مخرجها، ولكن هذه التعليقات عفوية نابعة من إعجاب الرشيد بهذه الأبيات، وهو وإن أطلق هذه الأحكام مع شيءٍ من التعليل، إلا أن هذه الأحكام لا تخرج عن النقد الانطباعي.

وفي خبرٍ آخر أنشد العباس بن الأحنف الرشيد بقوله:

قالوا خُراسان أقصى ما يراد بنا ثم القُفول فقد جئنا خراسانا

ما أقدر الله أن يُدني على شحطٍ سكان دجلةٍ من سكان جيحان

متى الذي كنتُ أرجوه وآمله أما الذي كنت أخشاه فقد كانا

عينُ الزمان أصابتنا فلا نظرت وعذبت بصنوف الهجر ألوانا

فقال له الرشيد: قد اشتقتُ يا عباس، وأذنت لك خاصة"(2).

والرشيد في إعجابه واستحسانه لهذه الأبيات نابع من تذوقه للشعر، ومعرفة معاني الشعر، فعبر بطريقة غير مباشرة عن موقف نقدي ألح عليه النقاد هو تأثير الشعر في النفوس وتحريكها.

وكان الرشيد يفاضل بين الشعراء مطلقاً بعض الأحكام؛ ومثل هذه المحاولات النقدية تدخل في معظم الأحيان في إطار النقد الانطباعي غير المفضل؛ ومن المفاضلات الشعرية مفاضلة غير مقيدة بالإجادة، وتكون بتعصب الشاعر من الشعراء؛ ومن ذلك قول إسحاق الموصلي: "كان الرشيد يقدم أبا العتاهية حتى يجوز الحد في تقديمه، وكنت أقدم العباس ابن الأحنف فاغتابني بعض الناس عند الرشيد، وعابني عنده وقال عقب ذلك: وبحبك يا

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، ج5، ص322؛ العاملي، بهاء الدين محمد بن الحسين، (ت1535هـ)، أسرار البلاغة، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص7.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص372.

أمير المؤمنين أنه يخالفك في العباس بن الأحنف على حداثة سنة، وقلة حذقه وتجربته، ويقدمه على أبي العتاهية مع ميلك إليه"[1].

ونستشف من ذلك أن الرشيد كان يفضل أبا العتاهية على غير إعجابٍ بشعره، وغير تقيّد بمبدأ الإجادة في تفضيله، وهذا من باب التعصب في تفضيل بعض الشعراء على غيرهم.

ومن المفاضلات ما يقوم على مدى براعة الشاعر في فنٍ من الفنون وإتقانه له؛ فكان الرشيد يفرق بين الشعراء مطلقاً بعض الآراء النقدية الانطباعية مع شيءٍ من التعليل؛ ومن ذلك أن إسحاق الموصلي دخل على الرشيد فقال له أيهما أشعر عندك العباس بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلمت الذي يريد فأطرقتٌ كأني مستثبت ثم قلت : أبو العتاهية أشعر، قال أنشدني لهذا ولهذا قلت بأيهما أبدأ؟ قال بالعباس قال : فأنشدته أجود ما أرويه للعباس، وهو قوله:

أُحرَمُ مِنكُم بِما أَقولُ وَقَد   نالَ بِهِ العاشِقونُ مَن عَشِقوا

فقال لي: أحسن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدته أضعف ما أقدر عليه، وهو قوله:

كأن عتابة من حسنها   دميةُ قس فتنت قسها

يا رب لو أنسيتنيها لما   في جنة الفردوس لم أنسها

إني مثلُ التي لم تزل   دائبةً في طحنها عدسها

حتى إذ لم يبق منها سوى   حفنة بُر قتلت نفسها

قال: أتعيره هذا؟ فأين أنت عن قوله:

قال لي أحمدٌ ولم يدر مابي   أتحب الغداة عتبة حقاً

فتنفست ثم قلت نعم حُب   أجرى في العروق عِرقاً فعرقا

ويحك أتعرف لأحدٍ مثل هذا، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله "فتنفست ثم قالت كذا وكذا؟" اذهب ويحك فاحفظها[2] ونلاحظ من ذلك تعصب بعض الشعراء لبعض، ولكن الرشيد كان يحفظ شعر أبي العتاهية، ويعرف ما فيه من جودة وما فيه من رداءة، وكان يعلق على الشعر الذي يسمعه مستحسناً أو مستهجنا، ومفضلاً بين الشاعرين بالشاعرية

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص371.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص371-372.

معللاً ذلك من خلال المقارنة بين شعر كل منهما ومفضلاً الذي يسبق الأخر إلى المعاني الجديدة، فقد فضل أبا العتاهية لأن أحداً لم يسبقه إلى قوله : "فتنفست وقالت"، وهو بذلك يعطي حكماً نقدياً انطباعياً مع شيءٍ من التعليل.

ومن ذلك أيضاً أن الرشيد كان يفضل أبا نواس على غيره في وصف الخمرة؛ قال إسحاق الموصلي دخلت على الرشيد يوماً وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيءٍ لم اسمع ابتداءه، وقد علا صوته، فلما رآني مقبلاً قال لجعفر بن يحيى أترضى بإسحاق؟ قال جعفر والله ما في علمه مطعن إن نَصف، فقال لي : أي شيء تروي للشعراء المحدثين في الخمر، أنشدني من أفضل ما عندك وأشدّه تقدماً، فعلمت أنهما كان يتماريان في تقديم أبي نواس، فعدلت عنه إلى غيره لئلا أخالف أحدهم، فقلت: لقد أحسن أشجعُ في قوله:

ولقد طعنت الليل في إعجازه بالكأس بين غطارفٍ كالأنجم

يتمايلون عن النعيم كأنهم قضبٌ من الهندي لم تتثلم

فقال لي الرشيد: قد علمت تعصبك على أبي نواس، وإنك غفلت عنه متعمداً، ولقد أحسن أشجع، ولكنه لا يقول مثل أبي نواس:

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم(1)

ونستشف من هذا الخبر مدى براعة الشاعر في فن من الفنون الشعرية، وهو وصف الخمرة، فقد كان أبو نواس متقدماً على الشعراء في حسن وصف الخمر، ونلاحظ من اختلاف الرشيد والأمير جعفر في أي الشعراء أشعر في وصف الخمرة حتى جاء ناقد شاعر مثل إسحاق الموصلي الذي شهد له جعفر بمعرفةٍ وعلم إذا لم يطعن، وقد كان إسحاق متعصباً على أبي نواس ففضل شعر أشجع السلمي، ونلاحظ من ذلك تعصب بعض النقاد لبعض الشعراء، وهذا الاختلاف يؤدي إلى الانحياز والتعصب في تفضيل الشعراء، ولكن الرشيد كان يحفظ شعر الشعراء، وكان ناقداً جيداً في تفضيل الشعراء، فكان يرد على إسحاق رداً منصفاً في تعصبه على أبي نواس موضحاً قوةٍ شعر أبي نواس، وتغلبه على أشجع وغيره في هذا الفن، وذلك لا يخرج عن النقد الانطباعي الذي يعتمد على الذوق بشكلٍ عام.

وكل هذه المحاولات النقدية في مجلس الرشيد لا تخرج عن النقد الانطباعي الذاتي الذي يعتمد الذوق والفطرة في التعليق على الشعراء في المجالس؛ فقد كان النقاد العرب

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص150-151.

يهتمون بالذوق على أساس أنه معيارٌ نقديٌ، وأدركوا أن الجمال عنصر أساسي من عناصر الذوق، وأدركوا أن إحساس الناقد بالجمال فطري ومكتسب من الاستعداد الفطري، وهو الأصل، وبغيره لا يمكن لمن يتصدر للنقد أن تستقيم له قناته، ومثل هذا الذوق الذي اجتمع فيه الوعي الحسي والوعي العقلي هو الذوق المستنير الذي عده النقاد المرجع النهائي، وقد رأوا أن الذوق المثقف هو الذي يستطيع النفاذ إلى أسرار الجمال ويبين علله، وليس القواعد والمعايير ، انطلاقاً من أن القصيدة عبارة عن تجربة شخصية تعبر عن مشاعر ذاتية عاشها الشاعر[1]، وهكذا فقد كان الذوق هو الأساس في الحكم على الشعراء في مجلس الرشيد، وجميع الآراء النقدية التي سبق ذكرها من اختلاف الشعراء في الشاعرية وتفضيل بعضهم على بعض تعتمد على الذوق، وإ ن كان هناك شيءٌ من التعليل والتحليل، إلا أنه لا يصل إلى حد النقد المنهجي الذي سوف نتحدث عنه في المبحث الثاني من هذا الفصل؛ فجميع الملحوظات النقدية التي ذكرت، أو بالأجدر المحاولات النقدية تراعي العرف العام الذي تحكّم في الشعر العربي خلال العصور السابقة، ولكن تظل هذه المحاولات النقدية لبنةً في تطور النقد؛ فالبحث عن أشعر بيت، وتفسير معاني الألفاظ الشعرية، والنظر في جودة الأبيات الشعرية والقصائد، والمفاضلة بين الشعراء أدت إلى خدمةٍ النقد الأدبي وتطوره.

5.5 الملحوظات النقدية المنهجية (قضايا في نقد الأدب):

ذكرنا أن أكثر الملاحظات النقدية في مجلس الرشيد كانت من النقد الانطباعي الذاتي الذي يعتمد على الذوق والفطرة أكثر من اعتماده على التعليل، ومع ذلك يمكن أن نصف بعض المحاولات النقدي ة ضمن قضايا النقد المنهجي الذي يعتمد أساساً على التعليل والتحليل، وتعد قضية اللفظ وال معنى من القضايا النقدية الجدلية التي شغلت النقاد القدماء "والنقد المنهجي هو ذلك النقد الذي يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية وتطبيقية"[2].

---

(1) المجالي، جهاد، موقف النقاد العرب من قضية الذوق الفني، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثامن، العدد الثاني، 1993م، ص191.

(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، ص252، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص357، ابن شرف القيرواني حياته وأدبه، ص227.

وإذا أردنا أن نتحدث عن قضية اللفظ والمعنى وموقف النقاد منها، فالحديث عن اللفظ والمعنى باعتبارهما من قضايا النقد العربي تكرر في مواضع مختلفة؛ وفي ذلك يقول الجاحظ في كتاب البيان والتبيين: إن المعاني مبذولة في الطريق وإن المعول على الألفاظ؛ أي على الأسلوب والقدرة على تلوينه والتفنن في التعبير حتى يأتي الشاعر أو الكاتب بالبديع الذي لم يسبق إليه[1].

فقول الجاحظ يدل على أنه من أنصار اللفظ، وأن المعول في البلاغة على الألفاظ، ولا يعول على المعاني، ويعد المعاني في المرتبة الثانية بعد اللفظ، ويبين أن المعاني هي "المعاني القائمة في صدور الناس المقصودة في أذهانهم المتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم مستورة مخفية وموجودة في معانٍ معدومة، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم إياها والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هي البيان"[2].

ونستشف من قول الجاحظ أن المعاني هي المادة المتاحة لجميع الناس، وتعد الألفاظ بمثابة الصبغة التي يصبغ بها المعنى، والأدباء متفاوتون في اختيار الألفاظ التي تتناسب مع المعاني؛ فالألفاظ بمثابة المنظر الذي يجمل المعاني، كما يؤكد ذلك الجاحظ أنه يجب توفر شروط في الألفاظ : "وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ولا سوقياً فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً ولا وحشياً، إلا أن يكون المتكلم أَعرابياً فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي، رطانة السوقي وكلام الناس من طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والثقيل، وكله عربي وبكله قد تكلموا، وبكل قد تمادحوا وتعايبوا"[3].

ويظهر من كلام الجاحظ عددٌ من الشروط التي يجب أن تتوفر في اللفظ؛ وهي: أن لا يكون اللفظ عامياً أو سوقياً، والابتعاد عن الألفاظ الوحشية الغريبة، لأنه ليس على الناس تعرف مثل هذه الكلمات، ولكن الذي يعرفها هم الأعراب، ويؤكد أن الألفاظ يجب أن تكون جزلة قوية، ويجب الابتعاد عن الكلام الساذج والسخيف.

---

(1) مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، دار النهضة، مصر، د.ت، ص5.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص75.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص144.

وظلت قضية اللفظ والمعنى تشكل مكاناً للجدل بين النقاد؛ فجاء بعد الجاحظ ابن قتيبة(276هـ) فقسم الشعر من حيث اللفظ والمعنى إلى عدة أقسام : ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هنالك فائدة للمعنى، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه، وضرب تأخر معناه وتأخرت ألفاظه[1].

وسار في طريقه ابن طباطبا (322هـ) فجعل اللفظ ملازماً للمعنى؛ فاللفظ هو الجسد وروحه المعنى والعبرة في تخير اللفظ وحسن معرضه[2].

ويقول ابن رشيق القيرواني (456هـ) أن قوة المعنى من قوة اللفظ وقوة اللفظ من قوة المعنى؛ فالمعنى يقوى ويضعف بشكل طردي مع اللفظ والعكس صحيح [3]، أما عبد القاهر الجرباني فقد وحد بين اللفظ والمعنى من خلال "نظرية النظم" التي لا تجعل للفظ مزية على المعنى، ولا للمعنى مزية على اللفظ، وإنما مدار الجمال على الحسن والجودة في حسن التأليف والتركيب للكلام، وفقاً لتوخي معاني النحو[4].

فقد وحّد عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم بين اللفظ والمعنى وقضى على الخلافات التي دارت حول هذه القضية.

6.5 اللفظ:

لقد أسهمت المجالس الشعرية في عصر الرشيد بنصيب كبير من النشاط الأدبي؛ لما كان يدور فيها من ملحوظات نقدية ومناقشات، وقد تحدثنا سابقاً عن النقد الانطباعي الذاتي، أما الآن فسوف نتحدث عن قضية النقد المنهجي القائم على التحليل والتعليل، ومن خلال اللفظ والمعنى سوف يتبين لنا مدى ما كان لهذه القضية في مجلس الرشيد، فقد كان

---

(1) سلام، محمد زغلول، تاريخ النقد الأدبي في القرن الرابع هجري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، د.ت، ص68.

(2) ابن طباطبه، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (ت322هـ) عيار الشعر، تحقيق : عبدالعزيز ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985م، ص16-17.

(3) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص252-253.

(4) الجرجاني، عبدالقاهر دلائل الإعجاز، ص 254-255، عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية، ط 2، ص16-17.

النقد في مجلس الرشيد ينصب على الصياغة ليبين مكان الخطأ والصواب، وما يفترضه من تحليلٍ وتعليل وتوضيح، وغالباً ما كانت المناقشات تدور حول ذلك.

ومن ذلك أن العماني دخل على الرشيد فأنشده قوله:

كــــأنّ أُذْنــيـــــه إذا تَشــوَّفــــا   قادمــــــةً أو قلـــمـــــاً مُحرّفـــــاَ

فعلم القوم كلهم أنه قد لحن، ولم يهتز منهم أحد لإصلاح البيت إلا الرشيد؛ فإنه قال له: قل: تخال أذنيه إذا تشوفا(1).

فالتهمة كما نلاحظ تدور حول عيب نحوي قد وقع فيه الشاعر، وذلك في قوله "كـأن أذنيه" فقد لحن الشاعر حين نصب خبر كأن والواجب الرفع، وقد رد عليه الرشيد بأن يرفع خبر كأن، وأن يقول: تخّال أذنيه إذا تشوفا " ورد الرشيد على الشعراء يدل على قدرته على تبين أخطائهم مع التعليل، وتبين مكان الخطأ وإصلاحه مبيناً مكان الضعف، ومعلقاً عليه، بل إنه يصحح خطأ الشاعر بإبدال (تخال) التي تتصب مفعولين بكلمة (كأن)، هذا النقد المعلل من باب النقد المنهجي الذي يعتمد في أساسه على التعليل والتوضيح.

وكان للنقاد دورٌ في تصحيح الأخطاء النحوية في مجلس الرشيد؛ ومن ذلك أن الكسائي واليزيدي اجتمعا في مجلس الرشيد، فقال اليزيدي للكسائي: أنظر في هذا الشعر هل فيه عيب، وأنشده:

مــــا رأينــــا خربــــاً نقـــــــر عنــــه البــــيض صــــقر

لا يكـــــون العيـــــر مهـــــراً   لا يكـــــون، المهـــــر مهـــــر

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال اليزيدي انظر جيداً فقال: أقوى، لا بد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان؛ فضرب اليزيدي بقلنسوته على الأرض وقال: أبا محمد، الشعر صواب، إنما ابتدأ فقال المُهر مُهر. فقال له يحيى: أتكنى بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك، والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحب إلينا من صوابك مع فعلك، فقال: لذة الغلب أنستني من هذا ما أحسن (2)، ونستشف من ذلك أن المناقشات النقدية التي كانت تدور في مجلس الرشيد بين النقاد، وهذه المناظرة بين الكسائي واليزيدي في مجلس

---

(1) المبرد، الكامل في التاريخ، ج2، ص108-109؛ ابن عبدربه، العقد الفريد، ج5، ص367.

(2) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 13، ص178-179؛ الزجاجي، أبي القاسم (ت310هـ)، مجالس العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص255.

الرشيد تدل على مدى اهتمام الرشيد بالشعر ونقده، وكان النقاد يعتمدون على التعليل في بيان بعضهم أخطاء بعض؛ فالكسائي أخذ على الشاعر وقوعه في الإقواء، وهو تغير حركة الروي في البيت، والواجب أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كأن، ولكن اليزيدي أكلن البيت صواب؛ لأ ن الشاعر ابتدأ فقال : المُهرُ مهرُ، وهذا هو الصواب، فهذه المحاولات النقدية المعللة في مناقشة النقاد لشعر الشعراء تدل على عظم مجلس الرشيد، ودوره في تحفيز الشعراء؛ فكان المجلس بمثابة المكان الذي يجتمع فيه الشعراء والنقاد، ويتمايزون بينهم في بيان أخطاء الشعرا ء وتصحيحها والحكم بـ الشاعرية فيما بينهم معللين أخطاءهموموضحين ما هو صحيح .وكان الرشيد يعجبه من الأبيات المتناسقة في ألفاظها الرقيقة العذبة الجميلة؛ فكان ينظر إلى قوة الألفاظ؛ فأنشده بعض جلسائه أبياتا لابن الدمينة؛ حيث يقول:

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني ... على كبدي من خشيةٍ أن تصدعا

وليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولكن خلِّ عينيك تدمعا

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

فأعجب الرشيد برقة الأبيات، فقال له عبثر :يا أمير الـ مؤمنين، إن هذا الشعر مدني رقيق، قد غذي بماء العقيق حتى رقا وصفا، فصار أصفى من الهواء"[1].

ونلاحظ من إعجاب الرشيد بقوة الألفاظ وجزالتها، وقول عبثر له يصف الألفاظ بأنها أبيات مدنية رقيقة وهي أصفى من الهواء؛ فهو يركز على الشكل دون المضمون مهتماً باللفظ على حساب المعنى، وهو بذلك يبين مدى قدرة الشاعر على صياغة الألفاظ بصورة جيده.

وكان الرشيد يعجب بالشاعر الذي تكون ألفاظه قوية وجزلة، ولا يحب الألفاظ اللينة المحدثة، ومن ذلك أن سلم الخاسر دخل عليه فأنشده:

حيِّ ألأحبه بالسلام

فقال الرشيد: حياهم الله بالسلام

فقال: أعلى وداع أم مقام

فقال الرشيد: حياهم الله على أي ذلك كان.

فأنشده:

---

(1) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج7، ص30.

لــم يبــقَ منــك ومــنهم   غير الجلود على العظام

فقال له الرشيد : بل منك، وأمر بإخراجه، وتطير منه ومن قوله، فلم يسمع منه بــاقي الشعر ولا أثابه شيء[1].

ويتبين من موقف الرشيد أنه ناقد قدير على الرد على الشعراء، وبيان جيد شــعرهم من رديئه من خلال قوة الألفاظ، فسلم الخاسر في أبياته الرقيقة السوقية جعــل الرشــيد يسخر منه؛ لأنه لم يعرف كيف يخاطب الملوك والخلفاء، ويلاحظ في قوله ما كأنه هجاء للرشيد؛ مما جعل الرشيد يطرده من مجلسه، ولم يسمع منه بقية القصيدة، ونقــد الرشــيد لهذه الأبيات ينصب على اللفظ والمعنى من حيث استهجان قول الشاعر، وهو بذلك يعطي صورةً عن شدة الاهتمام بجودة الألفاظ، ومن سبكها وتخيرها، وجلال الأفكار والمعــاني وعمقها؛ فالشعر الذي سمعه يخلو من ذلك، وهو بذلك يجعل من قوة الألفاظ مقياساً نقــدياً معللاً ذلك ومن ذلك أن الرشيد كان يفضل الألفاظ وقوتها، فقــد دخــل عليــه إبــراهيم الموصلي فقال:

رأيــت الــدين والــدنيا   مقيمــــين بشــــبداز

أقامــا بــين حجــا ج   وغـــازٍ أيمـــا غـــاز

فأمر له بألف دينار، ولم يستحسن الشعر وألفاظه ولكنه استحسن صنعته فيه[2].

فالرشيد لم يستحسن المعنى ولكن ا ستحسن الألفاظ، ومن الأمور التي تناولها الرشــيد في مجلسه ما يَخص الألفاظ وصياغتها، ومناقشته الشعراء حول مذهب القدماء ومذهب المحدثين، من خلال التماس بعض الخصائص الفنية عند الشعراء؛ ومن ذلك محــاورات الرشيد مع المفضل الضبي، وهو أحد رواة الشعر وحفظته؛ إذ يقول له الرشيد. "أنشــدني بيتاً أوله أعرابي في شملته هب من نومه، وآخره مدني رقيق غذي بماء العقيــق، فقــال المفضل: هولت على يا أمير المؤمنين؛ فليت شعري، بأي مهر تفتض عروس هذا الخدر، قال هارون : هو بيتٌ جميل حيث يقول:

أَلا أَيُّها النُوّامُ وَيَحكُمُ هُبــوا   أُسائِلُكُم هَل يَقتِلُ الرَجُلَ الحُــبُّ[3]

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص290-291.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص169.

(3) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج5، ص382.

ويتبين من ذلك أن الرشيد يميز بين مذهب القدماء الذي يمتاز بالقوة والمتانة في ألفاظه ومعانيه، وبين مذهب المحدثين الذي يمتاز بالليونة والرقة؛ ويبين أن الرشيد كان متعصباً لمذهب القدماء؛ بسبب تعلمه على يد الرواة والعلماء المتعصبين للقديم، وكان الرشيد يميز بين الشعراء على أساس جودة الألفاظ، وقوة صياغتها؛ ومن ذلك أن الرشيد سأل الفضل بن ربيع "هل قال أحد غير سلم الخاسر في طي المنازل، وكان الرشيد قد انصرف من الحج، وطوى المنازل فوصف ذلك سلم، فقال الفضل: نعم يا أمير المؤمنين، النمري فأمر سلماً أن يقف قائماً حتى يفرغ النمري من إنشاده فأنشده النمري قوله:

تخرق سربال الشباب مع البرد وحالت لنا أم الوليد عن العهد

فقال الرشيد للعباس بن محمد أيهما أشعر عندك يا عم؟ قال: كلاهما، ولو كان الكلام يستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام النمري"(1).

ومثل هذا التعليل يدخل ضمن النقد المنهجي الموجه إلى الألفاظ؛ فالعباس يوازي بين الشاعرين بالفحولة، وإنما يقصد بالفحولة كما يقول إحسان عباس: "يعود بنا هذا المصطلح إلى طريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي في انتخاب الألفاظ الدالة على الشعر في طبيعة الحياة البدوية؛ فالفحل جملاً كان أو فرساً، يتميز بما يناقض القوة والليونة التي يكرهها الأصمعي في الشاعر، وبالفحولة يتفوق على ما عداه"(2).

ونستشف من ذلك اتباع النقاد في عصر الرشيد في الحكم على الشعراء على طريقة النقاد القدامى في جودة الألفاظ وقوتها والتمييز بين الشعراء بالفحولة؛ فالمقياس هو جودة الألفاظ وصحة المعاني، وكما ذكرنا سابقاً فالرشيد يتعصب لمذهب القدماء، وهذا النقد للعباس في التفضيل بين الشعراء والتعليل على ذلك باعتماد مقياس الجودة في الألفاظ وصياغتها يمكن أن يعد من قبل النقد المنهجي الذي يعتمد على التعليل والتحليل في نقد الشعر.

ومن النقد الموجه إلى إجازة الألفاظ النقدية الموجهة إلى ضروب البلاغة والبيان في حسن التشبيه؛ ومن ذلك الحوار الذي دار في مجلس الرشيد حول أحسن التشبيهات عند الشعراء، ويبدو أن هذا المجلس جمع فعلاً أكثر الأبيات التي ميزها الاستحسان على ممر

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص292.

(2) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي، ص51.

الزمن؛ لما فيها من جمال التشبيه، فقد عقد المجلس بحضور الرشيد، ودار الحوار حـول أحسن التشبيهات "وقد ميز الأصمعي تشبيهات امرئ القيس مثل:

كَأَنَّ قُلوبَ الطَيرِ رَطباً وَيابِساً   لَدى وَكرِها العُنّابُ وَالحَشَفُ البالي

كَأَنَّ عُيونَ الوَحشِ حَولَ خِبائِنا   وَأَرحلِنا الجَزعُ الَّذي لَم يُثَقَّبِ

وَلَو عَن نَثا غَيرِهِ جاءَني   وَجُرحُ اللِسانِ كَجُرحِ اليَدِ

وآثر الرشيد والفضل ويحيي تشبيهات أخرى؛ مثل تشبيه طرفه:

يَشُقُّ حَبَابَ الماءِ حَيْزُومُها بها   كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُغَايِلَ باليَدِ

وبشعر عنترة في الذباب وغير ذلك"(1).

ونستشف من هذا الحوار أن مقياس المفاضلة هو جودة الألفاظ، ومدى براعة الشعراء في صياغتها ليحسن بها التشبيه، وحسن التعامل مع ضروب البلاغة والبيان؛ فالأصمعي مثلاً كان يفضل امرأ القيس، والرشيد يفضل طرفة وعنترة، وهذا الحوار في تفضيل الشعراء والاستشهاد بأقوال الشعراء للمفاضلة بينهم يدخل ضمن قضايا النقد المنهجي التي تقوم على أساس الجودة في الألفاظ، واختيارها، وتعد أساساً لعلم البيان، فهذه المفاضلات تعد من باب المحاولات النقدية المنهجية، ونلاحظ أن مجلس الرشيد كان يضم عدداً من الشعراء والنقاد مثل الأصمعي والفضل بن ربيع، وهذا يعطي المجالس قوةً أكثر في نقد الشعر والمفاضلة بين الشعراء.

ويدور النقد في مجلس الرشيد حول عيوب لغوية، ومن ذلك أن الرشيد سأل ابن الأعرابي عن معنى قول هند بنت عتبةٍ في غزوة أحد:

نحن بنات طارق   نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق   أو تدبروا نفارق

فقال: فكرت في نسبها ونسب أبيها فلم أجد طارقاً، فقلت: ما أعرف طارقاً يا أمير المؤمنين فقال: إنما قلت إنها في العلو والشرف بمنزلة الطارق وهو نجم (2).

فهذا الموقف النقدي والنقاش الجدلي الذي أثير في مجلس الرشيد يعطي دلالة واضحة على ملاحظة النقاد للشعراء، ولقد كان الرشيد ناقداً فذاً، وكان يختبر الشعراء ويسألهم، ولا يفوت شيئاً يقعون فيه، وتعمد سؤال ابن الأعرابي عن علاقة الطارق في شعر هند

(1) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي، ص55.

(2) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص406.

بنت عتبة، وكان الرشيد يفسر ويعلل ما يسأل عنه إن لم يجد جواباً على سؤاله، وهذا يدخل ضمن النقد المنهجي في السؤال عن الألفاظ ومعانيها.

وكان للرشيد في مجلسه نقد موجه إلى صياغة الألفاظ، وتجانسها في البيت الشعري بأن تكون الألفاظ في الشطر الأول متجانسة مع الشطر الثاني؛ فكان النقاد والخليفة يعللون ذلك ويوضحونه مستحسنينَ فيها الصياغة؛ بأن يكون اللفظ متجانساً مع أقرانه من البيت الشعري، ومن ذلك أن أبا نواس دخل على الرشيد فأنشده:

فإن يك باقي إفك فرعون فيكم   فإن عصا موسى بكف خصيبُ

فقال الرشيد:ألا قلت

فباقي عصا موسى بكف خصيب.

فقال: هذا أحسن، ولم يقع لي[1].

فالرشيد يأخذ على أبي نواس عدم التجانس بين شطري البيت، فكان من الأفضل أن يقول: فباقي عصا موسى " حيث تتجانس مع الشطر الأول باقي إفك فرعون " وهذه الملاحظات النقدية المعللة تدخل ضمن النقد المنهجي؛ فالشاعر أخطأ في صياغة البيت؛ بحيث وقع في عدم التجانس، وقد أخذ عليه الرشيد ذلك، وهذا يدل على المكانة الأدبية والثقافية التي يتمتع بها الرشيد؛ حيث يستطيع بحسه وذوقه الأدبي أن ينتقد الشعراء ويكشف أخطاءهم، ويبين الصواب في ذلك.

7.5 المعنى:

تحدثنا فيما سبق عن الألفاظ ومكانتها عند الشعراء وعند الخليفة الرشيد من خلال الملاحظات النقدية في المجالس الشعرية التي تنصب عليها باعتبارها مقياساً للجودة ومعياراً للتفوق، أما المعاني فقد حظيت بدورٍ كبير في مجلس الرشيد باعتبارها أساساً نقدياً يتميّز به الشعراء، وكان للرشيد الدور الأكبر في الرد على الشعراء، وكانت أغلب الملاحظات النقدية تدور حول معاني المدح، و "لأن المعاني من روح الشاعر، ومن عقله، ولأنها تصور شعوره وتفكيره فكثيراً ما يكون في ذلك مآخذ"[2].

---

(1) المرزباني، الموشح، ص426.

(2) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص288-289.

وللخليفة الرشيد في هذا المجال دورٌ نقدي واضح؛ ومن ذلك أن أشجع السلمي دخل على الرشيد فأنشده قصيدته الميمية:

وعلى عدوك يا ابن عم محمدٍ رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته وإذا هدا سلت عليه سيوفك الأحلام

فلما بلغ هذين البيتين اهتز الرشيد، وارتاح، وقال : هذا والله المدح الجيد والمعنى الصحيح [1].

والشاعر في هذه الأبيات أحسن المدح؛ فقد مدح الرشيد بعمق قرابته من الرسول محمد r ، وقد أعجب الرشيد بهذا الشعر الذي مدح به معجباً بالمعنى الذي قاله الشاعر ومطلقاً حكماً نقدياً هو جودة المعاني وصحتها.

وكان الرشيد يطلق أحكاماً نقدية موجهة إلى معاني الشعر عند سماعه، ومعللاً ملاحظاته النقدية ومغيراً لها ومبيناً عيوب الشعراء في ذلك، ومن ذلك أن عَلُّوية الشاعر قد غنى الرشيد فقال:

يجحدن ديني بالنهار وأقتضي ديني إذا وقَذَ النعاس الرقدا
وأرى الغواني لا يواصلن امرأً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فدعا به الرشيد وقال له : يا عاض بظر أمهِأتغني في مدح المُرْدِ وذم الشيبِ وستارتي منصوبة، وقد شبت وكأنك تعرض بي[2].

فلقد غضب الرشيد على علوية في شعره، وهذا الشعر ليس لعلوية، وغنما هو لاعشى همذان، ولكن علُّوية تغنَّى به، الذي تبين للرشيد من خلال معانيه أنه هجاء له وذمٌ له في ذمه الشيب، وكان الرشيد قد شاب رأسه فظن أنه يقصده، وهذا يدل على قلة خبرة الشاعر، أو المغني في معرفة معاني الشعر، والرشيد يطلق حكماً نقدياً موضحاً له، ومعللاً ومبيناً الخطأ الذي وقع فيه الشاعر في مدح الأمراء وذم الشيب، ويمكن لهذه الملاحظات النقدية أن تعتبر من النقد المنهجي الموجه إلى المعاني الشعرية.

---

(1) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص251.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص252.

وكان الرشيد يسأل عن معانٍ معينة ليختبر قدرة الشعراء والنقاد على تخير الشعر ومعرفة معانيه، ومن ذلك أن الرشيد سأل الأصمعي يوماً "أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً؟ ودع النابغة فإنه يحتج ويعتذر، فقال: ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي حازم الأسدي"(1).

ونستشف من هذا الحوار النقدي بين الرشيد والأصمعي مذاهب بعض الشعراء فيما يخص المعنى، فكان النابغة يجمع بين الاحتجاج والاعتذار، وبشر بن أبي حازم يجمع بين الاعتذار والندم؛ فقد كان الرشيد يسأل الشعراء والنقاد اختباراً منه لمعرفة قدر ثقافتهم وإطلالهم على الأدب والشعر.

ومن ذلك أن الرشيد سأل الأصمعي : "ما معنى المثل في هذه الكلمة: بدياً قد انصف القارة من رماها "فقال الأصمعي : ذكرت العرب يا أمير المؤمنين أن التتابعة كانت لهم رُماة لا تقع سهامهم في غير الحذق، فكانت في الموكب الذي يكون فيه الملك، على الجياد البلق: بأيديهم الأسورة وفي أعناقهم الأطواق، فخرج في موكب الصفد فارس معلم بعذبات سود في قلنسوته، فوضع نشابته في الوتر ثم صاح : أين رماة الحرب؟ قالوا قد انصف القارة من رماها"(2).

ويتبدى من ذلك أن الرشيد كثيراً ما يسأل الشعراء والنقاد عن بعض المعاني الغريبة ليعرف مدى قدرتهم على المعرفة، وبدا ذلك واضحاً في سؤاله للأصمعي، ولقد كان الأصمعي على معرفة بالشعر ومعاني الألفاظ، وعلى معرفة بالأمثال ومعانيها؛ فقد سأله الرشيد عن معنى المثل فأجابه بسرعة موضحاً معنى الكلمة بالتفصيل والتحليل وموضحاً سبب إطلاقها وشارحاً لها، ويتبين أيضاً من هذا الحوار النقدي مدى حس الرشيد النقدي في اختبار الأصمعي، وسؤاله عن المعاني الغريبة.

وقد عرف الرشيد بحسه النقدي ومداخلاته النقدية الموفقة في نقد المعاني؛ ومن ذلك أن الأصمعي أنشده قصيدة النابغة:

أشمّ طويل الساعدين شَمَرْدل إذا لم يَرُحْ للمجد أصبح غاديا

فقال الرشيد: ويله، ولِمَ لَمْ يروحه في المجد كما أغداه، ألا قال:

إذا راح للمعروف أصبح غادياً.

---

(1) المرتضي، أمالي المرتضي، ج1، ص163.

(2) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج6، ص139.

فقال الأصمعي: أنت والله يا أمير المؤمنين في هذا أعلم منه بالشعر[1].

ونلاحظ أن الرشيد كان يرد على الشعر، ويبين خطأ الشعراء، ويعلل ذلك بآراء نقدية مصححاً تلك الأخطاء، ونلاحظ دقته في نقد قول النابغة؛ لأن الذي يروح ويغدو للمجد أحسن من الذي يكتفي بالغدو أو الرواح، والرشيد بهذا النقد للمعنى يكشف عن دقة حسه النقدي، وهذا النقد المنهجي المعلل في بيان خطأ الشعراء وتصحيح أقوالهم، وتبين الخطأ فيها يكشف عن موهبة عالية في النقد ومعرفة الشعر ومعانيه الجيدة من الرديئة.

ونجد الرشيد كثيراً ما يحادث جلساءه حول معنى من المعاني الشعرية؛ ومن ذلك أن الرشيد عندما سمع قول سعيد بن وهب الذي يقول:

رئمان جاءا فحكماني لا حُكم قاضٍ ولا أمير
هذا كشمس الضحى جمالاً وذا كبدر الدُجى المنير
وفضل هذا كذا على ذا فضلُ خميسٍ على عشيرِ
تباذلاً ثم قمت حتى أخذت فضلي من الكبير
وكان عيباً بأن أُراني أحرم حظي من الصغير

فدعا به فاستنشده إياها فتلكأ، فقال له: أنشد لا بأس عليك فأنشده فقال له: ويك اخترت الكبير سنا أو قدراً؟ قال بل الكبير قدراً، قال لو قلت غير هذا لسقطت عندي واستخففت بك[2].

والرشيد في هذه النظرة النقدية يسأل الشاعر ماذا يقصد بالكبير في مدحه سنا أم قدراً، وهذا السؤال موجه إلى المعاني؛ فالمفضل عند الرشيد ليس الكبير في السن وإنما الكبير قدراً، وهو بذلك يشير إلى الصفات المعنوية التي يجب أن يمدح بها الممدوح على علو قدره بين الناس، ومثل هذه النظرة الموجهة إلى المعاني تدخل ضمن النقد المنهجي المعلل؛ فالرشيد يعلل ذلك من خلال قوله: إن الكبير قدراً هو الذي يقدم وليس الكبير سناً، والشاعر كان حذراً من سؤال الرشيد، وكان على ثقافة عالية في سرعة إجابته؛ حيث أجابه: إنما أردت الكبير قدراً، ونستشف من ذلك دقة الرشيد في سؤاله الشعراء عن المعاني في شعرهم، وهذا يدل على ثقافة الرشيد الواسعة ومعرفته بمعاني الشعر وألفاظه.

---

(1) المرزباني، الموشح، ص93.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج20، ص356.

وقد كان الرشيد يستحسن معاني الشعر، ويسأل الشعراء إذا كان سبقهم إلى هذه المعاني أحد، ويحكم بذلك النقاد والشعراء أنفسهم، على ذلك ومن ذلك أن العباس بن الأحنف أنشده قوله:

إذا ما شئت أن تبصر شيئاً يعجب الناس:

فصور هاهنا فوزاً وصور ثم عباسا
وقس بينهما شبراً وإن زاد فلا باسا
فإن لم يدنوا حتى ترى رأسيهما رأسا
فكذبها وكذبه بما قاست وما قاسا

فاستحسنها الرشيد وقال: سبقك إلى هذا المعنى أحد؟ فقلت لا، فقال علي: الأصمعي، وكانت بيني وبينه نفرة فأخبره الرشيد باستحسان الشعر والمعنى، وسأله هل تعرف شيئاً؟ قال كثير[1].

ونستشف من هذا الخبر أن الرشيد قد عُرف بأسئلته في هذا المجال؛ فكثيراً ما يسأل الشعراء عن معاني الشعر، وهل سبقه أحد إلى هذه المعاني؛ ليتبين مدى قدرة الشاعر على الابتكار في الإتيان بمعاني جديدة، أو السرقة من شعر الآخرين، ويسأل عن هذه المعاني النقاد أو الشعراء إن كان سبقهم أحد إليها، ولكن بعض الشعراء أو النقاد كانوا يتعصبون على بعض الشعراء إذا سأل الخليفة بعض من يتعصبون عليه كما حدث مع العباس بن الأحنف؛ فالرشيد استحسن الشعر والمعنى ولكنه سأل إن كان أحدٌ سبقه إلى هذه المعاني فأكد الشاعر أنه لم يسبقه أحد إلى ذلك، وكان الأصمعي يتعصب عليه فقال إن هنالك كثيراً من الشعراء سبقوه إلى ذلك محاولاً تضليل الخليفة بأبيات ألفها على نسقها.

هذه المحاولات النقدية المنهجية التي يوجِّهها الرشيد إلى الشعراء من خلال السؤال عمن سبق الشاعر إلى هذه المعاني التي استحسنها مستعيناً بشاعر أو ناقد مثل الأصمعي، أو ممن ضم مجلسه من الشعراء والنقاد للتأكد من قول الشاعر مع التعليل لذلك.

وكان الرشيد يعرف المعاني التي تدور في نفوس الشعراء فيحاورهم لمعرفة تلك المعاني معللاً ذلك ومحللاً؛ ومن ذلك أن عبد الملك بن صالح دخل عليه فلم يلبث أن التفت إليه في المجلس متمثلاً بـ:

(1) ابن الجراح، الورقة، ص31.

أريــد حياتـــه ويريـــد قتلـــي عذيرك من خليلك من مُراد

ثم قال: أما والله لكأنني أنظر إلى شؤبوبها قد لمع وعارضها قد طمع، وكأني بالوعيد قد وقع، فأقلع عن براجم بلا معاصم، وجماجم بلا غلاصم، فمهلاً مهلاً والله يسهل لكم الوعر، ويعفو لكم الكدر ...قال عبد الملك :أفداً ما تكلمت أم تسوءاها ياأمير المؤمنين قال بل فذاً [1].

فالرشيد في هذا الموقف من عبد الملك بن صالح يحاول أن يكشف عن المعاني الخفية في نفس الشاعر ومعرفتها من خلال محاورات الشاعر في قول الشعر متهماً إياه بالغدر ومهدداً إياه ومتوعداً له ومعللاً ذلك من خلال بعض العبارات المسجوعة التي تكشف عما في خاطره.

وكان الشعراء يتنافسون أيهم أقدر على قول الشعر والقصائد ذات المعاني الجيدة والألفاظ المحكمة، ويكون الرشيد هو الحكم بينهم مطلقاً للأحكام النقدية المعللة للفصل بين الشعراء، ومن ذلك أن أبا العتاهية دخل على الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين هذا بن مناذرةٍ شاعر البصرة يقول قصيدة في سنة وأنا أقول في السنة مائتي قصيدة ... فقال ابن مناذرة: ما ذاك يا أمير المؤمنين، قال : زعم أنك تقول قصيدة في سنة، وأنه يقول كذا وكذا قصيدة في السنة، فقال: يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول:

ألا يــا عتبــة الســاعة أمــوت الســاعة الســاعة

لقلت منه كثيراً ولكني أقول:

إن عبد المجيد يوم تولى هدّ ركناً مــا كــان بالمهــدود

ما درى نعشه ولا حاملوه ما على النعش من عفاف وجود

فقال الرشيد: هاتها فأنشدنيها، فأنشده، فقال الرشيد ما كان ينبغـي أن تكـون هـذه القصيدة إلا في خليفة أو ولي عهد، مالها من عيب إلا أنك قلتها في سوقة، وأمر له بعشرة آلاف دينار، وكاد أبو العتاهية يموت غماً وأسفا [2] ويتبدى لنا من ذلك أن الشعراء كانوا يتنافسون في قول القصائد المحكمة؛ فالشاعر الجيد الذي يقول قصيدة في السنة لينقحها ويجودها ويحسن معانيها ويضبط ألفاظها، وكأن هؤلاء الشعراء يقلدون شعراء الجاهلية أصحاب الحوليات الذين يبقون قصائدهم حولاً كاملاً ينقحونها ويجودون ألفاظها ومعانيها؛

---

(1) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج2، ص22-23.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص140.

فالشعراء يهتمون بقصائدهم لتكون بالغة الجودة، وابن منازره في رده على أبي العتاهيــة يرى أنه لو أراد قول مثل هذه القصائد ذات المعاني السخيفة لقال مثلها كثيرا ولكنه أراد أن ينقح قصائده ويجود ها لتكون على جودةٍ عالية، وهو ينتقد أبا العتاهية لضعف ألفاظــه وسوء معانيه معللاً ذلك بأن يضرب مثلاً أحد أبيات قصيدة قالها أبو العتاهية؛ مســتهجناً قوله لضعف ألفاظها ومعانيها، وعندما قال قصيدته أمام الرشيد الناقد العالم بمحاسن الشعر ومعانيه الجيدة من الرديئة استحسن الرشيد قوله، وعلل ذلك بحســن معانيــه وصــياغة ألفاظه، ولكنه انتقد الشاعر لكون القصيدة قيلت في السوق، وقال له إن هذه القصيدة ينبغي أن تكون في خليفة أو ولي عهده، ونستشف أن تعليل الرشيد يَنصب على المعنى مطلقــاً الأحكام النقدية والملاحظات المعللة التي تدخل ضد من النقد المنهجي؛ فقدرةٍ الرشيد النقدية في الرد على الشعراء كبيرة؛ فقد كان حكماً بين الشعراء يأتيه الشعراء ليحكم بينهم وكانوا يرضون بحكمه الذي يطلقه لأنهم يعرفون قدرته على تمييز الشعر الجيد مــن الــرديء، وكأني أشبهه بالنابغة الذبياني الذي كان الشعراء يأتونه مـ ن كل مكان في ســوق عكــاظ ليميز بينهم.

ومن هذه النظرة النقدية عند الرشيد والمحاولات النقدية في مجلسه نرى أنها تخــرج بعض الأحيان عن إطار النقد الانطباعي الذاتي إلى النقد المنهجي الذي يعتمد على التحليل والتعليل بوجود ناقد فذ يعلم محاسن الشعر ومساوئه وعارفا بالألفاظ ومعانيها مثل الرشيد، ووجود جماعة من النقاد والشعراء في مجلسه؛ ممن مكن من أن تخرج هذه الملاحظات النقدية إلى النقد المنهجي الذي يعتمد التعليل مرتكزا في ذلك على معرفته بالألفاظ ومعاني الشعر، ومعتمداً على ذلك أيضاً في الرد على الشعراء وتبين أخطائهم معللا تـ لك الأخطاء ومبينا مواطن الضعف وموازنا بين شاعرية الشعراء في شعرهم من خلال جودة ألفاظهم وقوة المعاني في أشعارهم.

8.5 السرقات الشعرية

لقد تحدث النقاد عن هذه القضية وذهبوا فيها مذاهب شتى؛ وأول من نبه إلــى هــذه القضية ابن سلام، فقد تحدث عن سرقات الجاهليين والإسـ ـلاميين من الشعراء، وقام بــرد بعض الأشعار والمعاني المسروقة إلى أصحابها، وحاول تعليل هذه الظاهرة تعليلاً نقــدياً

بسيطاً كقوله: "وكان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان قليل الشعر جيده، وكانت غطفان تغير على شعره فتأخذه فتدعيه، ومنهم زهير بن أبي سلمى"[1].

وبلغ بابن قتيبة في حديثه عن السرقات، أنه لم يكد يترك شاعراً من الشعراء الذين ذكرهم في كتابة (الشعر والشعراء) إلا وأشار إلى شيءٍ من سرقاته، أو بين أحوال معانيه وأشعاره[2].

وتحدث الجاحظ عن هذه القضية وهو لا يرى بأساً في تناول الشاعر لمعنى سبقه إليه غيره، ولكن المقياس هو الجودة في السبك، أما المعاني فهي مشتركة بين الناس، ويقول في ذلك: "ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم إلى تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، ومعنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلا وكان كل من جاء بعده من الشعراء أومه، إن هو لم يغر على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنه لا بد أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه"[3].

ونستشف من موقف الجاحظ أنه يشير إلى أنواع السرقات عند الشعراء؛ منها ما يشترك مع الآخر في المعنى، ومنها ما يشترك بالألفاظ والتراكيب، أو يسرق الأشعار كاملة، وهذا هو السرقة الحقيقية.

وأشار المبرد إلى سرقة بعض الشعراء للمعاني البليغة، أو الأقوال المأثورة، فذهب بدوي طبانة إلى "أنه أول من فتح باب السرقات في النقد العربي"[4].

وتحدث ابن رشيق عن هذه القضية، وبين مواقع السرقة؛ وما هو مسروق من المعاني والألفاظ وما هو غير ذلك، فقال في كتابه العمدة : "والسرقة إنما هي في البديع المخترع الذي يخص الشاعر لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم؛ ومما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال : إنه أخذه من غيره، واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه معنى سبقه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات، وقال بعض الحذاق من المتأخرين : من أخذ معنى بلفظه كما هو

(1) موس، محمد خير شيخ، فصول في النقد العربي وقضاياه، دار الثقافة، المغرب، ص148.

(2) المرجع نفسه، ص148.

(3) الجاحظ، الحيوان، ج3، ص131، 132-311.

(4) طبانه، بدوي، دراسات في نقد الأدب العربي، ص248.

كان سارقاً، فإن غير بعض الألفاظ كان سالخاً، فإن غير المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه"[1].

وهو بذلك يشير إلى أن المعاني مشتركة بين الناس، ويتحدث عن أنـــواع الســـرقة؛ فالذي يأخذ من الآخر المعنى بلفظة فهذا سارق، والذي غير في الألفاظ التي يأخذها يكون سالخاً، والذي يغير المعنى أو يقلبه عن وجهه يكون حاذقاً، وهذا هو المهم، فهو يرى أن العملية الإبداعية هي اكتساب وامتداد لجهود الآخرين.

ونورد الآن مجموعة من النماذج الشعرية التي قيلت في مجلس الرشيد؛ لنقف علـــى جوانب هذه القضية؛ فكان الشعراء كثيراً ما يسطون علـــى معـــاني غيـــرهم فيأخـــذونها ويعبرون عنها بطرقٍ مختلفة، وكان سلَم الخاسر كثيراً ما يسطو على معاني الشـــعراء؛ ومن ذلك أنه دخل على الرشيد وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحيى فأنشده قوله فيه:

حضر الرحيلُ وشدت الأحداج

فلما انتهى إلى قوله:

نزلت نجوم الليل فوق رؤوسهم   ولكـــل قـــومٍ كوكـــب وهـــاجُ

فقال جعفر بن يحيى، أقلت الشعر حتى تمدح أمير المؤمنين بشعر قيل في غيره، هذا لبشار في فلان التميمي، فقال الرشيد ما:تقول يا سلم؟ قال صدق يا سيدي [2]، ونستشـــف من ذلك أن الشعراء كانوا يسرقون معاني بعضهم، ويضمونها إلى شعرهم؛ فسلم الخاسر سرق معاني بشار في مدح أحد الأشخاص من بني تميم ووضعها في شعره ليمـــدح بهـــا الرشيد، ولكن وجود عددٍ من النقاد وحفظة الشعر،ساعد على التنبيه على مواقع الســـرقة، وقد كان جعفر البرمكي ممن يحفظ ون الشعر، وكان يحفظ شعر بشار خاصة، فنبه ســـلم الخاسر إلى أنه سرق معاني بشار في شعره، وسأله الرشيد بوصفه قائداً للمجلس وناقده، إن كان ما يقوله جعفر صحيحاً وأنه سرق معاني بشار ووضعها في شعره فصدقه القول، فغضب عليه الرشيد، ويتبدى من ذلك أن الشعراء في عصر الرشيد   كانوا يسرق بعضهم بعضاً وقد كان للمجالس الشعرية الدور الأكبر في الكشف عن مثل هذه السرقات بوجـــود طائفة من رواة الشعر وحفظته ووجود طائفة من الشعراء والنقاد يحكمون على الشعراء إن كان شعرهم مسروقاً، موضحين مكان السرقة في الألفاظ أو في المعـــاني، أو ســـرقة

---

(1) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، ص1038-1039.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص291.

الألفاظ والمعاني معاً ومن ذلك أن الشعراء كانوا يسرقون قصائد بعضهم كاملةً، ولا يغيرون فيها شيئاً طمعاً في التقرب إلى الخليفة والحصول على الجوائز القيمة، وأحياناً يكون اتفاق بين الشاعر الذي يقول الشعر وأحد الأمراء أو المقربين من الخليفة؛ ومن ذلك أن الرشيد قال للعباس يوماً: يا عم إن الشعراء قد أكثروا في مدح محمد بسببي وبسبب أم جعفر، ولم يقل أحدٌ منهم في المأمون شيئاً، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه، فذكر العباس ذلك لأشجع السلمي، وأمره أن يقول فيه، وقبل أن نذكر الأبيات أود أن أشير إلى هذا الأمر الخطير، وهو أن العباس اتفق مع أشجع لقول القصائد، وهو يسرقها وينسبها لنفسه، ويرجع الكشف عن مثل هذه السرقات إلى صاحب الأغاني الذي كان له الدور الكبير في الكشف عن تلك السرقات، أما الأبيات فهي:

بيعة المأمون آخذةٌ   بعنان الحق في أفقه

أحكمت مراتها عُقداً   تمنع المختال في نفقة

لن يفك المرءُ ربقتها   أو يفك الدين من عنقه

وله من وجه والده   صورة تمت ومن خُلُقهِ

فأتى"بها العباس إلى الرشيد فأنشده إياها فاستحسنها، وسأله :لمن هي؟ فقال : هي لي فقال: قد سررتني مرتين، بإصابتك ما في نفسي وبأنها لك، وما كان لك فهو لي، وأمر له بثلاثين ألف دينار، فدفع لأشجع منها خمسة آلاف درهم، وأخذ الباقي"[1].

ويتبدى لنا من خلال هذا الخبر أن الشعراء كانوا يلعبون دوراً كبيراً في إثارة السرقات الشعرية، وبدا ذلك واضحاً في إعطاء أشجع السلمي قصيدةً قالها في الأمين بن الرشيد إلى العباس لينسبها لنفسه مقا بل مبلغ من المال، وأدى ذلك إلى ضياع كثير من الشعر بسبب نسبته لغير أصحابه، وهذه قضية مهمة كان لصاحب الأغاني دورٌ كبيرٌ في الكشف عنها كما ذكرنا آنفاً، وقد كان الرشيد على معرفة بالغة في الشعر وأصحابه، ولكنه في مثل هذا الموقف كان يثق بعمه العباس، وكان لا يتوقع منه أن يسرق شعر الآخرين ليقوله في مدح الأمين ابنه، وهذا يظهر مدى جشع الشعراء والأمراء في مجلس الرشيد للحصول على المكانة العالية، والجوائز الكثيرة؛ لأن الرشيد كان يكرم الشعراء، ويجزل لهم العطاء تحفيزاً على قول الشعر وارتجاله، ولكن الرشيد كان له موقف صادق في هذه القضية؛ فكان يحيل كثيراً من قصائد الشعراء إلى النقاد ومن ضم مجلسه ليحكموا

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص158.

عليها؛ ومن ذلك أن العباس بن الأحنف دخل على الرشيد وأنشده قصيدة فاستحسنها الرشيد وسأله قائلاً : هل سبقك إلى هذا المعنى أحد فأجاب الشاعر لا، ولم يقتنع الرشيد بإجابته حتى أرسل إلى الأصمعي، فسأله عن ذلك [1]، والرشيد خبيرٌ بمسالك الشعراء في سرقة معاني غيرهم، وإذا كان يفوته شيء منها يسأل عنه من ضم مجلسه من النقاد أو الشعراء أمثال الأصمعي وغيره للتأكد من قول الشعراء للقصائد ونسبتها لأنفسهم، أو سرقة معاني غيرهم وألفاظهم،، وهكذا كان للمجالس الشعرية دورٌ كبير في التنويه إلى مسألة السرقات الشعرية، ولكن في مثل الخبر السابق حيث اتفاق العباس وأشجع، يعجز النقاد في مجلس الرشيد عن كشف مثل هذه السرقة الخطيرة؛ لأن الشعر واضح ولم يقله شاعر من قبل، فأدى هذا الأمر إلى شيوع السرقة بسبب سطوة أصحاب السلطة النفوذ في الدولة على أشعار غيرهم ونسبتها لأنفسهم، ولكن أبا الفرج الأصفهاني استطاع بتتبعه للروايات أن يكشف عن مثل هذه السرقات، وينوه عليها.

ومن أنواع السرقات "قلب المعنى" وهذا مختلف فيه؛ أهو من باب السرقة أم لا، وقد قال أبو هلال العسكري : "قد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم، فليس على أحد فيه عيب إلا إذا أخذه فأفسده وقصر فيه عمن تقدمه"[2].

ومن ذلك أن النمري أنشد الرشيد قوله:

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم ... وإلا فالندامة للكفور

وإن قالوا بنو بنتٍ فحق ... ورُدوا ما يناسب للذكور

وقال مروان بن أبي حفصة:

ماولبني بناتٍ من تراثٍ ... مع الأعمام في ورق الزبور

قال النمري:

أنى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البناتِ وراثة الأعمام

فكان مروان يتأسى على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه النمري، فأعطى الرشيد النمري سبعين ألف درهم، وأعطى مروان مائة ألف[3].

---

(1) ابن الجراح، الورقة، ص32.

(2) أبو هلال العسكري، (ت395هـ)، الصناعتين (الكتاب والشعر) تحقيق : محمد علي البجاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ص218.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج13، ص192.

ويتبدى في بيت مروان أنه يتشابه مع بيت النمري، ولكن هل يكــون ذلــك ســرقة؛ فالعسكري في القول السابق أشار إلى أن تداول المعاني بين الشعراء ليس عيبــاً، ولكــن العيب أن يقصر الشاعر في معاني عمن تقدمه، ونلاحظ أن مروان لم تقصر معانيه عن معاني النمري، وقد أعطى الرشيد مروان مائة ألف والنمري سبعين ألف.

وقد كان هنالك طائفتان وراء إثارة قضية السرقات الشعرية في مجلس الرشيد، هما : الحساد الذين يتنافسون على المراتب وإظهار المعرفة، والنقاد من أدباء وكتاب ونحــوهم، ومن الشواهد التي تدل على ذلك أن العباس بن الأحنف عندما أنشد الرشيد:

إذا مــا شــئتَ أن تُبــــ ـــصرَ شــيئاً يعجــبُ الناســا

فصَــوِّر هاهنــا فــوزاً وصــــوِّرْ ثـــمَّ عباســـا

استحسنها الرشيد، وسأل عنها الأصمعي إن كان أحدٌ ســبقه إلــى معانيهــا، وكــان الأصمعي يتعصب على العباس بن الأحنف، وكان حاسداً له وحاقداً عليه، فقال للرشــيد جواباً على سؤال كثيرٌ : يا أمير المؤمنين، واصطنع قصيدة على نفــس معانيهــا ونفــس الوزن والقافية فقال:

يعجـــب البشـــرا ويعجـــب الخلقـــا

وأتمها على هذا، وزعم أنه سمعها مذ دهرٍ، فلما خرج سأله العباس بــن الأحنــف : ألست الذي صنعتها؟ قال بلى: بلى والله"[(1)].

ونستشف من ذلك أن النقاد كانوا يتهمون الشعراء بسرقة معــاني غيــرهم؛ بســبب العصبية الموجودة بينهم، وبسبب الحسد والحقد بينهم، والأصمعي في النمــوذج الســابق يمثل ذلك خير تمثيل، ويتبدى لنا مما سبق ما كان يدور فــي المجــالس الشــعرية مــن مواجهات بين الشعراء والنقاد، يغذيها الحسد ويذكيها التنافس، وقد كانت السرقة مأخذاً من المآخذ التي يوجها النقاد إلى الشعر، ولقد كانت السرقة من المآخذ التي تسبب قلقاً للشعراء لكثرة الوقوع فيها.

وقد كان للغناء دورٌ كبيرٌ في الإشارة إلى السرقات الشعرية؛ فكثيراً ما يعمد المغنــي إلى أبياتٍ من الشعر تعجبه فيضيف إليها أبياتاً أخرى لشاعر آخر تتفق معها في الــوزن

(1) ابن الجراح، الورقة، ص32-33.

والقافية يصنع فيها صوتاً جميلاً أو لحناً، ويكون هذا دافعاً لسرقة ألفاظ غيــره ومعانيــه ليصنع فيها لحناً يغنيه[1].

وكان المغنون يسرقون أشعار بعضهم وألحانهم، وينسبونها لأنفسهم؛ ومن ذلك يقول إسحاق الموصللي: أباه غنى الرشيد في مجلسه ألحاناً في شعر طريح بــن إســماعيل وهو:

قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا

فاستحسن الرشيد اللحن والشعر، واستعاده، ووصل أبي عليه، فقال جعفر بن يحيى: قد والله يا سيدي أحسن، ولكن اللحن مأخوذ من لحن الدلال الذي غنى في شعر أبي زبيد:

من يرى العير لابن أروى على ظهر المــــروري حــــداتهن عجـــالُ

وأما الشعر فنقله طريح من قول زهير:

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم فلم يبلغوا ولم يلاموا ولم يألوا

فقال إسحاق: فعجبت والله من علمه بالألحان والأشعار، وإذا اللحن يشبه لحن الدلال، وكذلك الشعر، فاغتممت أني لم أكن فهمت اللحن[2].

ويتبدى من هذا الخبر أن المغنين كانوا يسرقون أشعار بعضهم، وينسبونها لأنفســهم، ولكن عدداً من حفظة الشعر والألحان؛ مثل جعفر البرمكي في مجلــس الرشــيد كــانوا يوجهون الاتهامات إلى المغنين بالسرقة من أشعار غيرهم وألحانهم معللين ذلك ومثبتــين هذه الاتهامات، ونلاحظ ذلك من قول الفضل لأبي إسحاق، فالشعر مسروق من قول زهير بن أبي سلمى واللحن مسروق من لحن الدلال، وهذه سرقة واضحة، وقد تحــدث عبــد القاهر الجرجاني عن مثل هذه السرقة فقال: "فإنه ليس يتصور مثل ذلك في الكلام؛ لأنه لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر أو فصل من النثر فتؤديــه بعينــه وعلــى خاصيته، بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك لا يخالفــه فــي صفة ولا وجه، ولا أمر من الأمور"[3].

فنجد الشاعر غيّر في ألفاظ بيت زهير، ولكنه لم يغير المعنى؛ فالصورة التعبيرية هي نفسها والمعنى نفسه.

---

(1) موس، محمد خير، فصول في النقد العربي وقضاياه، ص82-83.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص326.

(3) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، ص261.

وكان المغنون يسرقون ألحان بعضهم، ويحكم بينهم الرشيد في مجلسه، ومن ذلك أن إبراهيم الموصلي غنى الرشيد:

ألا رب ندمانٍ علـــي دموعـــه تفيض على الخدين سحاً سجومها

فلما سمعه الرشيد استحسنه، وقال : لمن هذا الصوت يا إبراهيم؟ قال لي، فقال إبراهيم المهدي كذب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديم وأنا أعرفـــه، فغضـــب الرشـــيد علـــى الموصلي وقال لها :ابن الفاجرة أتكذبني وتدعي ما ليس لك [1]، ونستشف من ذلـــك أن المغنين كانوا يسرقون الألحان والأصوات وينسبونها لأنفسهم، ولقد كان الرشـــيد يســـألهم عن نسبة الصوت، ولكنهم يصرون أنه لهم، ثم يوجه السؤال لمن في المجلس ليتأكد من صدق ما يقولون؛ فإن ثبت كذبهم وأن الصوت مسروق يغضب عليهم، ولا يحصل أحـــدٌ منهم على شيء لغضب الخليفة عليه؛ فقد كان الرشيد يغضب من سرقة المغنين أصوات غيرهم، ونسبتها لأنفسهم.

وكان الشعراء والمغنون يحسدون أنفسهم ويتعصبون على بعضهم لأســـباب عديـــدة؛ منها الحسد، فإذا أنشد الشعر أو الغناء ممن لا يروق لهم حاولوا أن يتهموه بالسرقة أمـــام الخليفة ليحرمه من العطاء؛ ومن ذلك ما قاله حماد عن أبيه أن المغنيّن كانوا يحســـدونني منذ كنت صغيراً، فلما مات أبي صنعت هذا الصوت.

أمن آل ليلى عرفت الطلولا بذي حرض ماثلاتٍ مثـــولا

فقالوا للرشيد، هذا من صنعة أبيه، وقد سرقة، . فقال الرشيد امتحاناً منه له: اصنع في شعر الأخطل:

أعاذلتي اليوم ويحكما مهلاً وكفا الأذى عني ولا تكثرا العذلا

فصنعته فيه فلما سمعوا ذلك أذعنوا وزال من قلب الرشيد ما كان[2].

ويتبين لنا من ذلك أن الشعراء كانوا يتهمون بعضـــهم بالســـرقة؛ لـــدواعي الحســـد والتعصب على بعضهم، ويكون الخليفة هو الحكم في ذلك، فلقد كان للخليفة الدور الأكبر في هذه القضية بأن يختبر المغنين، ونلاحظ ذلك من سؤال الرشيد لحماد أن يصنع فـــي شعر الأخطل، وقد حدد ذلك بأن طرح عليه بيتاً للأخطل، وأمره أن يصنع فيه، فصنع في ذلك، فأيقن الرشيد أنه ليس بسارق وأن الشعراء اتهموه بذلك، وهكذا شاعت قضية السرقة

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص172.

(2) المصدر نفسه، ص333.

في سرقة المغنين أصواتاً وألحاناً ليست لهم، وينسبونها بأكملها لأنفسهم، أو قد يغيــرون بعض الألفاظ والمعاني، وكان المغنون يغيرون على ألحان بعضهم فيسرقونها، ويــدّعون نسبها لأنفسهم طمعاً في التقرب من الخليفة ونيل العطايا؛ ومن ذلك أن إبراهيم المهدي أخا الرشيد وأحد الأمراء سرق شعر إبراهيم الموصلي ولحنه؛ فقد طلب الرشيد من الشــعراء والمغنين في مجلسه أن يقول كلُ واحدٍ منهم شعراً، ويصنع فيه لحنــاً، وكــان إبــراهيم المهدي يحب أن يب اكر الرشيد بقول الشعر فلم يقدر على صناعة الشعر ولا اللحن فذهب إلى دار الموصلي، وكان الموصلي قد قال له مرةً أنه إذا أراد أن يصنع صوتاً لم ينم، فلما دخل إبراهيم دار الموصلي سمعه يردد هذا الصوت:

إذا سُكبت في الكــأس قبــل مزاجهــا ترى لونها في جلدة الكأس مــذهبا

وإن مزجــت راعــت بلــون تخالــه إذا ضُمنته الكأس في الكأس كوكبا

فسرقه وذهب إلى الرشيد، وأنشده إياه، وكان الموصلي في المجلس فقال هذا الشعر قلته البارحة، وغنيتُ فيه ما سبقني إلى أحد، فقال إبراهيم : فمن أين هو لي لــولا كذبــه وبهته[1].

ويتبين لنا أن المغنيين يسرقون ألحان بعضهم، وقد وصل الأمر بإبراهيم المهدي أخي الرشيد أن أخذ شعر الموصلي ونسبه لنفسه، واتهمه بالكذب، فكانت هذه الظــاهرة مــن الأمور التي ساعدت على السرقات الشعرية وانتشارها، ويرجع الفضل فــي بيــان هــذه السرقات ورد الشعر أو الغناء لأصحابه إلى صاحب الأغاني أبي الفر ج الأصفهاني الذي تبين لي من خلال دراستي في كتابه الأغاني أنه أسهم إسهاماً كبيراً في موقفه من قضــية السرقات، ورد الشعر لأصحابه، ومن الأسباب الأخرى التي شــجعت علــى الســرقات الشعرية جهل كثيرٍ من الأمراء أو الشعراء أو الأعيان للأشعار التي قيلت فيهم؛ ومن ذلك أن الرشيد سأل يزيد بن مزيد: من الذي يقول:

تراه في الأمن فــي درعٍ مضــاعفةٍ لا يأمن الدهر أن يدعى على عجــلٍ

لله مــن هاشــمٍ فــي أرضــه جبــلٌ وأنــت وابنــك ركنــا ذلــك الجبــلِ

فقالا: أعرف يا أمير المؤمنين، فقال له : سوءة من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله إنه مسلم بن الوليد[2].

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص216-217.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص318-319.

فقد كان كثيرٌ من الأعيان في قومهم يجهلون الشعر الذي قيل فيهم من مدح وغيره، وقد كانت مثل هذه الأشعار فريسةً سهلة للشعراء ليسرقوها وينسبوها لأنفسهم ويمدحوا بها من يشاءون، فكان الرشيد يحرض أولئك على حفظ الشعر وأصحابه لكي لا تنتشر مسألة السرقات.

وكان الشعراء يظهرون كذب بعض السارقين موضحين للرشيد ذلك؛ ومن ذلك أن إسحاق الموصلي قال للرشيد أتحب أن أظهر لك كذب يحيى فيما ينسبه من الغناء؟ قال : نعم، قال: أعطني أي شعر شئت حتى أصنع فيه، واسألني بحضرة يحيى عن نسبته فأعطاه شعراً، فصنع فيه لحناً وغناه الرشيد، ثم قال له : يسألني أمير المؤمنين عن نسبه بين يديه، فلما حضر يحيى غناه إسحاق فسأله الرشيد لمن هذا اللحن فقال إسحاق : لغناديس المديني فقال الرشيد ليحيى أكنت لقيت غناديس المديني قال، نعم وسمعتُ منه صوتين، فحلف الموصلي بالطلاق ثلاثاً أن الله ما خلق أحداً اسمه غناديس[1].

فلقد شاع في عصر الرشيد السرقات الشعرية، وخاصة سرقة الأصوات والألحان؛ فكان كثير من الشعراء والمغنين يسرقون شعر بعضهم وغناءَهم، وكان للخليفة الرشيد ومجلسه دورٌ كبير في الكشف عن السرقات وردها، ورد الأشعار إلى أصحابها؛ فلقد كان الرشيد وكما ذكرنا سابقاً عالماً بالشعر، وحافظاً لكثيرٍ منه وعارفاً للأصوات وأصحابها؛ مما جعله يلعب دوراً كبيراً في الكشف عن السرقات، ورد الأشعار إلى أصحابها، وكذلك الأصوات، وكان أيضاً للمجلس الدور نفسه، وقد كانت قضية السرقات مثاراً للجدل بين النقاد، وكانت هذه محاولة لتوضيح ما يتعلق بقضية السرقات في مجلس الرشيد.

9.5 البديهة والارتجال:

سوف نتحدث عن هذه القضية باعتبارها معياراً نقدياً ومقياساً فنياً،ويختلف الشعراء في إجادة أشعارهم على البديهة؛ فمنهم من يحسن ذلك، ومنهم من يخفق في ذلك، ومن البديهة والارتجال يمكن الحكم على الشعراء أيهم أكثر قدرة وحضوراً على ارتجال الشعر وقوله؛ فكان النقاد والرشيد يشيدون بأصحاب البديهة والارتجال، ويكون لهم في مجلسه مكانةٌ خاصة، على اعتبار أنهم يتمتعون بحظ وافر من الذكاء والفطنة وحسن التصرف.

أما عن تعريف البديهة والارتجال:

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج6، ص179.

فيقول ابن رشيق : "إن البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة من بلدنا، أو من أهل عصرنا هي الارتجال وليست به؛ لأن البديهة فيها الفكرة والتأييد، والارتجال ما كان انهمارا وتدفقاً، لا يتوقف قائلهُ "[1] ونستشف من ذلك أن البديهة هي الفكــرة فــي ارتجال الشعر، أما الارتجال فما ما كان يـ نهمر على الشاعر بسرعة من قــول الشــعر؛ فالشعر عنده لا يتوقف.

ومن ذلك أن الشعراء اجتمعوا على باب الرشيد، فأذن لهم وقال : أجيزوا هذا القســيم وله حُكمة؟ قالوا: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال:

الملك لله وحده

فقال الجماز:

وللخليفة بعده

وللمحـــــــــــب إذا مـــــــــــا حبيــــــــــه بــــــــات عنـــــــــده

فقال له: أحسنت وأتيت ما في نفسي، فأمر له بعشرة آلاف درهم[2].

فالرشيد يكرم الشاعر لإصابته ما في نفسه وحسن بديهته وسرعة ارتجاله للشعر؛ فقد كان الرشيد يعجب بسرعة الشعراء في ارتجال الشعر؛ فكان يمتحنهم على ذلك ففي الخبر السابق أعطىالرشيد الشعر اء قسيماً من الشعر، وأمرهم بأجازته، فكان الجماز أسرعهم في ارتجال الشعر، فأصاب ما يريده الرشيد فأجزل الرشيدُ له العطاء.

وقد كان الرشيد كثيراً ما يطلب من الشعراء في مجلسه قول الشعر فــي مواضــع يقترحها عليهم ليمتحن قدرتهم على البديهة والارتجال، فيقدم منهم ويؤخر من يتأخر؛ ومن ذلك أن الرشيد قال لأبي الغول أحد الشعراء : إن في نفسي من شعرك شيئاً، فلو كشــفته على البديهة، فقال : والله ما أنصفتني أمير المؤمنين، قال : ولم؟ قال: هــذا امتحــان، فالتفت الشاعر وإذا الأمين قائم عن يمينه، والمأمون عن يساره فقال:

بنيـــت لعبـــد الله بعـــد محمـــدٍ ذرا قبة الإسلام فـ اخضر عودها

همـــا طُنباهـــا بـــارك الله فيهمـــا وأنت أمير المؤمنين عمودهـــا

فقال الرشيد: وأنت بارك الله فيك، أحسنت وأجدت، وقال له: أنت شاعرٌ مقتدر[3].

---

(1) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص710.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص710.

(3) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص149.

ويتبدى من ذلك قدرة الشاعر على وصف الرشيد وأبنائه، وقدرتـــه علـــى ارتجـــال الشعر، وإصابة مـ ا في نفس الرشيد، ونلاحظ أيضاً أن الرشيد كان يكلف الشـــعراء فـــي مجلسه القول في مواضع يقترحها عليهم، ويهدف من ذلك إلى امتحان الشعراء واختبـــار قدرتهم على الابتداء والارتجال، ويميز بين الشعراء أيهم أقدر علـــى ارتجـــال الشـــعر وإصابة ما في نفسه.

فقد اجتمع عنده الشعراء فمـ نعهم من الدخول عليه وأمر الحاجب أن يخرج إلـــيهم ولا يدخل عليه، إلا من كانت له القدرة على أن يمدحه بالدين والدنيا، فدخل عليه ابـــن أبـــي العلاء وأنشده:

أغيثـــا تحمـــل الناقـــة　　　أم تحمـــل هارونـــــا

أم الشـــمس أم البـــدر　　　أم الـــدنيا أم الـــدينا

فأجزل الرشيد له العطاء[1].

فالشاعر قد أحسن ارتجال الشعر، وإصابة ما أراده الرشيد من مدحه بالدين والـــدنيا، فكان الشاعر قوي البديهة سريعاً في ارتجال الشعر، وقد أعجب الرشيد بذلك.

وقد كان الشعراء في مجلس الرشيد على قدرة عالية في ارتجال الشعر، ومن هؤلاء الشعراء أبو نواس، ومن ذلك أن أبا نواس عنـ دما سمع قول الإمام في الصلاة (أَرَأَيتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ)[2].

قال:

وَفَـــرَا مُعلنـــاً ليصـــدع قلبـــــي　　　والهـــوى يصـــدع الفـــؤاد العزومـــا

أرأيـــت الـــذي يكـــذب بالـــدي ن　　　فـــذاك الـــذي يـــدعُ اليتيمـــا

فتعجب الناس من قوة بديهته[3].

ونلاحظ من ذلك أن الشعراء كانوا يرتجلون الشعر ليبينوا للناس قدرتهم على ارتجال الشعر في أي مناسبة.

---

(1) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص150-151.

(2) سورة الماعون، آية1.

(3) ابن المعنز، طبقات الشعراء، ص206.

ومن ذلك أيضاً أن العماني كان سريعاً في ارتجال الشعر؛ فقد دخل على الرشيد ومجلسه حافلٌ بالشعراء فقال:

قل للإمام المقتدى بأمه ما قاسمٌ دون مدى ابن أمه

وقد رضيناه فقم فسمه

فتبسم الرشيد، وقال : ويحك، أما رضيت أن أوليه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلي(1).

فالشاعر امتاز بسرعة ارتجاله للشعر، وحسن بديهته؛ فقد علم ما في نفس الرشيد فأشار في شعره أمام الرشيد أن يقوم ويولي القاسم العهد، فأعجب الرشيد من سرعة بديهته.ويتبين من ذلك القدرة العالية و السرعة في ارتجال الشعر وحسن البديهة، وقد كان الرشيد حسن البديهة في معرفة ما يدور في نفوس الشعراء؛ فقد دخل عليه أشجع السلمي ومجلسه حافل بالشعراء يوم الجمعة، وكان يريد أن ينشده قصيدةً في التشبيب، وقد خاف أن يبدأ قصيدة بالتشبيب فتجب الصلاة ويفوته المدح، فبدأ بالمدح فقال:

إلى ملك يستغرق المال جوده مكارمه نثرٌ ومعروفه سكب

إلى أن وصل إلى قوله:

جهدت فلم أبلغ علاك بمدحةٍ وليس على من كان مجتهدٌ عتب

فضحك الرشيد وقال له :خفت أن يحضر وقت الصلاة فينقطع المدح عليك فبدأت به وتركته التشبيب(2).

ويتبدى من ذلك أن الرشيد كان عارفاً بما يدور في نفوس الشعراء، ويجول في خواطرهم، وكان ناقداً بارعاً عارفاً بمعاني الشعر وأغراضه؛ فقد عرف عدول الشاعر عن التشبيب وابتدائه بالمدح خشية أن يأتي وقت الصلاة فينقطع عليه المدح؛ فقدم المدح على التشبيب ليحظى بعطاء الرشيد، وكان الشاعر حسن البديهة في استبدال التشبيب؛ كي لا يأتي وقت الصلاة وينقطع عنه المدح.

وكان الرشيد إذا اجتمع مع الشعراء يمتحنهم ويميز بينهم أيهم أسرع في ارتجال الشعر، وأحسن بديهة وأسرع نظماً للشعر، وهنا تكون البديهة معياراً نقدياً وفي ذلك يقول

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص285.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص194.

حازم القرطاجني "إنما يحكم بتفضيل أحد الشاعرين على الآخر إذا عرف أن عليهما نظم شعره على حالٍ واحدة"[1].

ومن ذلك أن الرقاشي ومصعباً وأبا نواس اجتمعوا عند الرشيد، فقال لهم : أجيزوا كلام الليل يمحوه النهار، فقال مصعب والرقاشي أبياتاً لم تناسب المقام، وأصاب أبو نواس المقام فقال:

وخود أقبلت في القصر سكرى ... وزين ذلك السكر الوقار

وقد سقط الرداء عن منكبيها ... من التجيش وانحل الإزار

وهز الريح أردافا ثقالا ... وغصناً فيه رمانٌ صغار

فقلت:

الوعد سيدتي فقالت ... كلام الليل يمحوه النهار

فأعجب الرشيد بذلك، وقال: كأنك كنت حاضراً معنا[2].

ويتبدى من ذلك أن الرشيد كان يميز بين الشعراء أيهم أقدر على ارتجال الشعر، وأيهم أحسن بديهة في معرفة ما يقصده، وما يدور في نفسه، وكان أبو نواس قوي البديهة والارتجال، لا يكاد ينقطع، ولا يروي إلا قلته، فالشعراء كانوا يختلفون في سرعة ارتجال الشعر وقوة البديهة عند الطلب منهم قول الشعر في موقفٍ معين[3].

وكثيراً ما كان الرشيد يكلف الشعراء أن يقولوا شعراً ليمتحنهم ويميز بينهم، ويكون هو الحكم والناقد بينهم؛ ومن ذلك أن مسلم بن الوليد دخل عليه فنظر إليه الرشيد وقال : يا مسلم ألست القائل:

أنس الهوى ببني عليٍّ في الحشا ... وأراه يطمح عن بني العباس

فقال: بل أنا الذي يقول يا أمير المؤمنين

أنس الهوى ببني العمومة في الحشا ... مستوحشاً من سائر الإيناس

وإذا تكاملت الفضائل كنتمُ ... أولى بذلك يا بني العباس

---

(1) القرطاجي، حازم، مناهج البلغاء، ص270.

(2) فروة، علي، طرائف النساء والجواري، موسوعة الأدب الضاحك، رياض الريس للكتب والنشر، ص5.

(3) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص353.

فأعجب هارون الرشيد من سرعة بديهته، وقال له بعض جلسائه: استبقه يا أمير المؤمنين فإنه من أشعر الناس، امتحنه فسترى منه عجباً[1]، ونلاحظ أن الرشيد كثيراً ما يمتحن الشعراء ليميز بينهم، وكان الشعراء سريعين في ارتجال الشعر وعلى بديهة قوية، فنلاحظ أن مسلم بن الوليد عرف أن الرشيد كان غاضبا عليه عندما سأله عن قوله في بني العباس فسارع إلى تغيير البيت من الهجاء إلى المدح، فغير بعض ألفاظه وزاد في معانيه، وهذا يدل على حسن بديهته وسرعته في ارتجال الشعر، فقد استطاع بحسن بديهته وسرعة خاطره، أن ينجو من عقوبةٍ محققة، ولم يحل خوفه من الرشيد دون تدفق قريحته. وقد قال ابن رشيق في مثل هذا الموقف: "أفضل البديهة بديهة أمن وردت في موضع خوف"[2].

فهو يشير إلى أن الشعر المرتجل أفضل ما يكون إذا كان الشاعر خائفاً.

وقد كان الرشيد يحب أن يجالس الشعراء ويمتحنهم، وكان الشعراء يتهم بعضهم بعضاً بالتشيع، فيحاول الرشيد أن يكشف عن صدق هذه الاتهامات من خلال سؤال الشعراء أنفسهم عن ذلك؛ فقد رُمي مسلم بن الوليد وأنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة بالتشيع، فأمر الرشيد بإحضارهما وكان مسلم بن الوليد شاعراً فذاً، فأراد الرشيد أن يختبره فقال له: قل شعراً في أنس، فقال: يا أمير المؤمنين أفرخ روعي، أفرخ الله روعك يوم الحاجة إلى ذلك، فإني لم أدخل على خليفة قط، ثم أنشأ يقول:

تلمظ السيف من شوقٍ إلى أنسٍ فالموت يلحظ والأقدار تنتظرُ

فليس يبلغُ منه ما يؤمله حتى يؤامر فيه رأيك القدرُ

فأجلس هارون وراء ظهره لئلا يرى ما هم به، حتى إذا فرغ من قتل أنس قال له: أنشد أشعر شعر لك فأنشده، فلما فرغ قال له: أنشدني قصيدتك في الوحل فقال:

أديرا علي الراح لا تشربا قبلي ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي

حتى انتهى إلى قوله:

إذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشت به مشي المقيد في الوحل

---

(1) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص45.

(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص353.

فضحك الرشيد وقال: ويحك يا مسلم، أما رضيت أن قيدته حتى يمشي في الوحل ثم أخلى سبيله[1].

فالشاعر في هذه الأبيات حاول استمالة قلب الرشيد ليعطف عليه ويخلي سبيله، فكان يقول أحسن شعره للتخلص من غضب الخليفة عليه؛ فقد تميز ببديهةٍ عالية، وكان سريعاً في ارتجال الشعر، وهذا الموقف يتوافق مع قول ابن رشيق السابق أن الشاعر أقدر على ارتجال الشعر إذا كان خائفاً، ونلاحظ أن الرشيد كان يمتحن الشعراء، ويحثهم على أن يقولوا الشعر في مناسبةٍ معينة؛ فقد لاحظنا من الخبر السابق أن الرشيد أمر الشاعر بأن يقول في أنس، ثم أمره أن يقول في الوحل، وقد استحسن الرشيد شعر مسلم وسرعته في الارتجال وقوة بديهته فأمر بإخلاء سبيله.

وقد كان مسلم وأبو نواس أقدر الشعراء في عصرهما على ارتجال الشعر، ويقول ابن رشيق: "سمعت جماعة من العلماء يقولون: كان مسلم بن الوليد نظير أبي نواس، وفوقه عند قومٍ من أهل زمانه في أشياء، إلا أن أبا نواس قهره بالبديهة والارتجال، مع تقبض كان في مسلم وإظهار توقرٍ وتصنع، وكان صاحب رؤية وفكرة"[2].

وقد كان الشعراء على بديهة عالية في معرفة ما يدور في نفس الخليفة؛ ومن ذلك أن منصور النمري قال للرشيد:

وإنك حين تبلغهم أذاه   وإن ظلموا لمحترق الضمير
ألا لله در بني عليٍّ   وزور من مقالتهم كبير
يسمون النبي أباً ويأبي   من الأحزاب سطرٌ في سطور

يريد قول الله عز وجل (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ)[3] فقال الرشيد لما سمع قوله:

وإنك حين تبلغهم أذاه   وإن ظلموا لمحترق الضمير

ويحك، ما هذا؟ شيء كان في نفسي منذ عشرين سنة لم أقدر على إظهاره، فأظهرته بهذا البيت[4].

---

(1) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص45.

(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص353.

(3) سورة الأحزاب، الآية40.

(4) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص245.

فنلاحظ قدرة الشاعر على ارتجال الشعر، وحذقه وقوة فطنته وبديهته في قول الشعر، حتى أنه أصاب ما في نفس الرشيد منذ عشرين عاماً، حيث قال في بيت واحد ما لم يقدر الرشيد على قوله، وهذا يدل على ثقافة الشاعر وحسن البديهة.

ولا نستطيع أن ننكر قوة الشعراء على ارتجال الشعر، وقوة فطنتهم وذكائهم وقدرتهم على ذلك فما يأتون به من إجابات مذهلةٍ تجعلنا نسلم لهم بالذكاء المتميز والقـدرة علـى الإجابة عند كل مناسبة [1]، ويمكن القول إن الشعر المرتجل يخلو مـن أمـور جوهريـة ينهض بها الشعر المروي من قبل شعراء ماهرين في هذه الصنعة .

وقد كان الشعراء على قدرةٍ كبيرة في ارتجال الشعر وقوة البديهة، وكان أبو العتاهية جليس الرشيد المفضل أقدر الناس على الارتجال والبديهة؛ لقرب مأخذه وسهولة طريقه، وقد سُئل عن ذلك فقيل له أمّا يصعب عليك شيء من ا لألفاظ فتحتاج فيه إلى اسـتعمال الغريب كما يحتاج إليه سائر من يقول الشعر، أو إلى ألفاظ متكرهة؟ قال : لا، فقيل له: ألا تحسب ذلك من كثرةِ ركوب القوافي السهلة؟ فأعرض عن ذلك وقيل له قل أبياتاً على مثل البلاغ فقال من ساعته:

أي عيشٍ يكون أبلغ من عيـ ـش كفافٍ قُوتٍ بقدر البلاغِ
صاحب البغي ليس يسلم منهج وعلى نفسه بغى كـلُّ بـاغٍ
رب ذي نعمةِ تعرض منهاج حائلُ بينـه وبـين المسـاغ
أبلغ الدهر في مواعظه بـل زاد فيهن لي على الإبـلاغ [2]

فنلاحظ هذه القدرة العالية لأبي العتاهية على ارتجال الشعر، ومثـل أبـي العتاهيـة ومسلم بن الوليد وأبي نواس وغيرهم كان يضم مجلس الرشيد؛ وهذا يـدل علـى حـب الرشيد الشعر الذي يكون على البديهة، وكان يميز بين الشعراء في ذلك من خلال حسـن البديهة في إصابة ما في نفسه، وقدرتهم وسرعتهم على ارتجال الشعر؛ فكان يميز بينهم، ويفضل بعضهم على بعض مطلقاً أ حكاماً نقديةً معللة، وكان يمتحن الشعراء فيطلب منهم

---

(1) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقـده، ج 1، ص355؛ ابـن ظـافر الأزدي، أبو الحسن علي بن ظاهر (ت613هـ) بدائع البدائه، تحقيق : محمد أبـو الفضـل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م، ص83-84.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج 4، ص40؛ ابن رشيق القيرواني، العمـدة فـي محاسـن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص353-354.

ارتجال الشعر في موقف معين، أو يطرح عليهم بيتاً من الشعر أو قسيماً، ويطلب منهم توظيفه في شعرهم ليختبر قدرتهم على ارتجال الشعر؛ وهكذا فقد كان الرشيد يشجع الشعراء على ارتجال الشعر ونظمه، فقد كان المجلس حافلاً بالشعراء أصحاب القدرة العالية على ارتجال الشعر كما ذكرنا سابقاً.

وقد تناولت قضية البديهة والارتجال على أساس أنها معيارٌ نقدي يميز به بين الشعراء، وقد لاحظنا على الشعر المرتجل أنه يخلو من الصور الجمالية والفنية، يقول ابن رشيق: "والشاعر الحاذق المبرز إذا صنع البديهة قنع بالعفو الهين، والنزر التافه، لما فيها من المشقة، وهو في الارتجال أعذر"[1].

10.5 الخاتمة

هناك جملة من النتائج خرجت بها الدراسة من خلال تناول هذه الظاهرة الأدبية؛ ففي التمهيد كشفت الدراسة عن شخصية الرشيد العلمية، والمكانة العظيمة التي كان يحظى بها الأدب، وخاصة الشعر في مجلس الرشيد، وما كان لهذا المجلس من دور في تحفيزٍ قرائح الشعراء؛ حيث ظهرت صورة الأدب في مجلس الرشيد زاهية مشرقة، وأبرزت الدراسة صوراً متباينة لما كان يلقاه الأدب من رعاية الخليفة واهتمامه، وقد كشفت الدراسة عن كثير من القضايا المتعلقة بظاهرة المجالس الشعرية وطبيعتها؛ حيث تطرقت إلى تحديد المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظة (مجلس)، وأثبتت أن لفظة مجلس أكثر شمولاً في الدلالة وملاءمة لذلك النشاط الذي كان يجري فيها مقارنة بغيرها من الألفاظ.

كما تمت الإشارة إلى أنواع المجالس الشعرية؛ والتي انحصرت في ثلاثة أنواع؛ وهي: المجالس الخاصة غير الرسمية وهي المجالس التي يدعو فيها الخليفة الشعراء للتسلية، ومجالس المقابلات التي يعقدها الخليفة لاستقبال الوفود، ومجالس الوعظ والإرشاد التي يعقدها الخليفة مع العلماء والفقهاء، وقد كشفت الدراسة عن طبيعة كلٍّ من هذه المجالس.

أما الفصل الأول فقد كشفت الدراسة فيه عن مواكبة المجالس الشعرية للمناسبات الاجتماعية العامة والخاصة، إذ كانت خلافة الرشيد حافلة بالمناسبات الاجتماعية العامة والخاصة، وقد وُصل في خلافة الرشيد إلى أفخم درجات العلم والأدب؛ فكان للأحداث

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص360.

والمناسبات دورٌ كبير في الأدب العباسي؛ حيث سجل مثل هذه الأهـداف والمناسـبات، وخاصة في المجالس الشعرية، حيث لم يترك صغيرة ولا كبيـرة إلا أحصـاها؛ فكـان الشعراء ينتهزون مثل هذه الفرص ليسجلوها بأدق حذافيرها مبرزين فيها صورة الخليفة، ودوره في تنمية الشعر وتجويده، ومن هذه المناسبات التي تم الحديث عنهـا فـي هـذه الدراسة، التهنئة بالأعياد وخاصة في عيد الفطر وعيد الأضحى؛ فقد كان الشعراء ينظمون الشعر في هذه المناسبة وينشدونه في مجلس الخليفة، ومن هذه المناسبات التهنئة بـالعودة من السفر، حيث كان الشعراء يهرعون إلى الخليفة مهنئينه بعودته سـالماً مـن السـفر، ويبرزون ذلك في قصائدهم التي يلقونها في مجلسه، ثُمَّ التهنئة بمناسبة تقلـد المناصـب القيادية، فقد تجاوز الشعراء التهنئة بالقضايا الاجتماعية إلى القضايا السياسـية، يهنئـوا الأمراء وأولياء العهد بمناسبة تقلدهم مناصب قيادية يلقيها عليهم الخليفة، ومن ذلك التهاني بنجاح الوفادة في مهمة رسمية؛ إذ كان الرشيد يهتم ببعث الوفود إلى الملوك من حولـه، إما للتهنئة أو لتبادل الأسرى في الحرب، وكان الشعراء يسجلون هذه الأحداث من خلال نظم الشعر في هذه المناسبات، ومن ذلك أيضاً التهاني بالانتصارات العسـكرية؛ فكـان الشعراء يهنئون الخليفة بمناسبة الانتصار في المعارك، فينظمون الشعر ما دحين بـذلك الخليفة وواصفين في قصائدهم المعارك وأهوالها وأحداثها، وقد بـدى واضـحاً حـرص الشعراء على مواكبة الأحداث الاجتماعية عامة أو خاصة؛ لتخليدها من خـلال القصـائد الشعرية في هذه الدراسة.

كما أظهرت الدراسة في هذا الفصل تأثر الشعر بالسياسة؛ فقد كان للسياسـة بـروزٌ واضحٌ في الشعر، ويرجع ذلك إلى عدد من الأمور منها علاقة الشعراء بالخليفة، على أن هذه العلاقة قائمة على منفعة أو مصلحة متبادلة؛ فالشعراء يتقربون من خلال الشعر إلى الخليفة طمعاً في العطايا، والخليفة يرى في الشعر وسيلة للفخر، وكان كثيرٌ من الشعراء يمدحون أعداء الرشيد من الشيعة والعلويين، وقد تدخل كثير من الشعراء في السياسة حتى وصل الأمر في ذلك إلى الحديث عن من هو أحق بوراثة الرسول عليه الصلاة والسـلام انتصاراً للشيعة أو العلويين أو العباسيين، وقد أظهرت هذه الدراسة هذا التأثر معززةً ذلك من خلال الاستشهاد بالشعر في عصر الرشيد.

وفي الفصل الثاني كشفت الدراسة عن رُوَّاد المجالس عند الرشيد، وقد تنوع رواد هذه المجالس على اختلاف ثقافاتهم؛ فقد كانت هذه المجالس منارات يؤمها الشعراء والعلماء والجواري والأَعراب؛ ومن هنا تنوعت أبحاث تلك المجالس وفنونها؛ فقد كان للجـواري

نصيب كبير في مجلس الرشيد، فقد جعل لهن الرشيد مكانةً عالية في مجلسه، وذلك لحبه الغناء والطرب، وخاصة مع الجواري؛ فقد كان للجواري دورٌ كبير في إعطاء المجالس نكهة خاصة بإشاعة جوٍّ من النشاط؛ إذ كن يشاركن برواية الشعر وإجازته.

أما الأعراب فقد كان لهم موقعهم وتأثيرهم في مجلس الرشيد، فهم يمثلون التاريخ والأصالة، ومن خلالهم يتذكر الرشيد العصر الإسلامي والأموي، كما كان للجواري والأعراب موقعهم في مجلس الرشيد، وكان للعلماء مجلسهم أيضاً؛ فكانوا شعراء وزهاداً ووعاظاً وعباداً وقراءً، وقد كان لهم الدور الأكبر في الحكم داخل المجلس، فكانوا يكشفون أخطاء الشعراء ويقومونها، وقد كان الرشيد يحاورهم ويناقشهم في مجلسه فيأخذ عنهم كثيراً من العلوم.

وفي الفصل الثالث كشفت الدراسة عن مجالس الغناء والطرب، وأثرها في بعث الشعر من خلال تأثر الرشيد بالغناء؛ فقد كان الرشيد يتأثر بالغناء ويكافئ المغنّين بجوائز قيمة إذا كان الشعر قوياً مؤثراً، فقد كان للمغنيين مكانةٌ كبيرة عند الرشيد، إذ كان يكرمهم ويذهب لزيارتهم.

كما أظهرت الدراسة في هذا الفصل دور المجالس الغنائية في تنمية النشاط الأدبي؛ فقد تعرض الشعر إلى التجويد والتحسين في هذه المجالس؛ لأنه يعرض بصوتٍ عالٍ ومجود، ويتعرض هذا الشعر إلى المعارضة، وتثير الأشعار المغناة في المجلس النقاش والجدل بين المغنّين، ويكون الحليفة هو الحكم بينهم، كما أظهرت الدراسة في هذا الفصل تنافس المغنّين وتحاسدهم في مجلس الرشيد، فكان داء الغيرة والحسد والتنافس يذكي جذوة ذلك الصراع، ويؤجج من لهبه، وكانت الحرية التي يتمتع بها الشعراء في مجلس الرشيد تسمح لهم بتلك المواجهات، وكان الخليفة يتحيز لبعض الشعراء أحياناً.

كما كشفت الدراسة في هذا الفصل عن علاقة الشعر بمجالس الغناء والطرب؛ فلقد كانت مجالس الغناء مشتركة بين الشعراء والمغنّين، فالشعر مادة الغناء، ومهمة الشاعر أن يقول الشعر، ومهمة المغني أن يغنيه؛ فالعلاقة بين الشاعر والمغني علاقة مشتركة.

وفي الفصل الرابع كشفت الدراسة عن عدد من القضايا المتعلقة بالتشكيل البنائي، وعدد من القضايا النقدية، والملحوظات الأدبية لشعراء المجالس؛ فقد تعرضت الدراسة إلى قضية الإجازة، وفن الرسالة؛ فالإجازة فنٌ حيويٌ له مكانة كبيرة في المجالس الشعرية؛ حيث يكشف هذا الفن عن البديهة والارتجال؛ فقد كان الخليفة يختبر الشعراء في هذا المجال ليعرف أيُّهم أسرع بديهةً وارتجالاً في قول الشعر.

أما الرسالة الشعرية فقد كان لها بناء خاص من حيث ألفاظها ومعانيهـــا وعروضـــها وقافيتها وعدد الأبيات، وقد كانت هذه الرسائل تدور حول نسقٍ واحد، هو الـــدعوة إلـــى المجالس والشكر والاستعطاف.

وقد كشفت الدراسة في هذا الفصل عن نوعين من النقد الاجتماعي والنقد المنهجـــي؛ فالنقد الانطباعي يقوم على أساس الذوق والفطرة في التعليق على الشعر، وقد شاع مثـــل هذا النقد في مجلس الرشيد.

أما النقد المنهجي فهو النقد القائم على التحليل والتعليل؛ ففي كثير من الأحيان يخرج النقد عن إطار النقد الانطباعي الذي يعتمد على الذوق إلى النقد المنهجي الذي يعتمد أساساً على التعليل والتحليل، وقد تم الحديث عنه من خلال قضية اللفظ والمعنى.

أما المجالات النقدية التي تناولها النقاد في المجالس الشعرية، فقد تم الحـــديث عـــن قضية السرقات الشعرية والبديهة والارتجال، باعتبارها معياراً نقدياً ومقياساً فنياً.

ويمكن القول إن النقد في مجلس الرشيد في معظمه نقد عفويٌ يعتمد علـــى الـــذوق والفطرة، وإن تجاوز ذلك إلى القضايا المنهجية التي تعتمد على التحليل والتعليل أحياناً.

المصادر والمراجع

الأبشيهي، شهاب الدين أبو الفتوح محمد بن أحمد (ت850هـ)، 1986م، **المستظرف في كل فن مستظرف**، دار مكتبة الحياة، بيروت.

ابن الأثير، أبو الحسين عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، (ت630هـ)، 1979م، **الكامل في التاريخ**، دار جابر، بيروت-لبنان.

ابن الجراج، أبو عبدالله محمد بن داود، (ت296هـ)، د.ت، **الورقة**، تحقيق عبدالوهاب عزام، وعبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط2.

ابن الطقطقي، صفي الدين محمد بن علي بن طباطبا (ت609هـ)، د.ت، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، مكتبة عز للتور يدات، مكتبة قومنسيون، مصر.

ابن العبري، غرييفور يوس الملطي، (ت685هـ)، د.ت، **تاريخ مختصر الدول**، دار المسيرة، بيروت- لبنان.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت751هـ)، 1982، **أخبار النساء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

ابن المعتز، أبو العباس عبد الله، (ت296هـ)، 1968، **طبقات الشعراء**، تحقيق عبد الستار أحمد الفاراجي، دار المعارف، مصر، ط2.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب، (ت385هـ)، 1985م، **الفهرست**، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس.

ابن تعزي بردي، جمال الدين أبو المحسن يوسف الأتابكي، (874هـ)، 1993م، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدم له وعل ق عليه محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد، (ت245هـ)، 1942م، **المحبر**، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثماني، حيدر آباد الركن بالهند.

ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن محمد، (ت738هـ)، 1983، **ثمرات الأوراق في المحا ضرات**، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

ابن حزم، محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت456هـ)، 1971، **جمهـرة أنساب العرب**تحقيق وتعليق عبد الـ سلم هارون، دار المعـارف، مصـر، ط3.

ابن خردابه، **اللهو والملاهي**، 1969، تحقيق اغناطوس عبده خليفة اليسـوعي، دار المشرق، بيروت، ط2.

ابن خلدون، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد، (ت808هـ)، 1982م، **المقدمـة**، دار الرائد العربي، بيروت، ط5.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكـر، (ت681)، د.ت، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان.

ابن دقمان، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي، (ت809هـ)، 1985، **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، د.ن، ط1.

ابن شاكر الكتبي، صلاح الدين محمد، (ت764هـ) 1974، **فوات الوفيات والـذيل عليها**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط4.

ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي، (ت322هـ) 1985، **عيار الشعر**، تحقيق عبدالعزيز ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ابن عبدالبر، أبو عمر بن يوسف بن عبدالله، (ت463هـ)، 1984، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، تحيق مرسـي الخـولـ ي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

ابن عبدربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت349)، د.ت، **العقد الفريد**، تحقيق محمد سعيد العريان دار الفكر، (د.ط).

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا،(ت395هـ)،1969،**معجم مقاييس اللغة**،تحقيق عبدالسلام هارون،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،ط2.

ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم الـدينوري، (ت276هـ)، د.ت. **الإمامـة والسياسة**، تحقيق طه محمد الزيني، دار المعرفة، بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت774هـ)، 1985، **البداية والنهاية**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن المصري، (ت711هـ)، د.ت، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت- لبنان.

أبو خليل، شوقي، 1991، **التاريخ الإسلامي**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1.

أبو رحمة، محمد، 1993م، **هارون الرشيد**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1.

أبو سويلم، أنور، 1987، **دراسات في الشعر الجاهلي**، دار عمار، عمان، ط1،.

الأتليدي، محمد دياب، د.ت**إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس** ، دار صادر، بيروت، لبنان.

أحمد بدوي، 1989**أسس النقد الأدبي عند العرب** ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

العسقلاني، أحمد بن ع لي بن حجر، 1996، **فتح الباري العقلاني، بشرح صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري.** (د.ط) دار الفكر، بيروت.

أحمد، فراج عبدالستار، د.ت، **نديم الخلفاء(سلسلة اقرأ)**،دار المعارف،مصر، ط3.

أحمد، منير الدين، 1981م، **تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية عند العلماء حتى القرن الخامس الهجري**، ترجمة وعلق عليه سامي الصقار، دار المريخ، الرياض.

الأزدي، أبو الحسن علي بن ظافر، (ت613هـ)، 1970،**بدائع البدائه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ)، 1992، **الأغاني**، ، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب،.

أمين، أحمد، **ضحى الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، د. ت.

الأنباري، عبدالرحمن بن محمد، (ت845هـ)، 1959**نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد.

أنيس، إبراهيم وآخرون، 1979، **المعجم الوسـيط**،المكتبـة الإسـلامية للطباعـة والنشر، استانبول، القاهرة، ط2.

البيهقي، إبراهيم بن محمد، 1979، **المحاسن والمساوئ**، دار بيـروت للطباعـة والنشر، بيروت.

الجاحظ، أبو عثمان عمر و بن بحر بن محبوب الكناني، (ت255هـ)، 1955، **التاج في أخلاق الملوك**، دار الفكر ودار البحار، بيروت.

الجاحظ، أبو عثمان عمر و بن بحر بن محبوب الكناني، 1967، **الحيـوان**، تحقيـق عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، (ت255هـ)، د.ت، **البيان والتبيين**، دار الكتب العلمية، بيروت.

الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن بـن محمـد، (ت474هـ)، 1984، **دلائـل الإعجاز**، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد، د.ت، **أسرار البلاغة**، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية، ط2.

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بـن عيـدو س، (ت331هـ)، 1988، **الـوزراء والكتاب**، قدم له حسن الزين، دار الفكر الحديث.

الجومرد،عبدالجبار، د.ت**هارون الرشيد دراسة تاريخيـة**، المكتبـة العموميـة، بيروت.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت393هـ)، د.ت، **الصحاح**، تحقيق أحمـد عبـد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4.

حسين، طه، 1982**من تاريخ الأدب العربي**، دار لعلم للملايين، بيروت -لبنـان، ط4.

حسين، عبدالرزاق، 1994، **الأدب العربي في جزر البليار**، دار الجيل للنشر، عمان، ط1.

الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بـن تـيم، (ت453)، د.ت،**زهـرة الآداب وثمرة الألباب**، نشره زكي مبارك، دار الجليل، بيروت، ط4.

الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين بن عبدالله الرومي، (ت626هـــ)، د.ت، **معجم الأدباء**، تحقيق أحمد مزيد الرفاعي، مطبعة دار المأمون، القاهرة.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت629هـ)، 1979، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان.

حميدة، عبدالرزاق، د.ت، **شياطين الشعراء**، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر.

الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر، 1981، **الذهب المسبول في وعظ الملوك**، ط1، تحقيق أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، الرياض، عالم الكتب، 1402هـ.

الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد، (ت1089هـــ)، د.ت، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

الحنفي، محمد أحمد، د.ت، **إسحاق الموصلي الموسيقار النديم**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

ضيف، شوقي، 1986، **العصر العباسي الأول**، دار المعارف، مصر، ط9.

ضيف، شوقي، 1976، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، دار المعارف، القاهرة، ط9.

الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي بن ثابت، (ت463هـ)، د.ت، **تاريخ بغداد**، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

خليف، يوسف، 1986، **حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

الداوودي، الحافظ شمس الدين الداوودي، (ت945هـ)، 1983، **طبقات المفسرين**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (282هـ)، 1960، **الأخبار الطوال**، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1.

الدينوري، عبدالله بن محمد بن مسلم، (ت276هـ)،1987، **الشعر والشعراء**، تحقيق الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط3.

الذنيبات، عوض، 2005، **إسهامات علماء الكوفة في الحركة الفكرية في بغـــداد**، عمان- الأردن، ط2.
الذهبي، شمس الدين، (ت748هــ)، 1982، **سير أعلام النـــبلاء**، تحقيـــق شـــعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة.
الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمـــد الفضـــل، (ت502هـــــ)، د.ت، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، دار مكتبة الحياة، بيروت.
الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن، (ت310هــ)، د.ت، **مجلس العلماء**، دار الكتاب العربي، بيروت.
الزركلي، خير الدين، 1984، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.
الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمد بن عمـــر، (ت538هـــــ)، 1982، **أســـاس البلاغة**، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.
زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار مكتبة الحياة، لبنان، ط2، 1978م.
السباعي، مصطفى، د.ت، **من روائع حضارتنا**، الجزائر، دار الصديقية.
سلام محمد، زغلول، د.ت، **تاريخ النقد الأدبي في القـــرن الرابـــع الهجـــري**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر.
السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، (911هــ)، 1986، **تاريخ الخلفـــاء**، تحقيـــق الشيخين قاسم الشماعي الرفاعي ومحمد العثماني، دار القلم بيروت، ط1.
السيوطي، جلال الدين، (ت911هــ)، 1991، **المستظرف في أخبـــار الجـــواري**، تحقيق أحمد عبد الفتاح تمام، شركة الشهاب، الجزائر.
شاكر، محمود، 1999، **سلسلة الخلفاء: هارون الرشيد وأسرته**، ط1.
الشكعة، مصطفى، 1980، **الشعر والشعراء فـــي العصـــر العباســـي**، دار العلـــم للملايين، بيروت، ط5.
شلبي، سعد إسماعيل، 1973، **دراسات أدبية في الشـــعر الأندلســـي**، دار نهضـــة مصر، القاهرة.
شيخ موس، محمد خير، 1984، **فصول في النقد العربي وقضـــاياه**، دار الثقافـــة، بيروت.

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيـــى، (335هـــــ)، 1934، **الأوراق**، قســم أخبـــار الشعراء، مطبعة الصاوي، القاهرة، ط1.

الصيرفي، رزق الله، 1986، **تاريخ دول الإسلام، الدار العالمية**، لبنان.

ضيف، أحمد، 1924، **بلاغة العرب في الأندلس**، مطبعة مصر، ط1.

طبانة، بدوي، 1984، **دراسات في نقد الأدب العربي**، دار المريخ، الرياض.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هــ)، 1779**تاريخ الأمم والملــوك**، دار الفكر.

عاصي، ميشيل، د.ت**المعجم المفصل في اللغـــة والأدب**، دار العلــم والملايـــين، بيروت.

العاملي، بهاء الدين محمد بن الحسين، (ت1535هــ)، د.ت، **أسرار البلاغـــة**، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

عباس، إحسان، 1981، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الثقافة، بيروت، ط3.

عبدالأمير، مهنا، 1999**أخبار المغنيين في الجاهلية والإسلام** ، بيروت، دار الفكر اللبناني.

عبدالنور، جبور، د.ت، **الجواري**، سلسلة اقرأ، دار المعارف، مصر، ط2.

العسكري، أبو الهلال، (ت395هــ)، 1984، **الصناعتين (الكتابة، والنثر)**، تحقيـــق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت.

العسلي، بسام، 1986، **الرشيد القائد**، دار النفائس، بيروت، ط1.

فاخوري، حنا، الجاحظ، 1980**سلسلة نوابغ الفكر العربي**، دار المعارف، مصر، ط6.

الفاراجي، عدنان علي، 1984**حركات المعارضة للخلافة الأمويـــة**، دار صــــادر، بيروت، لبنان.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت175هــ)، 1986، **العين**، تحقيـــق إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2.

فروة، علي، طرائف النساء والجواري، د.ت**موسوعة الأدب الضـــاحك** ، ريـــاض الريس للكتب والنشر.

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، (ت356هـ)، 1978، **الأمـــالي**، دار الكتب العلمية، بيروت.

القرطاجي، حازم أبو الحسن، **مناهج البلغاء وسراج الأدباء**، 1981، تحقيق محمـد الحبيب بن الخوجة، دار المغرب الإسلامي بيروت، ط2.

القرماني، أبو الـ عباس أحمد بن يوسف بن أحمد، د.ت.**أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، عالم الكتب، بيروت- لبنان.

القيرواني، ابن رشيق أبو علي الحسن، (ت456هـ)، 1988،**العمدة في محاسـن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط1.

الكيلاني، حلمي إبراهيم، 1998، **ابن شرف القيرواني (حياته وأدبـه)**، مؤسسـة البلسم للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبـر الثمـالي، (ت285هـــ)، د.ت، **الكامل في التاريخ**، مؤسسة المعارف، بيروت.

المجالي، جهاد، موقف النقاد العرب من قضية الذوق الفني، 1993، **مؤتة للبحـوث والدراسات**، م8، ع2.

المرتضى، الشريف علي بن طاهر، (ت436هـ)، 1966، **أمالي المرتضى**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، مصر.

المرزباني، محمد بن عمران، (ت384هـ)، 1965، **الموشح**، تحقيق علي محمـد البجاوي، مصر.

المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين بن علي، (ت346هـــ)، 1926، **مـروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

مصباح، أحمد مجاهد، 1983، **دراسات في تـاريخ الدولـة العباسـية**، ط1، دار الطباعة المحمدية.

مصطفى، شاكر، 1993**موسوعة دول العالم الإسـلامي ورجالهـا** ، دار العلـم للملايين، ط1.

المنجد، صلاح الدين، 1957**بين الخلفاء والخلفاء في العصر العباسي**، دار مكتبة الحياة، بيروت.

مندور، محمد، د.ت، **النقد المنهجي عند العرب**، دار النهضة، مصر.

النيسابوري، أبو منصور عبدالملك بن محمد النيسابوري الثعالبي، د.ت، **لطائف اللطف**، تحقيق عمر الأسد، دار الميسرة، بيروت، لبنان.

هاشم، علي محمد، 1982، **الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1.

اليافعي، عفيف الدين ع بد الله بن أسعد اليمني (ت698هـ-768هـ)، 1984، **مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة حوادث الزمان**، تحقيق عفيف عبد الله الجبوري، ط1، مؤسسة الرسالة.

- السيرة الذاتية -

- **الاســــــــم**: عبدالله أحمد محمد الذنيبات.
- **الكليـــــة**: الآداب.
- **التخصــص**: اللغة العربية.
- **السنـــــة**: الفصل الثاني، 2007.
- **البرنامــج**: ماجستير في الأدب.
- **العنوان البريدي**: الكرك – الجديدة.
- **الهاتف النقال**: 0796533429